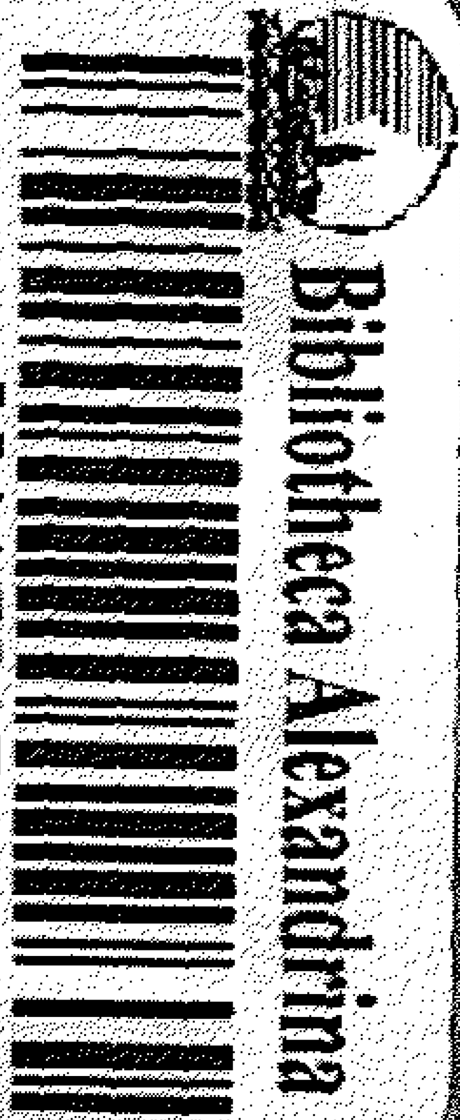
مخابرات منظمة الهجناه

أجهزة المخابرات الإسرائيلية

- النشأة ... التطور والممارسات -





(هـــشـــــاي)

مخابرات منظمة الهجناه

أجهزة المخابرات الإسرائيلية

- النشأة... التطورات والممارسات -

رقم التصنيـــــف :٣٢٧,١٢
المؤلف ومن هو حكمه: إعداد دار الجليل
عنـــوان الكتـــاب : كل شيء عن "هشاي" أجهزة المخابرات الإسرائيلية، النشأة، التطور والممارسات
الموضـــوع الرئيسي: ١- العلوم الاجتماعية
٢- المخابرات
رقـــم الإيـــداع : ١٩٩٩/٤/٤٧٨
بيـــانـــات النشـــر : عمان : دار الجليل
* - تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

رقم الإجازة المتسلسل ١٩٩٩/٣/٣٢٧

رقـم الإيـداع لـدى
مديريـة المكتبـات والوثـائق الوطنيـة
١٩٩٩/٣/٤٧٨

الطبعـــة الأولى
١٩٩٩

دار الجليل للنشر
والدراسات والأبحاث الفلسـطينية-عمـان
هـاتف: ٥١٥٧٦٢٧-فـاكس : ٥١٥٣٦٦٨
ص.ب ٨٩٧٢-رمـز بريـدي ١١١٢١
E-Mail : Darjalil@go.com.jo
Site-http://www.darjalil.com.jo

(هشـــــاي)

مخابرات منظمة الهجناه

أجهزة المخابرات الإسرائيلية

- النشأة ... التطور والممارسات -

إعـداد : دار الجليـل



إصـدار

دار الجليل للنشر

والدراسات والأبحاث الفلسطينية

عمان ـ ص.ب ٨٩٧٢

تلفون ٥١٥٧٦٢٧ ـ فاكسميلي ٥١٥٣٦٦٨

الفهرس

تقديم:

يعتبر (أسا لفن) مؤلف الكتاب- والذي توفي قبل أن يرى كتابه النور- أحد الشخصيات الضليعة في شئون المخابرات الإسرائيلية، وقد عمل زمناً طويلاً جداً في العديد من أجهزة المخابرات الإسرائيلية، بل لقد تطوع قبل حرب ١٩٤٨- عندما كان معلماً للغة الإنجليزية في مدرسة (هريالي)- للعمل في مجال التنصت الاستخباري، والترجمة، وحل الرموز الشيفرية في شعبة التنصت التابعة لمخابرات منظمة الهجناه في فرع حيفا.

وبوصفه ضابطاً برتبة مقدم في سلاح الاستخبارات، عين كأول مدير لكلية العلوم السياسية- وهو الاسم الذي أطلق على كلية الاستخبارات العليا التي أقيمت في معسكر "اللنبي" بالقدس- بقصد التمويه. وكانت هذه المدرسة تقدم لطلبتها العديد من الدورات والتي قد يستغرق بعضها عاما كاملا، مثل دورة الاستخبارات الرسمية.

لقد كانت تلك المرحلة، هي المرحلة التي بلور خلالها رجال الاستخبارات الإسرائيليون نظرية العمل الاستخباري، كما بلورت كلية (العلوم السياسية) تحت قيادة لفن أساليب التوجيه وأساليب تلقين هذه النظرية لطلبتها، من ممثلي أجهزة المخابرات التنفيذية الأربعة وهي: سلاح الاستخبارات في الجيش الإسرائيلي المسمى (أمان). ومؤسسة العمليات الخاصة (الموساد) وجهاز الأمن العام- الشاباك- والشعبة الخاصة التابعة للشرطة الإسرائيلية.

وفي عام ١٩٦٢ استقال لفن من إدارة المدرسة، وانضم إلى الموساد واحتل فيه مناصب مختلفة ورفيعة المستوى، حتى وفاته عام ١٩٨٧.

وحال تفكيره في إعداد هذا الكتاب الذي يمكن اعتباره بمثابة بحث، تسلح لفن بمعطيين شديدي الأهمية:

- معرفة جذرية وواسعة النطاق، للمواد والموضوع المطروح.
- المعرفة والاطلاع عن كثب، والقدرة على البحث والتحليل لبعض المناحي المركزية.

ومن الجدير بالذكر، أن غياب الجانب الثاني آنف الذكر، لم يعف الكثير من الباحثين والمهتمين بهذه الفترة من مراحل تبلور جهاز المخابرات الإسرائيلي، من إعداد أبحاث قيمة حولها، بيد أن توفر ذلك الجانب، وتوفر معرفة موسوعية كاملة للمؤلف، عن غالبية الوثائق والمعلومات التي بحوزته، يضفي على هذا الكتاب المعيار الإنساني للبحث، ويرفع من قيمته.

إن كون (لفن) أحد أوائل العاملين في جهاز المخابرات، لم يحوله إلى مؤيد متحمس أعمى للجهاز، ولم يفقده القدرة على تمييز الصواب والخطأ، أو يفقده قدرته الانتقادية، لذا نراه يشير مباشرة ودون أي مواربة، إلى مكامن الفشل والضعف والقصور في عمل الجهاز. بيد أن انتقاداته هي انتقادات محب، تتسم بالكثير من التوضيحات، مهما كان مكمن الخطأ.

(يهودا تيجر)

مدخل:

يفيد المعجم العبري في شرحه لكلمة (مخابرات) أنها تعني: مصطلحا عاما للإشارة إلى المعلومات التي تم جمعها بغية تنفيذ مهمة.

وتطلق هذه الكلمة، بصورة عامة، على المنظمة أو المؤسسة التي يدخل ضمن أهدافها الحصول على معلومات ومعطيات حول الدول الأجنبية وحول النشاطات التي تقوم بها فيما يتعلق بسياستها وأمنها القومي. والحصيلة التي تتوصل إليها هذه المؤسسة، والمتمثلة في المعلومات المدروسة والتقديرات.

إن المخابرات تتشكل على الصعيد العملي من المخابرات الإيجابية، والمخابرات الوقائية، والمخابرات التنفيذية. أما على الصعيد التنظيمي فتتكون من شعبة جمع المعلومات وشعبة الأبحاث، وشعبة المهاجر.

وعندما يسأل الإسرائيلي، اليوم، عن رأيه في المخابرات الإسرائيلية، فإنه في الغالب، يعرب عن تقديره المصحوب بالفخر والارتياح جراء الشهرة العالمية، التي اكتسبتها المخابرات الإسرائيلية في أدائها للمهام التي توكل إليها.

ومن الجدير بالذكر، أن الأمر لم يكن على هذا النحو قبل ٧٠-٧٥ سنة، فتعامل الاستيطان اليهودي، بصورة عامة، في تلك الآونة، كان يتسم بالتحفظ ويبلغ أحيانا حد العداء.

ولا شك أن خلفية هذا العداء لدى الاستيطان تجاه المخابرات الإسرائيلية في ذلك الحين، يرجع إلى ما عاناه اليهود في الشتات من أجهزة المخابرات المختلفة، بوصفهم اقليات، في الدول التي كانوا يعيشون فيها، بدءا من الجاسوس الذي أعلم فرعون بقيام النبي موسى بقتل مصري جراء ضربه ليهودي، ومرورا بمحققي أوروبا المسيحية، في نهاية العصور الوسطى، ومباحث أوكرانيا البيضاء، والمخابرات السوفياتية، وانتهاءا بمحققي الجستابو الألماني، في عهد ألمانيا النازية.

لقد جمع شعب إسرائيل في صلاة الأدعية الثمانية عشرة، والتي يصليها ثلاث مرات يوميا، بين الزناديق والواشين والمجرمين، ودعا عليهم بالموت والاجتثاث من الجذور، وعندما بدأت جماهير المهاجرين

التدفق إلى فلسطين، من أجل إقامة دولة اليهود المستقلة، بقي الخوف رابضا في أعماقها من الجواسيس والوشاة.

لقد تم تشكيل مخابرات الهجناه(هشاي) على الصعيد التنظيمي الداخلي، بصورة مماثلة لباقي الأجهزة والمؤسسات، التي تم تشكيلها في إطار الهجناه، بيد أن هذا الجهاز انشيء نهاية عام ١٩٣٥، وفي أعقاب إعادة تنظيم الهجناه، وليس كباقي المؤسسات الأخرى التي أقيمت توطئة لخوض حرب ١٩٤٨.

وتمثلت مهمة (هشاي) بادئ ذي بدء في الدفاع عن الاستيطان اليهودي عبر الحيلولة دون تسليم أسرار منظمة الهجناه من قبل الوشاة والجواسيس- أي على غرار المهمة الملقاة على عاتق الأمن الميداني، في أيامنا هذه- بيد أنه سرعان ما توسعت مهام هذه الجهات، في غضون السنوات الأولى لإقامته، كما توسع طابعه. فقد أخذت على نفسها إضافة إلى المهمة المركزية، آنفة الذكر، جمع المعلومات المتعلقة بالقيادة. وقد بقي الجهاز يعمل تحت هذا الشعار حتى عام ١٩٤٨ وحتى أعاد ديفيد بن جوريون تنظيم المخابرات والأجهزة الاستخبارية للدولة الوليدة.

لقد ارتبط اسم(هشاي) في ذهن الاستيطان اليهودي، منذ بداية إقامته، بالعمليات التجسسية وجمع المعلومات، هذا رغم أن هناك جهات إسرائيلية أخرى، مارست أعمال التجسس وجمع المعلومات مثل الشعبة السياسية للوكالة اليهودية، ومنظمة هشومير- الحارس- في العشرينات، ومنظمات البلماح، والاتسل وليحي وغيرها. فقد كانت الجماهير تطلق على جميع هذه العمليات اسم: نشاطات (هشاي).

الفصل الأول

النظرية الاستخبارية في الاستيطان اليهودي
منذ عام ١٩١٨ وحتى أحداث ٣٦-١٩٣٩

احتلت المخابرات الإسرائيلية حتى أحداث ٣٦-١٩٣٩، مكانة متدنية في ترتيب جدول الأوليات الصهيوني. ويرجع ذلك إلى الموقف الذي اتخذه الاستيطان اليهودي في فلسطين آنذاك، والقائل، أن مهمة حماية الاستيطان تقع على عاتق الانتداب البريطاني، والذي من واجبه اتخاذ جميع الإجراءات والاحتياطات العسكرية والشرطية اللازمة- بما فيها استخدام جهاز مخابرات- لتنفيذ هذه المهمة.

أضف إلى ذلك، أن المحاولات المنظمة التي جرت لتشكيل جهاز مخابرات مستقل بين الحربين العالميتين، لم تكن جادة، حتى بمفهوم تلك الأيام. وقد أسفر تعيين (شاؤول ابيجور) عام ١٩٣٣ مسئولا عن جمع المعلومات في المدن والمناطق القروية في (أرض إسرائيل) عن نتائج جيدة، على الصعيد الداخلي- أو حسب المصطلحات الحالية، جاء تعيينه للعمل كأمن ميداني أو أمن داخلي، ضد النشاطات التي كان المنشقون والشيوعيون يقومون بها في الاستيطان اليهودي. ورغم ذلك، كان مسئولو الخلايا الاستخبارية يتخذون الاستعدادات اللازمة، لتلقي المعلومات الاستخبارية من الوسط العربي، وأيضا حول البريطانيين.

وفي أعقاب اندلاع أحداث ٣٦-١٩٣٩ كان الاستيطان اليهودي في حاجة لهامش زمني مدته سنة ونصف السنة، حتى يلزمه الواقع العملي بتشكيل شبكة المخابرات الأولى برئاسة عيزرا دنين، والتي يمكن وصفها إلى حد ما، بالشبكة التي تقوم على أسس الاحتراف.

إن السؤال الذي يطرح نفسه هو: لماذا لم تؤد المحاولات المرة، التي شهدها الاستيطان اليهودي-الأحداث في الجليل والقدس خلال الفترة الواقعة بين ١٩-١٩٢٠، والمظاهرات خلال ١٩٢١، والشغب عام ١٩٢٩، وأحداث ١٩٣٣- إلى إحداث تغيير جذري في توجهات الاستيطان اليهودي؟؟ فالأحداث آنفة الذكر، أثبتت بصورة قاطعة، استحالة الوثوق أو الركون إلى الانتداب البريطاني، وضرورة تعزيز قدرة الدفاع الذاتية.

ونجد أن من الملائم أن نشير بهذا الخصوص، إلى عدة معطيات ديموغرافية: لقد تضاءل عدد اليهود في (أرض إسرائيل) خلال سني الحرب العالمية الأولى جراء الطرد، والنزوح إلى دول أخرى، والمجاعة والأوبئة. ولم يبق في أعقاب انتهاء الحرب، في "أرض إسرائيل" سوى ستة وخمسين ألف يهودي، بدلا من خمسة وثمانين ألف يهودي، عندما نشبت الحرب.

لقد أسهمت الهجرتان الثالثة والرابعة، حقا، في زيادة عدد اليهود في (أرض إسرائيل)، بيد أن الأزمة الاقتصادية التي وقعت في نهاية العشرينات، أدت إلى نزوح جماعي. ولم يغير التوازن في (أرض إسرائيل) بصورة جدية، سوى الهجرة اليهودية الكبيرة من أوروبا، والتي جرت خلال الفترة الواقعة بين الأعوام ١٩٣٣-١٩٣٦، في أعقاب استيلاء النازيين على السلطة في ألمانيا، وقد أسفرت تلك الهجرة، عن وصول مائة وأربعة وستين ألف نسمة من اليهود. وقد وصلت نسبة اليهود وسط سكان (أرض إسرائيل) في ربيع ١٩٣٦، إلى ٣١%. ولا شك أن هذا الارتفاع الكبير، قد أثار ثائرة الجهات الوطنية العربية، وحدا بها لإثارة أحداث عام ١٩٣٦، أضف إلى ذلك، أن هذه الزيادة، عززت ثقة اليهود وبأنفسهم، وجعلتهم يعتقدون بقدرتهم، على العمل بصورة أكثر إصرارا.

لقد وصف عيزرا دنين فشل اليهود آنذاك، في اكتشاف وتوقع أحداث عام ١٩٢٩، وأحداث ٣٦-١٩٣٩ بالفشل الاستخباري حتى عام ١٩٣٩.

ومن الجدير بالذكر، أن دنين هو الشخص الذي أنشأ شبكة المخابرات الأولى في المنطقة العربية، عام ١٩٣٦ وعمل رئيسا للشعبة العربية في (هشاي) بدءا من عام ١٩٤٠، وأحد مستشاري بن جوريون للشئون العربية، خلال حرب ١٩٤٨. وقد ضايقه الفشل الاستخباري في اكتشاف إمكانية وقوع الأحداث، آنفة الذكر، إلى حد كبير، وحتى في أعقاب انتهاء تلك الأحداث.

وفي عام ١٩٧٢ عقد في بيته اجتماعا لبعض زملائه الذين عملوا معه في الماضي في مجال المخابرات العربية، لمناقشة ذلك القصور.

وفي تعقيبه، قال يهوشع فلمون- أحد مؤسسي(هشاي) ومساعد دنين عام ١٩٣٩- خلال الاجتماع. "أن الهجمات العربية على اليهود حتى عام ١٩٢١، لم تحمل بصورة عامة طابعا وطنيا معاديا لليهود. وأن الأسباب التي كانت تحدو بهم لمهاجمة اليهود، تتمثل في السرقة والنهب!!" وقد عمل العديد من الأشخاص اليهود ضد هؤلاء اللصوص- أمثال ابراهام شبيرا، والذين كانوا يجوبون البلاد طولا وعرضا، لاستعادة ما يسرق إلى أصحابه، وكذلك الامر بالنسبة لإراقة الدماء، وذلك كي لا تصبح الدماء اليهودية مشاعا.

ويضيف "فلمون": عندما قتل يهود في يافا في أحداث ١٩٢١، اعتقد الكثيرون في الاستيطان اليهودي، أن الامر لا يعدو كونه هجمة سرقات واسعة النطاق، لا علاقة لها بأي خلفيات وطنية. ونظرا لان غالبية الهجمات وقعت ضد منازل المهاجرين الروس، في حي العجمي بيافا، فقد حاول البعض تفسير ذلك على أرضية عداء العرب للسوفييت القادمين من موسكو.

لذا أثار الهجوم العربي على الاستيطان القديم في الخليل وصفد، وقتل اليهود هناك، صدمة شديدة في أوساط الاستيطان اليهودي.

وفي تعقيب شمشون مشبيتس- وهو أيضا أحد مساعدي دنين- آنذاك، قال خلال الاجتماع آنف الذكر: "إن سبب الفشل يرجع إلى أن الاستيطان اليهودي لم يعتبر هجمات العرب سياسية بل عن نزاعات شخصية".

ويقول دنين: "عندما توصلت الوكالة اليهودية خلال الفترة ٣٣-١٩٣٤ إلى قناعة بضرورة تشكيل جهاز مخابرات، فقد كلفت بجمع المعلومات في أوساط العرب أناسا، كانوا حتى ذلك الحين، يعملون بصورة جزئية ودون احتراف في مجال المخابرات، أمثال روبن شيلوح والياهو ساسون، وأهارون حاييم كوهن.

ونظرا لأن ميزانية الدفاع لم تكن تكفي للاحتفاظ بموظفين للشئون الاستخبارية، فقد اضطر شيلوح لتكريس غالبية وقته، للعمل في المجال العربي في اللجنة التنفيذية للهستدروت، وشغل الوقت القليل الباقي للعمل في إطار منظمة (الهجناه) بل إن باقي المبادرات الاستخبارية الأخرى، قد نفذت كصورة من صور الانتداب، ودون تخصيص أي ميزانيات، وفي الكثير من الأحيان، على حساب أولئك الذين عملوا فيها.

وبناء على ذلك، باتت مفهومة الجملة التي قالها فلمون خلال الاجتماع آنف الذكر عام ١٩٧٢ والتي جاء فيها: أن التحول الحقيقي بشأن المخابرات حدث، فقط، في أعقاب تشكيل (الدورية المتجولة) عام ١٩٣٦، وما تلا ذلك من خطوات، مثل قيام أعضاء من الاستيطان، بحراسة المحاجر في (مجدال هعيمق، والقيام بدوريات حول القرى العربية، وذلك بهدف الحيلولة دون قيام العرب بعمليات ضد الاستيطان وذلك بأخذ جانب المبادرة، والقيام بعمليات وقائية ضدهم. كانت تلك العمليات، هي بشائر عمليات (الخروج من حدود الاستيطان اليهودي)، والتي أسفرت فيما بعد، عن تشكيل سرايا الميدان عام ١٩٣٧ بمبادرة اسحق سديه، والياهو كوهن.

ويقــول فلمــون: أن الأعمــال الاســتخبارية نصــف المنظمــة، ولــدت بصــورة طبيعية في أعقاب تشكيل سرايا الميــدان، نظــرا لأن أســاليب الحــرب أو الدفــاع، هــي التي تحدد نوع الاستخبارات التي يجــب اســتخدامها.

وتعتبر كلمة (عدو) أحد المصطلحين المتكررين فــي جميــع الأوصــاف التــي تــم إضفاؤها على المخابرات، أما المصطلح الثاني فــهو: "ســاحة العمليــات" ونحــن نجــد أن من الأهمية بمكان، الإشارة إلى أنه وحتى منتصف الثلاثينــات كــان العــرب هــم العــدو الذي يسلط الإسرائيليون استخباراتهم نحــوه، وعلــى وجــه التحديــد عــرب فلســطين ٤٨ (أرض إسـرائيل).

ورغم أن قسما كبيرا من البريطانيين أبــدى تحفظــا، بــل وفــي بعــض الأحيــان عداء تجــاه التحركــات والنشــاطات الصهيونيــة، إلا أن غالبيــة المســتوطنين اليــهود – على الأقل حتى عام ١٩٢٩- كانوا يعتبرونــهم حكامــا يمكــن الركــون إليــهم إلــى حــد كبير، ولم يكونوا يتعاملون معــهم كــأعداء.

ويمكن القول أيضا، أن البريطانيين قاموا خــلال الســنوات الأولــى مــن الانتــداب بتغطية الجانب الأمني بصورة معقولــة. فقــد نجحــت (الجندرمــة)- التــي كــان غالبيــة جنودها من ايرلندا الشمالية- وحتــى حلــها عــام ١٩٢٦، فــي منــع جميــع المحــاولات العربيــة الراميــة إلــى اقتحــام المســتوطنات اليهوديــة، وتمكنــت مــن تصفيــة بقايــا "العصابات" العربية العاملة في إطــار الســلب والنــهب منــذ العــهد الــتركي. ورغــم أن حالات السرقة والقتل والاغتصاب وقعت هنا وهنــاك، الا أن الأمــن الــذي ســاد آنــذاك، كان معقــولا.

وفــي أحــداث ومظــاهرات ١٩٢٩ دافعــت وحــدات الجيــش وســلاح الجــو البريطانية عن المســتوطنات والضواحــي العبريــة. وفــي أحــداث تشــرين الأول ١٩٣٣ قمعت سلطات الانتداب، بيد من حديد، المظاهرات والصدامــات التــي أثارهــا العــرب.

ورغم ذلك، كشفت أحـــداث عـــام ١٩٢٩ النقــاب، عــن الضعــف الكــامن فــي الانتداب والفشل المطلق والتام لجهازه الرادع واستخباراته، ولعـــل أكــثر مــا أثــار ثــائرة الاستيطان اليهودي آنذاك، هو محاولات الســلطات الانتدابيـــة إخفــاء، وتمييــع أخطائـــها، والقاء كامل التبعة على اليهود، وترجيح الكفـــة لصـــالح العـــرب.

وفي أعقاب أحداث ١٩٢٩ اتخـــذت ســلطات الانتــداب عــدة خطــوات لتعزيــز الأمن، فعززت وحدات الجيش البريطاني في فلســطين، وبعثــت إلـــى فلســطين(هربــرت داود بيغين) قائد شرطة تسـيلون الســابق، وأحــد الخــبراء فــي مجــال النزاعـــات بيــن الطوائف، للإشراف على إعادة تنظيم قـــوات الشــرطة.

ورغم نوايا هربرت الطيبة، ورغم قدرتـــه، فقــد اتســمت الخطـــة التـــي وصفـــها بالنقص. ففي التقرير الذي قدمه- وكما يبدو، تحـــت وطـــأة ضغــط مســاعديه المحلييــن- أوكل مهمة أمن المستوطنات اليهودية لقـــوات الانتــداب قــائلا: أن الاســتيطان اليــهودي غير قادر على الدفاع عـــن نفســه، وبالتـــالي فإنـــه بحاجـــة دائمـــة إلـــى تواجــد قــوات بريطانيـــة.

لقد أدى هذا الوضع إلـــى إثــارة الشـــعور لـــدى الاســتيطان اليــهودي بضـــرورة تشكيل نوع من أنواع الحكـــم الذاتـــي علـــى الصعيــد الأمنـــي، وأن يشـــكل قـــوة دفـــاع عسكرية ذاتية لا تستند إلى السلطة الانتدابيـــة. وعلـــى عكــس التنظيمـــات المدنيـــة التـــي شكلها الاستيطان في مجال التعليـــم والصحـــة، والمســـاعدات الاجتماعيـــة والتـــي كـــانت تعمل بصورة علنية، كان علـــى هـــذه القـــوة أن تعمــل بصـــورة ســـرية. ومـــن الجديـــر بالذكر، أن أي جهة إسرائيلية لم تكن تعتقد، في ذلـــك الحيـــن أن القـــوة العســكرية الســرية التي بـــدأ الاســتيطان تطويرهـــا وبناءهـــا منـــذ العشـــرينات، ســتوجه ضـــد الســلطات الانتدابية، ولم يخطـــر ببـــال أي جهـــة، أن تتنكـــر بريطانيـــا رســميا، وبصـــورة مطلقـــة للنشطات الصهيونية لأن تنفيذ الصهيونية لنشاطاتها كان أحــــد شـــروط الانتـــداب.

وفي المراحل الأولى للانتداب، كانت استخبارات الانتداب تعمل في الاستيطان اليهودي، وتنقل إليه المعلومات التي تحصل عليها.

وابرز النماذج على ذلك، منظمة (نيلي)- إسرائيل لا تكذب للابد- والتي شكلها اهارون اهاروتشون، وابشلوم بنبيرج ومساعدوهما من أبناء الاستيطان اليهودي عام ١٩١٦ والتي كانت بمثابة منظمة تجسس موالية للبريطانيين.

لقد كان الهدف، خلق تعاطف تجاه الحركة الصهيونية، في أوساط كادر الضباط البريطانيين، والذي كانت غالبيته تميل لصالح العرب. وهكذا وإزاء النظرية التي طرحها توماس ادوارد لورنس الشهير، ومؤيدوه، تمكنت الحركة الصهيونية من كسب عدة مؤيدين متحمسين للصهيونية، والذين أخذوا ينادون بتسريع تحرير البلاد من أيدي الأتراك. وكانت المعلومات التي يتم تجميعها في (أرض إسرائيل) تجمع في محطة التجارب الزراعية في عتليت، وتنقل من هناك إلى القيادة البريطانية في القاهرة.

بيد أن تسرع أعضاء الشبكة، وعدم توخيهم الحذر، أفضيا في نهاية المطاف، إلى سقوطهم في قبضة الأتراك في تشرين الأول ١٩١٧، وقد قام الأتراك بإعدام قسم منهم، وعمد قسم آخر إلى الانتحار للتخلص من التعذيب، أثناء الاستجواب، وتمكن قسم آخر من الفرار والاختباء.

أدى إلقاء القبض على الشبكة والاعترافات التي أدلى بها أعضاؤها، إلى جعل الاستيطان اليهودي برمته مطاردا، ويواجه وضعا خطيرا جدا، على وجوده. ولا شك أن هذه الحادثة قد خلقت أزمة حادة لدى الكيبوتس، وجعلته يحجم عن القيام بأي عمليات على صعيد الاستخبارات.

بيد أن ضرورات واحتياجات الحياة تغلبت على التردد والأحجام، على الأقل في أوساط بعض نشطاء الاستيطان.

ويمكننا الإشارة،بهذا الصدد، إلى المجموعة (اليافاوية)، وهي جماعة انتظمت وعملت في يافا، خلال مرحلة الحرب العالمية الأولى، وشكلت فيما بعد نواة الدفاع في يافا وتل أبيب. وقد عمل أعضاء هذه المجموعة في شراء الأسلحة وأعمال الحراسة، وفي نفس الوقت، شكلت نوعا من أنواع العمل الاستخباري لمتابعة التحركات العربية في يافا. وقد عمل في إطار هذه المجموعة بحماس بالغ، ديفيد تدهر والذي عمل سابقا ضابطا في شرطة الانتداب كرجل مباحث معروف.

وقد حاولت منظمتا (نيلي وهشومير) ضم هذه الجماعة إلى صفوفها، بيد أن الجماعة اعتبرت نفسها خاضعة للجنة تل أبيب، والمكتب الإسرائيلي العام.

وفي غضون العام الأخير من الحرب العالمية الأولى، تم تشكيل المكتب اليهودي في يافا، والذي عمل إلى جانب القيادة البريطانية.

وفي أعقاب استكمال البريطانيين احتلال جنوب البلاد، عاد من مصر عدد من رجال منظمة (نيلي) الذين ظلوا يواصلون عملهم الاستخباري لصالح البريطانيين، وذلك توطئة لمواصلة احتلال شمالي البلاد وسورية.

وقد كرس رجال المنظمة التي شكلها أهارونسون عملهم، في متابعة المزاج السائد في أوساط الجماهير العربية في "أرض إسرائيل". وإضافة إلى عملهم لصالح البريطانيين، كان بمقدورهم متابعة ما يجري في العالم العربي، وعلى وجه الخصوص تجاه الاستيطان اليهودي.

فقد كان رجال المكتب اليهودي، أول من لفت النظر إلى النشاطات التي يقوم بها أعضاء الرابطة المسيحية الإسلامية في يافا ضد النشاطات الصهيونية.

وفي نهاية الحرب العالمية الأولى، جرى إغلاق المكتب اليهودي. وفي مطلع عام ١٩١٨ وصلت إلى البلاد لجنة النواب برئاسة الدكتور حاييم وايزمن، والذي قبل العمل كممثل للهستدروت الصهيوني العالمي، لدى سلطات الانتداب، بغية تقديم النصائح لها، في كل ما يتعلق بتنفيذ وعد بلفور، واقامة الوطن القومي

اليهودي. وبمبادرة من الدكتور(مونتجيو ديفيد ايدر) وهو عالم نفسي إنجليزي، وعضو في (لجنة النواب)، وأحد ممثلي الإدارة الصهيونية في البلاد في العشرينات، وزئيف جيبوتنسكي، تم تشكيل (مكتب المعلومات) للعمل إلى جانب لجنة النواب، وتمثلت مهمته في جمع المعلومات حول ما يدور في أوساط العرب.

وكلف المكتب أيضا، بمتابعة ما يجري في أوساط الروابط العربية الوطنية، التي بدأت العمل آنذاك، والمنظمات الإرهابية المنبثقة عنها، وحماية الشخصيات والزعماء اليهود. وقد ترأس هذا المكتب، اسحق شنيآرسون- أحد رجال منظمة (نيلي) والذي تعلم العمل الاستخباري على أيدي البريطانيين خلال الحرب.

ومن الجدير بالذكر أن المعلومات التي كان المكتب يجمعها، كانت تنقل إلى البريطانيين نظرا لعدم تشكيل جهة تنفيذية في الاستيطان اليهودي، قادرة على استخدام تلك المعلومات. هذا ولم يحظ عمل هذا المكتب بالرضى من قبل جميع الجهات، فقد وجهت بعض الجهات الاستيطانية انتقادات إليه- بدعوى أنه يضفي على المعلومات التي يجمعها طابعا سياسيا. ولم يتم إغلاق هذا المكتب الا في أعقاب انتهاء الحكم العسكري في البلاد في تموز ١٩٢٠ وقدوم المندوب السامي البريطاني هربرت صموئيل اليهودي إليها.

وتجدر الإشارة، إلى أن هناك اوجه شبه كبيرة بين منظمة (نيلي) ومكتب المعلومات، فالاثنان عملا في مجال الاستخبارات السياسية والاثنان نقلا المعلومات إلى البريطانيين، وأثارا معارضة شديدة، رغم أن المعارضة ضد نيلي كانت اشد واكثر عداء.

ولربما كان هذا العداء، هو الذي حدا بالقائمين على تشكيل(هشاي) للحفاظ على سريتها التامة عندما تم إنشاؤها ليس تجاه البريطانيين فقط، بل أيضا تجاه الجماهير اليهودية. ولم تتورع الجماهير الإسرائيلية أيضا عن إبداء تحفظاتها تجاه

منظمة (هشومير)، التـــي تزعــم أنـــها أول مـــن أقـــام مجموعـــة اســـتخبارية فـــي أرض إســرائيل.

إن المبدأ العسكري الذي تمـــت صياغتـــه آنـــذاك، والقـــائل:" اعـــرف، واضـــرب العدو" كان مبدأ مقبولا لدى جميع الجـــهات الاســـتخبارية آنـــذاك.

كان أعضاء منظمة (هشومير) في تلك الآونـــة اكـــثر الأشـــخاص الذيـــن يعرفـــون العرب، بيد أن المنظمة كانت تواجـــه الكثـــير مـــن الانتقـــادات والاتـــهامات القائلـــة أنـــها تميل إلى انتهاج أسلوب خطـــابي، بعيـــد كـــل البعـــد عـــن الواقـــع، إضافـــة إلـــى عـــدم خضوعها للرقابة اليهودية العامة، ونشـــاطاتها المتطرفـــة التـــي تجـــري فـــي الكثـــير مـــن الاحيان وفقا لآراء أعضائها فقط. وقد أفضت هذه الانتقادات، إلـــى بـــروز تحفظـــات مـــا، في أوساط قسم من الزعامة اليهودية اليسارية. إن هذه الحقيقـــة مهمـــة نظـــرا لان العـــداء بين هشومير ونيلي منذ ذلك الحيـــن، يعكـــس النضـــال والـــنزاع حـــول الســـيطرة علـــى منظمات الدفاع والمخـــابرات فـــي إطـــار توســـع هيمنـــة هـــذه المنظمـــات فـــي أوســـاط الاستيطان اليـــهودي.

وبناء على ذلك، يمكننـــا الافـــتراض أن اليســـار بكـــامل جماعاتـــه ســـيأتلف فـــي دعمه لمنظمة هشومير، بيد أن الأمور لـــم تجـــر علـــى هـــذا النحـــو، فالتحفظـــات التـــي أبداها بعض زعماء اليســـار تجـــاه هشـــومير ناجمـــة عـــن رفـــض المنظمـــة للخضـــوع للمؤسسات الوطنيـــة.

وفي نهاية ١٩٢٠، وفي أعقـــاب حـــل هشـــومير، تـــم إنشـــاء منظمـــة (الـــهجناه) والتي شكلت فيما بعد، نواة قوة الدفـــاع العبريـــة فـــي "أرض إســـرائيل". ونظـــرا لانعـــدام التجربة والخبرة، لم تنشـــئ الـــهجناه جـــهازا اســـتخباريا لجمـــع المعلومـــات، بـــل ولـــم تكن لدى قادتها فكرة، عن ضرورة تشـــــــــكيل مثـــل هـــذا الجـــهاز، أو عـــن جـــدوى جمع المعلومـــات.

بيد أن الظروف والضرورة حدت ببعــض الأشــخاص، لان يبـدوا اهتمامــا بمــا يدور في أوساط جيرانهم العرب، لكن هذا الاهتمام، لم يــأخذ طابعــا منظمــا.

لقد شكل أعضاء هشومير السابقون نوعا مــن أنــواع الحركــات الســرية، داخــل منظمة الهجناه، وحافظوا على الصلة بينهم، وواصلوا متابعــة مــا يجــري داخــل الوســط العربي. وقد تم الاستناد إلى معرفتــهم، وتجربتــهم وصلاتــهم مــع جــهات فــي الوســط العربي في القرى في جميع أنحاء البلاد، كأســاس وقــدوة لإنشــاء (هشــاي). هــذا وقــد عمل العديد من الأشخاص بصورة منفــردة، وعلــى مســئوليتهم الشــخصية فــي مجــال التجسس على العرب ومتابعة ما يجري فــي أوســاطهم.

وهكــذا، ولــدت إمكانيــة العمــل الاســتخباري المســاند، وتواجــد الأشــخاص القادرون على تطوير ووضع أسس المبــادرة فــي العمــل الاســتخباري، بيــد أن الجــهود لم تبذل، على صعيد تركيز جهود هذه الجهات والاســتفادة مــن كفاءاتــها.

ولم يستق الاستيطان اليهودي عبرا وعظات حقيقيــة مــن أحــداث الشــغب التــي وقعــت عام ١٩٢١، ورغم تنفيذ بعض العمليات الانتقاميــة العفويــة، هنــا وهنــاك علــى أســاس المعلومات التي تم جمعها- مثل العمليــة التــي نفــذت ضــد" توفيــق بــك" عــام ١٩٢٣ جراء تحريضه المتظاهرين فــي يافــا، ضــد الاســتيطان اليــهودي، الا أنــه كــان لــدى الاستيطان العبري آنذاك شــعورا بــالعجز.

ويحاول (دنين) في المقابلة التي جرت فــي منزلــه عــام ١٩٧٢ توضيــح ماهيــة ذلك الشعور، ويقول:" لقــد تداخــل الافتقــار إلــى المبــادرة مــع المجــال الاســتخباري، بالعجز العام من قبل الاستيطان اليــهودي تجــاه الإمكانيــات الهائلــة التــي فتحــها وعــد بلفور أمامــه".

ويضيف: الشعب اليهودي لم يدرك الزخم الهائل الكامن في الوعــد، لــذا لــم يتــم تكريس تفكير ودراسة منهجية كافية لاقامة المنظمــات الاســتخبارية التــي يتطلــب الوعــد

إنشاءها، وبذلك فقط، يمكنني أن أوضح عدم اتخاذ الاستيطان اليهودي أي خطوة لمواجهة المحرضين العرب ضد الاستيطان، رغم علمه بهم وبأسمائهم.

المحاولات التي بذلتها الحركة الصهيونية عشية نشوب الحرب العالمية الأولى وفي أعقابها، باءت جميعا بالفشل. وكانت المدن والقرى العربية قد بدأت تشهد منذ عام ١٩١٨ تكون روابط إسلامية مسيحية، ترمي إلى توحيد العرب في نضالهم ومواجهتهم للآثار المترتبة على وعد بلفور. كما تشكلت مجموعات فدائية سرية، حصلت على أسلحة وتدريبات.

لقد أفضت هذه التحركات والتحريضات إلى نشوب أحداث الأعوام ٢٠،٢١،١٩٢٣ إلى نشوب أحداث والتي اتخذت طابعا سياسيا، وقادتها قوى جديدة.

بيد أن قيادة الاستيطان اليهودي، لم تكن تعلم بكل هذه التمخضات ومسبباتها، واعتبرتها مجرد أحداث محلية عابرة. ولم تكن قيادة الاستيطان من الكفاءة بحيث تتمكن من ملاحظة ظواهر التبلور الوطني الفلسطيني، وضعف القيادة العربية التقليدية، وظاهرة بدء بروز الزعامة الشابة والمتطرفة.

أما على الصعيد الميداني، فقد بدأت تظهر في أوساط الاستيطان اليهودي مبادرات محلية شخصية ومستقلة في مجال المخابرات، سواء أكان ذلك تواصلا واستمرارا للأطر التي أشرنا إليها سابقا، أو مبادرات جديدة، وقد برزت على هذا الصعيد جهتان هما: شرطة "أرض إسرائيل" وشعبة المخابرات في المدن تل أبيب وحيفا والقدس.

لقد كانت سياسة استيعاب الأبناء في الشرطة المحلية نتاجا للتقليد البريطاني الانتدابي الاستعماري بعيد المدى، وقد تبدت في أحلى صورها، في نهاية الحكم العسكري البريطاني على "أرض إسرائيل". فحال تأسيس الحكم المدني البريطاني الانتدابي برئاسة المندوب السامي، تم تجنيد عرب ويهود للشرطة. وقد التحق اليهود

بالشرطة، بادئ ذي بدء، بمبادرات شخصية، ثـم بـدأت (الـهجناه) تنظـم هـذه العمليـة، وترسل الأشخاص الذين تريدهم لسلك الشرطة، بهدف تدريبـهم علـى السـلاح.

وفي عام ١٩٢٣، التحق بالشـرطة افرايـم ديكـل، ونظـرا لأنـه كـان ذا حـس مبادرة وتنظيميا متميزا، فقد بدأ تنظيم رجال الشرطة اليـهود فـي العديـد مـن الأمـاكن. وقد ركز اهتمامه، في البداية، على شرطة تل أبيـب -يافـا، الذيـن كـانوا يعملـون فـي إطار منظمة الهجناه، ويرسـلون المعلومـات التـي يحصلـون عليـها إلـى (دوف هـوز والياهو جولومب) عضوي مركز الهجناه، والعاملين فـي اللجنـة المركزيـة للهسـتدروت كصورة من صور التمويـه.

وفي عام ١٩٢٦، بـادرت منظمـة الدفـاع إلـى عـرض إمكانيـة تجنيـد عـدة عشرات من الشبان اليهود في الشرطة، بغية خلق حالة توازن مـع العـرب الذيـن كـانوا يعملون في سلك الشـرطة تحـت إدارة ضبـاط بريطـانيين، وبالتـالي، الحصـول علـى ترخيص رسمي بحمل السـلاح، وتعزيـز ثقـة المسـتوطنات اليهوديـة، واليـهود الذيـن يقطنون في أحياء مختلطة. وتجدر الإشارة إلى أن العديديـن منـهم لـم يصمـدوا طويـلا، نظرا لشروط العمل الصعبة، ونظرا لان البريطانيين كـانوا يتعـاملون معـهم كـأولاد.

ومن بين هؤلاء المتجندين، كـان يـهودا ارزي، والـذي نفـذ فيمـا بعـد، مـهام صعبة للغاية، في إطار العمليـات الأمنيـة الإسـرائيلية فـي أوروبـا وإسـرائيل، عشـية حرب ١٩٤٨، وخلالها. وقد تدرج في سلم الترقيـات فـي الشـرطة، حتـى وصـل إلـى رتبة ضابط، وعمل في البداية في تل أبيب، ثم عمل فـي مبـاحث القـدس.

كـان أرزي شـجاعا ولا يخيفـه شـيء وقـد اعتـاد الاطـلاع علـى الملفـات الموجودة في الشرطة، ونقل المعلومات اللازمة إلـى قيادتـه، وهكـذا، زود هـذه القيـادة بمعلومات ذات قيمة كبيرة جدا، حول العرب، وحـول الوشـاة اليـهود، وحـول الأسـلحة التي بدأت تصل إلـى الـهجناه، ونشـاطات الشـيوعيين اليـهود المنـاوئين للصهيونيـة، والذين تم اعتبارهم شركاء للمفتي فـي القـدس.

وخاطر ارزي بنفسه، عندما شارك في عمليات تهريب الأسلحة من الخارج إلى الهجناه، وإنزالها من السفن التي تصل إلى الموانئ. ولا شك أن كونه ضابطا، قد ساعده مساعدة كبيرة، بيد أن هذا الوضع تطلب منه أيضا جرأة هائلة.

لقد أدت عملية مقتل أرلزوروف عام ١٩٣٣،والخلافات التي أثارتها هذه العملية في أوائل الاستيطان اليهودي، إلى دفعه للاستقالة من الشرطة، بعد أن توصل إلى استنتاج مفاده، أن أرلزوروف لم يقتل بأيدي اليهودي.

ورغم ذلك، بقي بمثابة ركيزة أساسية من ركائز العمل الأمني والاستخباري والتنفيذي لمنظمة الهجناه، وتميز بصورة خاصة، في مجال شراء وتهريب الأسلحة إلى إسرائيل من الخارج.

ورغم أن العديد من رجال الشرطة اليهود عملوا كأرزي، الا أن عددا لا يستهان به منهم لم يعملوا مع الهجناه، خوفا من المخاطرة، أو إخلاصا لعملهم وللبريطانيين.

ويمكننا القول، أن شرطة الانتداب بجميع فروعها التي عمل فيها اليهود، تحولت منذ نهاية العشرينات، إلى مصدر من المصادر الخصبة والمفيدة جدا، على صعيد الحصول على معلومات تتعلق بالعرب في (أرض إسرائيل) والذين كانوا، أنذاك، الهدف الاستخباري الذي يحتل المكانة الأول بالنسبة للهجناه، والزعامة الصهيونية في "أرض إسرائيل"، وذلك دون أن تضطر تلك الزعامة لتخصيص موارد، للحصول على هذه المعلومات.

ويقول ديكل في الكتاب الذي ألفه بعد ذلك، أنه يعتبر تأطير رجال الشرطة اليهود، بمثابة بداية تكوين جهاز مخابرات الهجناه، وقد حرص في إطار هذا التأطير، على نشر رجال الشرطة في جميع الأماكن الحيوية: في السجون ومحطات وقيادات الشرطة، وفي قلب المدن وخارجها. وقد تلقى رجال الشرطة أوامر تنص

على ضرورة الإصغاء، وتقديم التقارير، حول جميع المسائل ذات القيمة للاستيطان اليهودي، والحفاظ على كرامته.

وفي أعقاب عملية التجنيد المركزة التي قام بها الكيبوتس الموحد في الثلاثينيات عمد ديكل إلى تكوين نوع من أنواع الوسط الوطني في شرطة تل أبيب، ثم في باقي محطات الشرطة في يافا والرملة وبئر السبع وغزة.

واتضح من خلال المعلومات التي نقلها رجال الشرطة إلى الهجناه، أن أرقام ملفات التحقيق متسلسلة بيد أن كل شعبة تبدأ ملفاتها برقم معين. وتبدو هذه المعلومة إدارية بحتة، بيد أن أهميتها كانت كبيرة جدا، نظرا لان الهجناه كانت تعرف مسبقا وبناء على رقم الملف، طبيعة التهمة التي ستوجه لأي يهودي، يتم استدعاؤه إلى الشرطة أو المحكمة، أو أي مكتب حكومي آخر.

ونورد فيمايلي تقريرين وصلا إلى الهجناه من رجال الشرطة، إبان أحداث عام ١٩٣٣:

-٢٦-١١-٣٣: تلقينا معلومات موثوقة تفيد بان شرطة بيتح تكفا تلقت أمرا يقضي بإجراء تفتيش بدءا من يوم غد ٢٧-١١-٣٣: لسيارات الحليب القادمة إلى تل أبيب من العفولة وبنيامينه، ونقطة أخرى في الغور. ولدى الشرطة معلومات تفيد بانه يتم نقل أسلحة في هذه السيارات. وقد وقع التقرير شخص باسم العاد -بيتح تكفا- الساعة ١٧،٣٠.

وفي تقرير آخر وردت أسماء ثمانية أشخاص من اليهود مطلوبين للشرطة، بتهمة أنهم شيوعيون. وقد وقع التقرير بتاريخ ٢٨-١١-١٩٣٣.

ولم يقتصر عمل ديكل على الشرطة فقط، بل عمل على تجنيد أشخاص وموظفين وأدخلهم إلى المؤسسات والوزارات الحكومية الأحداث في تل أبيب.

ويعتبر (الحنان بن يهوداه) أحد الذين جندهم ديكل في بريد تل أبيب، وكان الحنان يعمل منذ عام ١٩٢٣، في صفوف الهجناه، وقد استدعاه ديكل عام ١٩٣٥،

وطلب منه أن ينظم شبكة (هشاي) في البريد وشعبة البرقيات، وأن ينقل إليه جميع المواد الهامة والمشبوهة كالرسائل الموجهة إلى السكرتير البريطاني الأول في القدس، أو الشرطة البريطانية والمباحث. وكانت هذه الرسائل تعاد إلى البريد، بعد أن يتم الاطلاع على فحواها.

وقام ديكل أيضا بتجنيد آرييه تتنبويم موظف السنترال المركزي للهواتف في شارع الملك جورج في يافا، لجمع المعلومات عن طريق الإصغاء والتنصت على المحادثات الهاتفية، قبل اندلاع أحداث عام ١٩٣٦.

لقد بدأت عمليات الاستخبارات البلدية التي ظهرت نهاية العشرينات، تكتسب صورة رسمية، عام ١٩٣٣، حيث تمت خلال هذا العام، وبمبادرة من الهجناه والوكالة اليهودية، إقامة شعبة استخبارات في المدن الكبرى، وتم تعيين شاؤول أبيجور رئيسا لهذه الشعبة.

وإزاء الوضع الذي ساد آنذاك تطورت نظريتان استخباريتان في تل أبيب وحيفا، اعتبرت النظرية الأولى أن أسس العمل الاستخباري تقوم على البحث عن المعلومات، مع التأكيد على توسيع مجالها ومصادرها وتنويعها بغية استخدامها في إطار الزمان والمكان المناسبين، في حين اعتبرت النظرية الثانية، أن أسس العمل الاستخباري تقوم على التفكير ومحاولة فهم الأوضاع والمسارات من خلال الأبحاث، والتعامل مع المعلومات بصورة منهجية ومنطقية، فقد نجح مثلا مواطن سويسري إبان الحرب العالمية الثانية، في بناء تصور لأماكن الوحدات الألمانية، بناء على إعلانات ألعاب كرة القدم، التي كانت تجري بين الوحدات المختلفة ويتم الإعلان عنها في الصحف.

ومن الجدير بالذكر، أن هاتين النظريتين لا تتعارض إحداهما مع الأحداث، بل ربما كان الأمر على العكس تماما، فالدمج بينهما بنجاح يتضمن إحراز أفضل النتائج.

أما إذا ما نشب صراع بين هاتين النظريتيـــن، وأخــذت كـل واحــدة تقلـل مــن شأن الأحداث، وبدأ النشطاء الميدانيـــون يسـخرون مــن موظفــي المكــاتب، فــإن ذلــك سيكون دلالة أكيدة، على وجود خطأ ما في الفهم، يجب العمـــل علــى إصلاحــه.

لقد كان الفهم الاستخباري، الذي تطور فـــي تـل أبيــب، مــن النـــوع الأول، فـــي حين كانت نظرية حيفـــا مـــن النـــوع الثـــاني، وكمـــا يبـدو فـــان الاختــلاف فـــي تبنـــي النظريات، يرجع إلى طبيعة الأشخاص الذيـــن ترأسـوا العمـــل الاســتخباري: ديكــل فـــي تل أبيب، وعمانوئيل يلن في حيفا. وفي الوقت الذي كان فيــه ديكــل رجــل عمــل ميدانيـــا خاض تجارب عملية كثيرة، كان عمـــانوئيل يلــن عـــالم آثـــار، وأكاديميـــا، وقــد تحولــت منهجيته في العمل، فيما بعد، إلى ذخر كبــير. ومـــن الجـــائز أيضـــا أن يكـــون الاختـــلاف قد نجم عن طابع الجهة التي يخدمها كل واحد منهما. فقد عمـــل ديكــل بـــأمر مـــن قيـــادة الهجناه، ونقل معلوماته فقـــط إلـــى قادتـــها الذيـــن كـــانوا يتخـــذون مقرهـــم فـــي الفرقـــة رقم(١٧)، في مبنى اللجنة التنفيذية للهستدروت في شـــارع اللنبـــي، فـــي حيـــن كـــان يلـــن مرتبطا بالوكالة اليهوديـــة.

ويقول يلن: "يعتبر العمل في الآثار بمثابة تـــأهيل جيــد جــدا للعمـــل فـــي إطـــار المخابرات، نظرا لان العمل في الآثار يقوم أساسا، علـــى ضـــرورة تمتـــع العـــالم بخيـــال واسع جدا، حيث يتوجب على العالم، وأيضا على رجـــل المخـــابرات بنـــاء صـــورة واقـــع بعيدة كل البعد عنه، بناء على معلومات والماحـــات متفرقـــة يقـــوم بالتقاطـــها وتجميعـــها بصبر وأناة، وبعد أن يصنفها يحـــاول اســـتخلاص شـــيء مـــا منـــها. والحقيقـــة، هـــي أن الكثيرين ممن عملـــوا فـــي مجـــال الآثـــار فـــي الشـــرق الأوســـط، كـــانوا نشـــطاء فـــي المخابرات البريطانية والأميركيـــة".

وقبل أن يفتح يلن مكتب الآثار عام ١٩٣٣، تمكـــن بعـــض العـــرب مـــن التســـلل إلى مستوطنة (نهلال) وألقوا قنبلة داخل منزل أحد مســـتوطنيها ممـــا أســـفر عـــن مقتلـــه هو وابنه. وبعد عدة أسابيع، دعي يلن للغـــداء فـــي حيفـــا مـــع شـــاؤول ابيجـــور وحـــاييم

شطورمان، وكانت الهجناه قد طلبت من ابيجور البحث عن العرب الذين قتلوا المستوطن وابنه، وكان شطورمان يساعده.

وخلال الغداء، سأل ابيجور يلن فيما إذا كان يوافق على تركيز العمل الاستخباري في حيفا والشمال، فوافق يلن على ذلك واخذ يعد العدة لذلك، في مكتبه القائم في شارع القدس-١٢، بحيفا.

ورغم أن يلن ركز عمله بصورة أساسية حول العرب، الا أنه لم يهمل القطاعين البريطاني واليهودي أيضا، حيث شغله الشيوعيون والاصلاحيون إلى حد كبير، وفي البداية، كان يقدم تقاريره إلى مركز الهجناه في تل أبيب، بيد أنه سرعان ما تأكد أن من الأجدى إقامة الاتصال مع قيادة الهجناه في حيفا، فعندما كان الامر يتعلق بالمعلومات، كانت هذه القيادة تعتبر (زبونا) شديد الأهمية، يجب تزويده بمعلومات عاجلة. وهكذا أقام علاقة قوية مع قائد المدينة يعقوب دوري، والعديد من الشخصيات الرئيسية العاملة في الهجناه.

ومن الجدير بالذكر، أن البريطانيين عملوا آنذاك على بناء ميناء حديث في حيفا، وذلك لاستخدامه قاعدة للأسطول الملكي، في حوض البحر المتوسط، وهو الامر الذي حول حيفا إلى مدينة مركزية وهامة.

وكان الكابتن (ري سترينج)- ممثل المخابرات السرية البريطانية في حيفا أحد معارف (يلن)، وكان سترينج يرسل التقارير حول ما يدور بين العرب واليهود مباشرة، إلى وزارة الخارجية البريطانية.

لقد لعب (سترينج) مع يلن، لعبة مزدوجة، فقد اعتاد إعلامه بمعلومات عن العرب بل وتحذير الهجناه من التفتيشات التي تعتزم المخابرات والجيش البريطاني إجراءها في أماكن السكن اليهودية، وذلك مقابل الحصول على معلومات تهم مرؤوسيه. ومثلما هو معمول به في مثل هذا الوضع من التقاء مصالح عملاء الاستخبارات، حاول كل منهما تقديم أقل القليل، والحصول على أقصى ما يستطيع.

وذات يوم قدم سترينج إلى يلــن الكــابتن(أورد وينجيــط)، ذلــك الضــابط الــذي أسهم، فيما بعد، في إحداث انقلاب واسع جدا، في تفكــير الاســتيطان اليــهودي الأمنــي.

وعلى غرار عدد كبير من السياســيين والشــخصيات البريطانيــة، التــي عاشــت في نهاية القرن التاسع عشــر، ومطلــع القــرن العشــرين، آمــن ســترينج بــأن مصــير الإمبراطورية البريطانية رهــن بنجــاح النشــاطات الصهيونيــة، واعتقــد، مثــل الكــابتن (وينجيط)، بضرورة اتخاذ خطوات أكثر شــدة ضــد العــرب. وقــد أيــد خــلال أحــداث ٣٦-١٩٣٩ العمليات المضادة للعرب التي قــامت بــها منظمــة الاتســل، ومــن الجديــر بالذكر أن عشرات البريطانيين من أمثاله، قدمــوا المســاعدات إلــى (هشــاي) دون مقــابل لنفس المفهوم آنف الذكــر.

وكان يلن يستعين في عمله بــالحراس اليــهود العــاملين فــي أراضــي الصنــدوق القومي اليهودي، ورجال الشرطة اليهود فــي حيفــا.

ومن الجدير بالذكر، أن (هشاي) لم تكن تقيم في تلــك الأوليــات فرعــا لــها فــي القدس، وقد أوكلت قضيته معالجة الوضع هناك، إلــى الشــعبة السياســية التابعــة للوكالــة اليهودية، والتي عمدت إلى تفعيل رجالــها هنــاك.

وإزاء الاستعراض السريع لتطور (هشــاي) فــي المــدن الكــبرى، فــإن الســؤال الذي يطرح نفسه هو: لمــاذا بــادر الاســتيطان اليــهودي وخــلال عــام ١٩٣٣ بــالذات، بتقديم طلب رسمي للاشتغال في المجــال الاســتخباري بصــورة منظمــة؟ لقــد تضــافرت العديد من العوامل لتجعل من عام ١٩٣٣ عامــا ذا طــابع خــاص، فقــد بــدأت الجمــاهير اليهودية تكتشف رويدا رويدا، إلــى أي حــد تبلــورت النظــرة القوميــة لــدى الجمــاهير الفلسطينية، كما أدركت أن قيادة جديدة للفلسطينيين أخــذت تتبلــور فــي صــورة حزبيــن، الأول برئاسة الحاج أمين الحسيني مفتــي القــدس، والــذي صــار فــي أعقــاب أحــداث حائط البراق عام ١٩٢٩ إلى زعيم أعلى للفلســطينيين، وحــزب الاســتقلال المتطــرف.

لقد فاجأت المظاهرات وأعمال العنف التي قام بها العرب، آنذاك، ضد سلطات الانتداب البريطاني، الاستيطان اليهودي، تماما مثلما فاجأته أحداث عام ١٩٢٩. ورغم أن تلك المظاهرات لم توجه ضد اليهود، ولم تطالب بدمهم، إلا أنه بات من الواضح أن هذه المظاهرات ما هي سوى بداية أعمال منظمة، تختلف في نطاقها وجوهرها عن الأشخاص السابقين، بصورة قد تؤثر على وجود وتطوير الاستيطان اليهودي. وظهرت هذه المخاوف بصورة أكبر، على أرضية مطالبة الزعامة الفلسطينية الجديدة، بوقف الهجرة اليهودية.

لقد أدت المطالبة المتشددة وأعمال العنف التي صاحبتها إلى إحداث إحراج وإحباط كبيرين في أوائل الاستيطان اليهودي، الذي أدرك أنه لم يكن يعلم سوى القليل عن طبيعة العرب، وأن جهاز المخابرات القائم خيب الآمال التي علقت عليه.

أضف إلى ذلك، أن عام ١٩٣٣ كان نفس العام الذي تسلم النازيون فيه السلطة في ألمانيا، وقد أدى بزوغ نجم النازية إلى إحداث أمرين هامين: الأول هو تحويل الحركة الصهيونية والهجرة اليهودية من حركة طلائعيين إلى حركة جماعية واسعة. أما من الجانب الآخر، فقد طرحت أمام الحركة الوطنية العربية، نموذجين لزعيمين أوروبيين هما: بنيتو موسوليني، وأدولف هتلر، اللذان تنافسا فيما بينهما بنجاح، ضد بريطانيا، وانتهجا سياسة قريبة من السياسة الأوتوقراطية التي تنتهجها شعوب الشرق الأوسط وقد أبدى الزعيمان اهتماما بالتقارب مع العرب.

أضف إلى ذلك، أن عام ١٩٣٣ شهد أزمات داخلية هددت بانقسام الاستيطان اليهودي. فقد واصل الحزب الشيوعي القطري دعمه للنضال العربي ضد الانتداب البريطاني والاستيطان اليهودي، وفقا لأوامر منظمة (الكومنيترن)- وهي منظمة الشيوعية الدولية التي اعتبرت النضال العربي بمثابة تمرد ضد الإمبراطورية البريطانية.

وكي نؤكد على مدى وطابع هذا التطور، نورد التقرير الـــذي وصـل إلـى قيـادة (هشاي) في حيفا، في الثامن مــن تشــرين الأول ١٩٣٣.

"قال لي أحد اليهود أن" شيوعيا يهوديا يدعى الدكتـــور (أ.أ) قـد قـدم إلـى البـلاد كسائح قبل ستة أسابيع، وقد ساعده (ب.ب) في الحصـــول علـى تأشـيرة سـياحية، تحـت غطاء أنه سكرتيره الشخصي، حيث أجرى (أ.أ) مفاوضـــات مـع بعـض ضبـاط شـرطة (هلويد ترياستينو) الملاحية الإيطالية، العاملة في خـــط إيطاليـا- أرض إسـرائيل- بشـأن تهريب أسلحة، والتي سبق أن أرسلت إلى ألمانيا عـبر النمســا، وبقيـت فـي (ترياســت)- بغية بيعها للعرب. ويقال أن (أ.أ) يجري اتصـــالات مـع الشـيوعيين.

"وفي إطار توخي الحـــذر، أود أن أقـول أننـي لا أعـرف مـدى صحـة النبـأ، نظرا لأن هناك أمورا لا تصدق في هذه القضية، وعلـــى أيـة حـال أنـا أعلمتـك بالنبـأ، لأنني لا أرغب في إخفاء شـــيء.

ومن الجدير بالذكر، أن انقساما كان قد وقـــع فـي أوائـل منظمـة الــهجناه عـام ١٩٣١، وأسفر عن تشكيل منظمة (الإتسل) – المنظمـــة العسـكرية الوطنيـة.

وخلال أعياد الفصح عـــام ١٩٣٣، وقعـت صدامــات شـوارع عنيفـة فـي تـل أبيب بين أعضاء منظمة (بيتـــار) بملابســهم ذات اللــون البنــي، وبيــن أعضــاء نقابـة العمـــال. وبعـد حوالـي شـهرين. وفـي حزيـران ١٩٣٣، قتـل الدكتـــــور حـــاييم ارلوزوروف، رئيس الشـعبة السياسـية فـي الوكالـة اليهوديـة، وقـد أشـارت أصـابع الاتهام، بادئ ذي بدء، إلى ثلاثة يــهود مــن منظمــة "تحـالف الزعـران" وهــي منظمـة سرية مؤيدة للفاشــية.

ولست هنا بصدد الخوض في حجـم الكراهيـة الداخليـة التـي أثارتـها عمليـات الانشقاق بجميع صورها، فالاستيطان اليـــهودي المنظـم بقيـادة الزعامـة المنتخبـة مـن شخصيات المعسكر اليساري والمعسكر اليميني، والمعســكر الدينـي الوطنـي- لـم يكـن

قادرا على تحمل ظاهرة التشكل التنظيمي خارج الأطر العاملة، وبناءً على ذلك باتت مسألة تحول المنشقين إلى هدف استخباري مسألة وقت ليس الا.

ويمكننا القول، أن شاؤول ابيجور يعتبر بمثابة الأب الروحي للمخابرات الإسرائيلية هذا رغم أن (دنين) كان على حق، حينما قال: أن المخابرات كانت آنذاك، بعيدة عن القيام بالمهام الموكلة إليها، وخصوصا على أرضية النقص الكبير في المعدات، والافتقار إلى المعرفة بهذا الصدد، وكانت هناك ضرورة لبذل جهود حثيثة من أجل توفير الميزانيات اللازمة والطاقة البشرية الكفؤة، وقد جاءت أحداث ٣٦-١٩٣٩ كدافع مفاجئ للعمل على هذا الصعيد. ورغم ذلك لم تكن لدى (هشاي) نظرية عمل استخبارية ثابتة ومبلورة تم تشذيبها واختبارها في العمل الاستخباري لدى هذه الدولة أو تلك.

لقد كانت هذه النقطة ذات مزايا وعيوب، فهي، من ناحية، وصفت العديد من العراقيل في وجه العمل الإداري والإجرائي، ومن الناحية الأخرى، جعلت القائمين على الأمور يدرسون القضايا التي توضع أمامهم دون الرجوع إلى نظريات، وبالتالي أخذ جميع ملابساتها بعين الاعتبار وهذا الاتجاه، هو الذي أحرز الإنجازات التي حققتها (هشاي) والمنظمات الاستخبارية التي نشأت بعدها.

الفصل الثاني

القصور الاستخباري

من أحداث ٣٦-١٩٣٩- وحتى إقامة الجهاز عام ١٩٤٠

يرتبط التوجه الاستيطاني اليهودي، نحـــو إقامـــة أجـــهزة مخـــابرات، بـــالتطورات السياسية والأمنية التي شهدتها البلاد خلال الفترة الواقعـــة بيـــن ٣٦-١٩٣٩. تلـــك الفـــترة التي أسماها الإسرائيليون فترة الأحداث، واسماها العـــرب فـــترة الثـــورة الكـــبرى، والتـــي شهدت مواجهات بين السلطات البريطانية والاســـتيطان اليـــهودي مـــن جـــانب، والقوميـــة العربية الآخذة في البروز والتبلور من الناحيـــة الأخـــرى.

وفي خضم هذه الأحداث، بـــدأت تتدفـــق علـــى أرض إســـرائيل موجـــات الـــهجرة الخامسة القادمة من أوروبا- وعلـــى وجـــه الخصـــوص مـــن ألمانيـــا- جـــراء المخـــاوف التي انتابت اليهود من تولي هتلـــر السـلطة، وقـــد بلـــغ عـــدد هـــؤلاء المـــهاجرين مائـــة وخمسين ألف نسمة، الامر الذي حولها إلـــى هـــدف لعـــداء الزعامـــة العربيـــة الفلســـطينية التي تبلورت في تلك الآونـــة.

لقد ســـاورت الزعامـــة الفلســـطينية مخـــاوف شـــديدة جـــراء تطـــور الاســـتيطان اليهودي والذي لم يكن عدده عـــام ١٩٣٦ يربـــو علـــى أربعمائـــة ألـــف نســـمة، وأخـــذوا ينظرون إلى المهاجرين الذين وصلوا على متن السفن إلـــى مينـــاء حيفـــا الجديـــد، كتـــهديد للطابع العربي (لأرض إســـرائيل) وبـــدت معـــالم اليقظـــة القوميـــة العربيـــة تبـــدو جليـــة واضحة في القرى، بصورة خاصـــة. وتحولـــت نـــابلس- التـــي حرصـــت علـــى الحفـــاظ على طابعها الديني الوطني- إلى مركز وطني فلســـطيني. واصبـــح أكـــرم زعيـــتر- قـــائد الشبيبة الوطنية في نابلس- أحد رموز التشـــدد الوطنـــي الفلســـطيني.

وفي الوقت الذي كانت فيه السرقة والسلب والنهب هي أحد الحوافز التي جذبت الجماهير الفلسطينية للعمل في أحداث ٢٠-١٩٢١، وإلى حد ما أيضا، خلال أحداث ١٩١٩ إلى جانب الدوافع الوطنية، فإن الحافز الأساسي للعمل، خلال أحداث ١٩٣٦، كان الدافع الوطني. ويمكننا أن نعزو إلى هذا الدافع مقتل ابراهام جلوتمان مستوطن (نهلال) في ضواحي قلقيلية.

لقد استحقت عملية قتله التي وقعت في آذار ١٩٣٦ الأحداث الدموية التي وقعت آنذاك.

وفي الخامس عشر من نيسان، قتل يهوديان بينما كانا، في طريقهما إلى قرية عنبتا.

وفي صبيحة اليوم الثاني، ردت منظمة الاتسل على هذه العملية، بقتل عربي وإصابة آخر بجراح بليغة، وبعد ثلاثة أيام، ثارت ثائرة الجماهير العربية في يافا ضد اليهود هناك. ورغم أن الاستيطان اليهودي حافظ على ضبط أعصابه إلى ابعد حد ممكن الا أن الأحداث بدأت تنتشر في جميع أنحاء البلاد.

وينبغي التأكيد، على أن الجانب العربي، أخذ الخسائر في الممتلكات والأرواح الفلسطينية خلال هذه الأحداث، في إطار المفهوم القومي، الآخذ في التبلور، كذلك، فقد أخذت العمليات طابعا منظما، وبدأت تتكون في العديد من المدن الفلسطينية لجان وطنية.

ففي الخامس والعشرين من نيسان ١٩٣٦ أي بعد حوالي أسبوع من الأحداث التي وقعت في يافا، تم تأسيس اللجنة العربية العليا من الأحزاب العربية الخمسة العاملة في فلسطين.

وبدا بوضوح، خلال الجلسة الأولى التي عقدتها اللجنة، أنها تنحو نحو التطرف وقد تم اختيار الحاج أمين الحسيني رئيسا لها.

وعين عوني عبد الهادي مؤسس حزب الاستقلال سكرتيرا.

وصادقت اللجنة العليا على المبادرات التي أكدت أنها تلقتها من الجماهير، وأشارت إلى أنها ستقود النضال القومي الآن، وعادت اللجنة إلى مطالبة حكومة الانتداب، بالمطالب العربية المعروفة:

- حظر الهجرة اليهودية إلى فلسطين.
- حظر تسليم الأراضي إلى اليهود.
- تشكيل حكومة مسئولة أمام مجلس شعبي منتخب.

وأفاد البيان، أنه إذا لم تقبل حكومة الانتداب المطالب آنفة الذكر حتى الخامس عشر من أيار ١٩٣٦، فإن اللجنة، ستعلن الإضراب العام، والعصيان المدني، وستبدأ عمليات تخريب وعنف ضد حكومة الانتداب، وضد اليهود في آن واحد.

لقد تواصل الإضراب عدة أشهر، حتى الثاني عشر من تشرين الأول. وقد أصبحت الإنجازات الجزئية التي أحرزها الإضراب رمزا للسنوات الثلاث العاصفة جدا التي تلته، ومارس خلالها العرب حرب عصابات ضد الاستيطان اليهودي، بصورة خاصة والأوبئة ضد جيش وشرطة الانتداب البريطاني، وقد أوقعت هذه الموجة أضرارا بجميع النقاط الاستيطانية اليهودية تقريبا، فدمرت الممتلكات، وقطعت الأشجار، واجتثت أشجار الحقول، وأصيبت حركة السير المنظمة بين المستوطنات بأضرار جسيمة، بهدف شلها وبالتالي عزل الاستيطان اليهودي. وقد قتل خلال الموجة عدد من اليهود، وهوجمت المستوطنات في وضح النهار، وتحولت المؤسسات والمواقع البريطانية، أيضا، إلى هدف للعمليات. وتم تخريب خط النفط الحيوي الممتد من العراق إلى ميناء حيفا، وخربت السكك الحديدية، وخطوط الهاتف والتلجراف.

بلغت الثورة العربية ذروتها في تشرين الأول ١٩٣٨، فزعماء الثورة لم ينجحوا في تحقيق أهدافهم، وقامت بريطانيا في نفس الوقت، بدفع تعزيزات كبيرة سيطرت على المدن الرئيسية.

وفي ظل هذا الوضع، بدأ العرب نوعا جديدا من النضال. حيث أخذت تتوافد على "أرض إسرائيل" عصابات مسلحة ونصف عسكرية، انضمت إليه أيضا عناصر جنائية. وقد اعتادت هذه العصابات أن تقيم لها مقرات في قرى التماس، وأن تفرض نفسها على الجماهير، وتحويل تلك القرى والمناطق المجاورة لها إلى قواعد للانطلاق ضد البريطانيين. وقد تحولت منطقة نابلس بصورة خاصة، إلى معقل لأشد العصابات.

وفي إطار مواجهته لهذه العصابات طور الجيش البريطاني أساليب عمل ومخابرات جديدة في المنطقة، وعمد إلى انتهاج أسلوب الشدة والمعالجة الجذرية، خلال الأحداث، مما أدى، في نهاية المطاف، إلى سيطرته على المنطقة والقضاء على تلك العصابات.

لم يبد الفلسطينيون، خلال هذه المرحلة وحدة كاملة على غرار ما هو متبع في جميع حركات المقاومة المعروفة في التاريخ، كما ثارت تعارضات جذرية فيما بين المعتدلين والمتطرفين. وتم اللجوء إلى العنف ضد أولئك الذين عارضوا التطرف. وكثرت أعمال القتل والتصفيات المتبادلة.

واستشرى الفساد بصورة هائلة جدا، وبرز، بشكل خاص، في أوساط الجماعات التي عملت مع الحاج أمين الحسيني، مفتي القدس، والذي لم يكن يتورع عن اللجوء لاستخدام أي وسيلة من أجل توطيد سيطرته على القرى العربية. إلى الحد الذي كان يفاجئ بتطرفه أبناء عائلة النشاشيبي، التي كانت تعيش حالة خصومة سياسية وعدائية مع عائلة الحسيني، منذ أجيال.

كان هناك توجهان في أوساط السلطات البريطانية، وكان التوجه الأول يؤيد ويتعاطف مع النشاطات الصهيونية وحق الاستيطان في التوسع، وخصوصا في أعقاب زيادة النشاطات اللاسامية ومطاردة اليهود في ألمانيا وأماكن أوروبية أخرى. وقد حظي هذا التوجه بتأييد وتعاطف قسم كبير من البرلمان البريطاني، والرأي العام البريطاني. كما حظي بتأييد غير متوقع، لدى مسئولين في وزارة الدفاع البريطانية في لندن. ويرجع تأييد أولئك المسئولين، إلى خشيتهم من إلحاق الأذى والضرر بسمعة الجيش البريطاني، إذا ما نجحت ثورة العرب في (أرض إسرائيل)، وأيدوا اللجوء لاستخدام القبضة الحديدية في قمعها.

لقد أعربت جميع الجهات المتحفظة في العالم من التصالح مع هتلر والنازية، عن تحفظها أيضًا من سياسة المصالحة البريطانية تجاه العرب في الشرق الأوسط.

هذا من جانب، في حين عارضهم من الجانب الآخر، موظفو وزارة الخارجية ووزارة الشؤون الهندية، وقطاع كبير من وزارة المستعمرات، وقد أكدت هذه الجهات أن المصالح البريطانية في الشرق الأوسط ستتعزز، إذا ما أيدت بريطانيا الطرف العربي، وقد أيد وجهة النظر آنفة الذكر، غالبية الموظفين البريطانيين العاملين في (أرض إسرائيل) في سلطات الانتداب، ومن ضمنهم كبير القضاة، وعدد من حكام المقاطعات، وقضاة الجهاز العسكري وعماله، ورؤساء الكنيسة الانجليكانية في البلاد.

ومن الجدير بالذكر، أن الوضع لم يكن متنازعا بين الرفض أو القبول لهذه السياسة أو تلك، بل كان هناك طرف ثالث، يقف في الوسط، يشتمل على عدد كبير من الإداريين البريطانيين في البلاد، وأبرزهم المندوب السامي السير ارثر وكوب. وكان هذا الطرف يعمل لمصلحة الطرفين اليهودي والعربي، ولهذا السبب، امتنع عن اتخاذ موقف واضح، بغية كسب الوقت، على أمل أن تتحسن الأوضاع.

عملت المجموعة المؤيدة للموقف العربي على إحباط الجهود التي كان يقوم بها المندوب السامي والجيش والشرطة، للسيطرة على الوضع بالأساليب الإدارية. وقد أدت المساعدات البريطانية العلنية والسرية المقدمة للعرب، إلى أحداث تحول في فهم الاستيطان العبري تجاه البريطانيين. وبدأت صورتهم تبدو كخصوم، رغم أنهم لم يرتفعوا في تلك الآونة، إلى مرحلة العداء.

وفي مطلع عام ١٩٧٣، أعلنت لجنة (بيل) عن نتائج تحقيقها في الوضع الساري في البلاد، وأوصت بتقسيم البلاد إلى دولتين يهودية وعربية على أن تضم الدولة العربية إلى مملكة شرق الأردن.

وقال معدو التقرير أنهم يعتقدون أن الانتداب البريطاني، ووفقا لمبادئه الأصلية، لم يعد قابلا للتطبيق، وأن هناك ضرورة لتحديد حجم الهجرة اليهودية ونطاقها، ليس فقط بناء على أسس اقتصادية –مثلما هو متبع حتى الان– بل أيضا وفقا للتقديرات السياسية والنفسية.

لقد حظيت الملاحظات الأخيرة، باهتمام اكثر من التوصية الأساسية.(فأرض إسرائيل) لم تقسم إلى دولتين، بيد أن الملاحظات الأخيرة استخدمت كأساس للكتاب الأبيض الذي أصدره وزير المستعمرات مالكولم ماكدونالد، والذي نشر في أيار ١٩٣٩، في أعقاب فشل لجنة سانت جيمس.

وقد تنكر البريطانيون في هذا الكتاب للالتزامات الواردة في كتاب الانتداب حيث تم فرض قيود خطيرة جدا على الهجرة اليهودية وعلى شراء الأراضي من قبل اليهود. وخلال الحوارات الخاصة التي أجراها البريطانيون أكدوا أنهم أوفوا بالالتزام الذي أخذوه على عاتقهم، وأن الاستيطان اليهودي بوضعه الحالي يعتبر بمثابة وطن قومي لليهود.

بيد أن الأمور لم تبد على هذا النحو بالنسبة لزعماء الاستيطان اليهودي، الذين اعتبروا الكتاب الأبيض، بمثابة إعلان الحرب على الاستيطان.

وتأسيسا على هذا الوضع، بدأت الأمور تأخذ مسارا مختلفا عما كانت عليه. فقد عمدت منظمة الهجناه إلى بناء نفسها بصورة مختلفة عما كانت عليه، وبرزت تنظيمات جديدة لم يكن من المتوقع قيامها، فقط قبل ثلاث سنوات. لقد جاء الكتاب الأبيض كي يضع الفصل الختامي في التعاون بين الحركة الصهيونية والبريطانيين، وانتصر المتطرفون العرب.

وفي نفس الوقت تعمقت الخلافات في أوساط الاستيطان اليهودي. ورغم أن نصف أعضاء منظمة الاتسل، الذين انفصلوا عام ١٩٣١ عن الهجناه، عادوا إليه عام ١٩٣٧ الا أن النصف الآخر، بقي على وضعه تحت سيطرة الحركة الإصلاحية، والتي كانت تختلف مع قيادة الاستيطان اليهودي، فيما يتعلق بسياسة ضبط النفس، وتنادي بحقها في الرد على الاستفزازات العربية بالأسلوب الذي تراه مناسبا.

وبدأت الأمور تتحو نحو التدهور منذ منتصف عام ١٩٣٨، عندما تم شنق شلومو بن يوسف- أحد أعضاء الاتسل وبيتار- بعد إدانته بقتل مسافرين عرب في حافلة بالقرب من صفد، وبدأ رجال الاتسل القيام بموجة من أعمال العنف ضد العرب، تلك العمليات التي أطلقت عليها قيادة الهجناه اسم" أعمال إرهابية بدون تمييز" ضد العرب. وقد قام رجال الاتسل في إطار هذه العمليات بإلقاء قنابل يدوية في الأسواق، مما أفضى إلى مقتل الأبرياء، وهو الأسلوب الذي كان يتعارض مع سياسة الهجناه التي حرصت على أن توجه عمليات الانتقام والعقاب فقط، ضد من ثبتت إدانتهم. وقد تم تشكيل وحدات خاصة لهذا الغرض برئاسة اسحق سديه والياهو كوهن. ثم عمد (اورد وينجيط البريطاني، إلى تشكيل الوحدات الليلية الخاصة بقيادة اسحق سديه.

ورغم التطورات السيئة، آنفة الذكر، والتي تميز فترة أحداث ٣٦-١٩٣٩ في تاريخ الاستيطان اليهودي، بيد أنه كان لتلك التطورات جانب أمني

إيجابي. فقبل صدور الكتاب الأبيض، قــام تعــاون بيــن الجيــش البريطــاني والاســتيطان اليهودي، أنشأ خلالها البريطانيون عدة أطر، شــكلت فيمــا بعــد، قــاعدة هامــة للتكويــن العسكري لمنظمة الهجناه. وأحد تلك الأطر هو ســلاح النواطــير، والــذي كــان لــه أثــر كبير على الاســتيطان.

كان سلاح النواطير بمثابة نوع من أنــواع الشــرطة المحليــة، التــي تعمــل فــي مجال الحفاظ على القانون والنظام في منطقــة محــددة. وبحكــم عملــهم، كــانوا يرتــدون ملابس موحدة، وسمح لهم بحمل سلاح، والتدرب علــى اســتخدامه، وكــانوا فــي الغــالب يحملون بنادق صيــد.

وفي حزيران ١٩٣٦، أي بعد شــهر مــن نشــوب الأحــداث كــان هنــاك ألــف وثلاثمائة ناطور يهودي، يعملون في أنحاء مختلفــة مــن البــلاد، وفــي نهايــة الأحــداث، وصل عددهم إلى ستة آلاف ناطور، جميعهم مــن أعضــاء الــهجناه.

كما تم تجنيد ألف ومائتي شخص آخــر مــن أوائــل الــهجناه للشــرطة الخاصــة، وقد عملت هذه القوة، فيما بعد، كإطار لتدريب الجيــش العــبري. وكــانت (هشــاي) تقيــم علاقات وطيدة مع سلاح النواطير بطــرق مختلفــة.

كانت تلــك التطــورات، بمثابــة الخلفيــة للتغيــيرات- علــى الصعيــد الفكــري والعملي- في النشاطات الاســتخبارية للاســتيطان اليــهودي خــلال الفــترة الواقعــة بيــن ٣٦-١٩٣٩.

لقد أدى نشوب الأحداث في ربيع ١٩٣٦ إلى إحــداث حالــة ذعــر ومفاجــأة فــي أوساط الزعامة اليهودية، التي لم تكن تتوقــع مثــل هــذا التطــور. وقــد أوضــح عــيزرا دنين بهذا الصدد، أن "(هشاي) في ظل وضعــها الضعيــف، آنــذاك، لــم تســتطع اجتيــاز الاختبار، نظرا لأن الشعبة السياسية، لم تكن تجمع معلومــات، بــل تنمــي علاقــات".

واعترف شاؤول أبيجور أيضا بالفشل، وهو يقــول بــهذا الصـــدد:" توجــهت قبــل شهر من نشوب الأحداث إلى دولة أوروبية ولم يكـــن أي منــا يتخيــل، أننــا نقــف علــى حافة الانفجــار".

وإزاء هذه الأحداث الجسيمة، كان التنظيم اليهودي ضعيفــا فــي البدايــة. وكــانت سيطرة مركز الهجناه على المناطق ضعيفة، والأسوأ مـــن ذلــك، كــانت علاقــة المنــاطق بعضها ببعض. ففي مذكراته، يقول دنين:" أنه كــان يعتــبر منطقــة قلقيليــة مثــلا خــارج إطار عمله، نظرا لأن أفرايم ديكل كان يعمـــل فيــها، أي أن كــل قــائد أو زعيــم، كــان يعمل داخل مقاطعتـــه أو منطقتــه فقــط، وحســب مفاهيمـــه، ولــم تكــن هنــاك مراكــز مخابرات قطرية تنسق بين المراكـــز الفرعيـــة.

لقد بدأ عمل دنين- الذي يعتقد الكثــيرون أنــه الشــخص الــذي أنشــأ أول جــهاز مخابرات يعمل وفقا للمبادئ الحديثة- مصادفة. فقد كان اليــهودي الــذي قتــل فــي نــهلال في آذار ١٩٣٦ أحد أقربائه، لذا قــرر القيــام بــالتحقيق بصــورة شــخصية فــي الحــادث للوصول إلى الفاعلين، واستعان بالعديد من معارفه العـــرب وتمكــن فعــلا مــن الوصــول إلى الفاعل، وقام بتسليم المعلومات(لاسحق تشيزيك) وهـــو ضــابط لــواء يــهودي، يعمــل في السلطة الانتدابية في طولكـــــرم.

وعندما قتل يهود آخرون فيما بعد، توجه إلـــى تشــيزيك وطلــب منــه أن يحــاول العثور على الفاعلين وفي إطـــار محاولاتــه تلــك، حــدث اتصــال بينــه وبيــن اليــاهو جولومب وروبن شـــيلوح.

وبعد فترة قصيرة، زاره(اشر بيلد) قـــائد منطقــة شــمال الضفــة فــي الــهجناه، وطلب منه مساعدته بالاجتماع بعربي يأمل أن يتمكـــن مــن اســتخلاص معلومــات منــه. وكان دنين يعرف ذلك العربي معرفة جيدة. وهكذا بدأ عملـــه فـــي (هشــاي).

كانت الميزة التي يتمتع بها دنيـــن، هــي إقامتــه علاقــة مباشــرة ووطيــدة مــع العرب، وكان دنين يرسل المعلومات التي يحصل عليها منـــهم، إلــى قيــادة الــهجناه فــي

طولكرم، وإلى شيلوم الذي كان آنـــذاك قـــد انتقـــل إلـــى الشـــعبة السياســـية فـــي الوكالـــة اليهودية. وقد قامت الوكالة بتخصيص مبلغ ستة جنيهات لدنيـــن للدفـــع لعملائـــه.

وبمرور الأيام تم توسيع هذه الشبكة، وضـــم حـــراس حقـــول إســـرائيليين، وتجـــار بقر وأسمدة عضوية، وتجار خضـــراوات، وعمـــالا فـــي البيـــارات، ويـــهودا ممـــن لـــهم علاقة بمهربين عرب، ممن كانوا يهربون البضـــائع مـــن وإلـــى الأردن، وفلاحيـــن يـــهود ممن كانوا يفلحون الأرض بالشراكة مع العـــرب وموظفيـــن حكوميـــن ورجـــال شـــرطة يـــهود.

وكان جميع هؤلاء الأشـــخاص يقيمـــون اتصـــالات مـــع العـــرب دون أن يثـــيروا أي شبهات. ثم عمل دنين على تعيين شخص فـــي كـــل قريـــة مـــن القـــرى الواقعـــة فـــي مجال صلاحياته، لتركيز وتجميـــع المعلومـــات.

كان جميع الأشخاص العاملين مع دنين من العـــرب، علـــى علـــم بماهيـــة العمـــل الذي يقومون به.وكانوا، بغالبيتـــهم العظمـــى، مـــن الأشـــخاص المطـــاردين فـــي قراهـــم، جراء إقامتهم علاقـــات مـــع اليـــهود، وتورطـــهم فـــي عمليـــات بيـــع أراض أو لأســـباب أخرى. ولم يكن المال هو الحافز الأساسي لأولئك، العـــرب، بـــل كـــانوا يـــأملون فـــي أن يجدوا المأوى لدى اليهود لدى نشوب الأزمة والخطر. لقـــد كـــان البحـــث والعثـــور علـــى هذا النوع من العرب، هو إحدى وسائل الحصـــول علـــى معلومـــات.

وفي عام ١٩٣٩، توســـعت اتصـــالات دنيـــن، وازدادت ميزانيتـــه فـــأصبحت ٤٥ جنيه فلسطيني شهريا، واخذ عمله طابعا إقليميا، ورغـــم أن الاتصـــالات بيـــن الأقـــاليم لـــم تكن كاملة، ويشوبها الكثير من العيـــوب، الا أن عمـــل دنيـــن غطـــى منطقـــة تمتـــد مـــن قلقيلية وحتى وادي عارة وعتليـــت.

ويقول دنين:" لقد تربيت في يافا، وتصـــاحبت مـــع العديـــد مـــن العـــرب، ولـــم ار فيهم أبدا أعداء، بل خصوما". لقد تحول دنيـــن إلـــى أحـــد أكـــبر الخـــبراء الإســـرائيليين، على صعيد التجسس على العرب قبل قيام الدولة، وأيضـــا بعـــد قيامـــها.

ورغم الجهود التي بذلها دنين، فإنه لم ينجح في تجنيد العديد من الشخصيات اليهودية، ذات العلاقة الوطيدة والقديمة مع العرب، ويبرر دنين ذلك بالقول أن علاقات هؤلاء الأشخاص اقتصرت على الجانب التجاري، والذي بقي متواصلا حتى أثناء الأحداث- ولم يكونوا على علم بما يدور داخل الوسط العربي.

لقد بقي دنين مستقلا دائما، واعتاد المفاخرة بذلك بالقول: أنا لم أحسب على (هشاي) ولا على الوكالة اليهودية وقد بقي على هذا النحو، طيلة حياته، رغم أنه كان معروفا باسم رئيس الشعبة العربية في (هشاي)٠٠ ومن الجدير بالذكر، أن دنين عمل في أعقاب قيام الدولة، كسفير خاص في وزارة الخارجية، دون أجر، تحت اسم "يعمل بأجر مقابل ليرة سنويا".

وفي نهاية عام ١٩٣٦، كان دنين أحد عرابي التعاون الاستخباري مع البريطانيين. فقد قام يهوشع جوردون، ضابط اتصالات الوكالة اليهودية، مع الشرطة البريطانية، بتقديم دنين إلى ضابط المخابرات الكابتن ويندزور من شعبة استخبارات سلاح الجو البريطاني في نابلس. وقد تم تحديد إجراءات دائمة لتبادل المعلومات بشأن العصابات العربية وكان سلاح الجو البريطاني يبذل جهودا واسعة، آنذاك، لاكتشاف أماكن تلك العصابات، وقدم إسنادا بالقصف واطلاق النار للقوات البرية البريطانية، في مواجهتها لتلك العصابات.

وفي عام ١٩٣٨، عقد ويندزور لقاء بين دنين(وبيتش باتريك) ضابط مخابرات لواء مدافع الهاوزر الملكية التاسعة، والذي دفعت به بريطانيا مع وحدات بريطانية إلى البلاد، لتعزيز القوات البريطانية العاملة على إخماد الثورة الناشبة هناك.

وسرعان ما أدرك قادة هذا اللواء، أن دنين هو خبير في الشئون العربية، كما أدرك مسئولو جهاز مخابراته، أن من غير الممكن الاعتماد على المعلومات التي يزودهم بها العرب أو ضباط الانتداب، في الوقت الذي أثبتت فيه معلومات دنين

ورجاله صحتها ودقتها. وقد نجح قائد اللواء تأسيسا على المعلومات التي تلقاها من دنين من إلقاء القبض على الشيخ فرحان- أحد قادة أخطر الجماعات العربية، وإعدامه شنقا بعد محاكمة سريعة، مما حدا بقيادته لمنحه وساما رفيعا.

وبعد فترة تم استبدال ويندزور وحل محله العقيد (لاش) والذي ترأس فيما بعد قيادة فرقة في الجيش العربي الأردني، ثم استبدال لاش بالكابتن(هكت بيين) والذي بقي في إسرائيل حتى عام ١٩٤٨، وقدم إلى (هشاي) معلومات مقابل حصوله منها على معلومات كان يرغب في الحصول عليها. وقد أسمته(هشاي) في تقاريرها(خميس).

وهناك نموذج أخر على التعاون بين البريطانيين وهشاي، فقد تمكنت القوات البريطانية من ضبط العديد من الوثائق والأوراق إبان مهاجمتها للجماعات العربية، وفي أعقاب ترجمتها للغة الإنجليزية، تم تسليمها إلى دنين للتأكد من صحة ما ورد فيها. ومن الجدير بالذكر أن دنين نشر في نيسان ١٩٤٤، كتابه الأول، تحت عنوان "شهادات وشخصيات" والذي يعتبر أول ما ينشر، وأكثرها موثوقية حول الجماعات العربية، وقد استند الكتاب بغالبيته إلى الوثائق آنفة الذكر.

لقد قدم دنين ورجاله المساعدات للبريطانيين أيضا في مجال تصفية جماعة فوزي القاوقجي، والذي كان أكثر زعماء العصابات العربية خبرة وشهرة. والقاوقجي من مواليد لبنان وكان ضابطا في الجيش العراقي، وقد حصل على إجازة خاصة من الجيش بغية قيادة الثورة الفلسطينية، وقد وصل في آب ١٩٣٦ على رأس متطوعين مزودين بالسلاح إلى منطقة نابلس، وشرع في مهاجمة القوافل البريطانية، وأحرز نجاحا إلى حد ما.

ويقول دنين بهذا الصدد: حال ظهور جماعة القاوقجي، عملنا على إيجاد صلة دائمة مع معسكره القائم بالقرب من نابلس، وذلك باستخدام بائع متجول عربي كنا نرسله يوميا إلى المعسكر، ومعه صندوقا خضراوات وبعد ٦-٨ ساعات من

مراقبته لما يحدث، أصبحنا على علم بما يحدث والاستعدادات التي قد يقوم بها القاوقجي للقيام بعمليات ما، لان القاوقجي لم يكن يتوخى سرية كبيرة في استعداداته. وقد حصلنا على معلومات شاملة من المصدر آنف الذكر توطئة للإعداد للمعركة الحاسمة مع القاوقجي.

ومن الجدير بالذكر، أننا لم ندفع لذلك المصدر أكثر من ثمن صناديق خضرواته.

وفي نهاية أيلول، قامت قوة بريطانية بتطويق مجموعة القاوقجي، وأسفرت المعارك التي تواصلت ثلاثة أيام عن مقتل حوالي مائة شخص من أعضائها. وسمح للقاوقجي بالخروج من البلاد مع متطوعيه كي يعود عام ١٩٤٨ كقائد لجيش الإنقاذ.

وتجدر الإشارة هنا أيضا، إلى العلاقات الجريئة التي قامت في نهاية الأحداث، بين شبكة دنين و"عصابات السلام"، وتلك العصابات هي مجموعات عربية مسلحة، من معارضي المفتي الحسيني، وقد تعاون رؤساؤها مع الجيش البريطاني. وكان (يهوشع فلمون) هو ممثل دنين لهذا الغرض.

وفي عام ١٩٣٧، تم إعفاء أفرايم ديكل من جميع مهامه، كي يتفرغ لتركيز نشاطات (هشاي) في تل أبيب وضواحيها، وتم تخصيص غرفة خاصة له في بلدية تل أبيب، ومن ضمن الوسائل التي اتخذها ديكل لتحسين وتوسيع إمكانية الحصول على معلومات التنصت على الاتصالات الهاتفية.

وازدادت المبالغ المالية التي تم استثمارها في عمليات التنصت على الهواتف كلما أثبتت هذه الوسيلة جدواها في العمل الاستخباري. ومن الجدير بالذكر أن اسم" محطات المراقبة والتنصت التابعة إلى هشاي، ظهر في الرسم البياني الذي يمثل جهاز المعلومات العام، والذي تم إعداده للفترة الواقعة بين ٣٢-١٩٤١.

يذكر، أنه ومنذ بدء سلطات الانتداب البريطانية باستخدام التليكس كوسيلة اتصال بين مراكز الشرطة والمركز الرئيسي، نقلت معلومات مهمة إلى منظمة

الهجناه، وذلك لأن قسما من موظفي الاتصال الذين تم تأهيلهم للعمل على أجهزة التليكس، كان من رجال الشرطة اليهود، هذا رغم أن التنصت على هذا النوع من الاتصالات كان يصطدم بصعوبة كبيرة، نظرا لان إدارة الشرطة، كانت تعمد إلى استخدام الشيفرة في إرسال المعلومات الهامة، وتقوم بتغيير هذه الشيفرة أسبوعيا.

وعندما تم تركيب شبكة هاتف أتوماتيكية في تل أبيب في ربيع ١٩٣٨، حرص العمال اليهود على ترتيب إمكانية التنصت على المحادثات الهاتفية للشرطة والجيش البريطاني، والمحادثات الدولية. وقاموا بسحب خطوط فرعية من خط الهواتف الرئيسي إلى غرفة في (بيت هدار) الواقعة على طريق يافا-بيتح تكفا، بالقرب من محطة القطار، وكانت طواقم التنصت التابعة لمنظمة (هشاي) تعمل في هذه الغرفة، طيلة الأربع والعشرين ساعة لمدة ثماني سنوات. وبهذه الطريقة، تمكنت (هشاي) من اصطياد محادثات هاتفية قيمة وثمينة، خاصة بالمباحث وقائد الجيش الأعلى، وموظفين آخرين رفيعي المستوى، وقد تم توثيق جميع المعلومات وحفظها، وعندما اكتشف الجيش البريطاني الغرفة المذكورة، تم نقل جميع المعلومات إلى شقة ديكل الخاصة في نفس الشارع.

وفي شباط ١٩٣٩، تم تشكيل أول وحدة تنصت لا سلكية، واطلق عليها اسم الوحدة (١٨١) وترأسها مردخاي الموج، وكانت تعمل في مجال التنصت لشبكات اللاسلكي البريطانية طيلة الأربع وعشرين ساعة وعلى وجه الخصوص في فترات التوتر، وتوقع وصول سفن المهاجرين اليهود، ولم يكن طاقم الوحدة يجد صعوبة في تسجيل نص الرسائل المرسلة، لكن المشكلة كانت تكمن في الرسائل الشيفرية، والتي كانت تحل في بعض الأحيان، بوقوع المفتاح الشيفري بأيدي أعضاء الوحدة.

وهكذا، وجدت الوحدة، نفسها، بحاجة إلى تشكيل جهاز قادر على حل الرموز الشيفرية. وبناء على ذلك، قام ديكل بتشكيل طاقم من الرجال والنساء ممن- يجيدون الإنجليزية، ويتميزون بالقدرة على حل الألغاز الرياضية في محاولة لحل

لغز الشيفرات المرسلة. وكـــان هـــذا الطـــاقم بحاجـــة، إلـــى رســـائل شـــيفرية، وصـــورة محلولة لاحداها كي يصبح بالإمكان حل الرسائل الباقيـــة، وهـــذا مـــا حـــدث، حيـــث قـــام رجال الشرطة اليهود العاملون في المجال الهاتفي بـــتزويد الطـــاقم بيـــن الفينـــة والأخـــرى برسائل شيفرية محلولـــة.

ورغم ذلك، بقي عمل الطاقم صعبا للغاية، وحتـــى حينمـــا كـــان ينجـــح فـــي فـــك رموز شيفرة، فإن الأمر كان يستغرق زمنا طويلا، إلـــى الدرجـــة التـــي تصبـــح المعلومـــة قديمة، أو أن استخدامها ليس عمليا. ولم تحل هذه المشـــكلة إلا فـــي الأربعينيـــات، عندمـــا نجح(هشاي) في الحصول على مفاتيح الشيفرة بصورة دائمـــة مـــن جـــهات بريطانيـــة.

ومثلما أقام دنين جهازا استخباريا في منطقـــة قلقيليـــة، وديكـــل فـــي منطقـــة تـــل أبيب، قام (يلن) أيضا بتشكيل شبكة تجسس علـــى العـــرب، فـــي منطقـــة حيفـــا. وكـــانت الكثير من الخلافات والمشاكل تنشب بينه وبيـــن دنيـــن وديكـــل، علـــى وجـــه الخصـــوص بشأن طبيعة تقديم التقارير. وكان (يلن) بوصفه عـــالم آثـــار، يرســـل المعلومـــات بصـــورة جافة وسرية للغاية إلى شيلوح في الوكالة اليهودية، وشاؤول ابيجـــور فـــي الـــهجناه، كمـــا كان يعلم قيادة الهجناه في منطقة حيفـــا، عندمـــا يتعلـــق الأمـــر بالمنطقـــة. وكـــان يحمـــل نظرية تقول: أن على ضباط الاســـتخبارات الميدانييـــن أن يجمعـــوا المعلومـــات بصـــورة جافة ودقيقة، وأن يضعوا كل المعلومات علـــى بطاقـــة منفـــردة، وتصبـــح مهمـــة الفـــرز والتصنيف واستخلاص النتائج، إحدى مـــهام المركـــز الرئيســـي.

ومن الجدير بالذكر، أن هذا الأسلوب مـــن التقـــارير كـــان أحـــد الأســـاليب التـــي اتبعتها (هشاي) بعد سبع أو ثماني سنوات، بيد أنه لـــم يكـــن مفـــهوما آنـــذاك، فقـــد بعـــث شيلوح رسالة إلى (يلن) قال له فيها:" متى ســـتدرك أن أســـلوب البطاقـــات الجافـــة الـــذي تنتهجه لا يفي بالمطلوب أنظر إلـــى عـــيزرا دنيـــن، أنـــه يرســـل رســـائل تفصيليـــة إلـــى موشيه شريت تمتلئ بالروايات والقصص العملية، والتي تعطـــي انطباعـــا كبـــيرا".

ومن الجدير بالذكر، أنه لم يكن هناك، فـي تلـك الآونـة، فـي الـهجناه طـاقم أو جهاز يعمـل فـي مجـال تصنيـف المعلومـات واعدادهـا واسـتخلاص النتـائج منـها وحفظها. وفي أفضل الحالات كانت تلـك المعلومـات توثـق وفقـا للمنطقـة التـي وردت منـها.

لقد كان دنين أكثر حرية علـى صعيـد معرفـة قادتـه، ولـهذا السـبب، أفضـت الخلافات التي قامت بين شيلوح ويلن إلى استقالة يلن من رئاسة هشـاي فـي حيفـا.

لقد قدم رجال الشرطة والنواطير اليـهود خدمـة كبـيرة إلـى (هشـاي). فرجـال الشرطة الذين كانوا يعملون في مسـتعمرة (روش بينـا) والجليـل، كـانوا يسـافرون فـي نهايات الأسبوع إلى دمشق، للترويح عن النفـس، ويؤمـون المطـاعم والملاهـي الليليـة، وكثيرا ما يصادفون هناك رجال عصابـات عربـا، والذيـن كـانوا يفـاخرون بالأعمـال التي يقومون بها في البلاد. وكان رجال الشـرطة ينقلـون هـذه المعلومـات إلـى هشـاي حال عودتـهم.

قامت الوكالة اليهوديـة بتشـكيل مـا أسـمته" شـعبة الأمـن" برئاسـة يهوشـع جوروون ونائبه نعمن ستوي. وتمثلت مهمة هـذه الشـعبة فـي معالجـة جميـع المشـاكل ذات العلاقة باليهود العاملين في الشرطة في المـدن أو القـرى. أو العـاملين فـي الجيـش وسلاح الجو البريطـاني.

وفي أعقاب أحداث ٣٦-١٩٣٨ وإثر الزيـادة الكبـيرة التـي طـرأت علـى عـدد رجال الشرطة والنواطـير، لـم يعـد بالإمكـان ضمـهم جميعـا إلـى الـهجناه، ويقـول (ستوي): لقد خضعوا جميعا-باستثناء قلة قليلة جدا- لسـلطة المؤسسـات الوطنيـة.

ولا شك أن هذه المعلومـة، شـديدة الأهميـة، نظـرا لأن مهمـة الشـعبة كـانت تتمثل في تشغيلهم، وتكليفهم بمهام خاصة، بما فيها إمكانية سـرقة هـذه الوثيقـة أو تلـك، والحصول علـى المعلومـات. وقـد حصلـوا جميعـا علـى أوامـر صريحـة، بتوطيـد علاقاتهم مع البريطانيين في أمـاكن عملـهم.

وكان رجال الشرطة والنواطير يرسلون المعلومات التي يحصلون عليها أولا بأول، إلى ضباط اتصالهم، وقد توصل بعضهم مع أمناء مخازن أسلحة بريطانيين، إلى شراء بنادق ومسدسات منهم.

أضيفت إلى مهام الهجناه في تلك الآونة ثلاث مهام واهداف جديدة، وهي: المنشقون والبريطانيون والشيوعيون. وبدأت قضية المنشقين- والتي تعتبر نقطة - شديدة الحرارة في تاريخ هشاي- تحتل، رويدا رويدا، مكانة اكبر في نشاطات هشاي الاستخبارية. ففي أعقاب العمليات الانتقامية التي قامت بها منظمة الاتسل ضد العرب، في أعقاب أحداث ١٩٣٦-١٩٣٨، بدا وكأن أعضاء هذه المنظمة يعرضون سياسة ضبط النفس الرسمية للانهيار. وبناء على ذلك، صدرت الأوامر إلى (هشاي)، لجمع المعلومات عن قادة المنظمة وزعمائها، ومخازن أسلحتها واعلام القيادة بالعمليات التي تعتزم المنظمات القيام بتنفيذها.

وكذلك وضعت(هشاي) الشيوعيين هدفا استخباريا لها. ومن الجدير بالذكر، أن الشيوعيين والاتسل أيضا، كانوا يسعون دائما، لزرع مؤيديهم في أوساط" هشاي"، بهدف جمع المعلومات.

كان تسفي زوهر عضو الهجناه، أحد الشخصيات الذين تم الاستنجاد بهم لتعزيز قدرة (هشاي) في تل أبيب. ويقول: لقد أوكلت إلي مهمة معالجة قضية المنشقين إلى (زئيف شيرف)- سواء كان هؤلاء المنشقون من اليسار أم من اليمين، وبالمشبوهين من جميع الأنواع وقد قام زوهر ببناء ملف للاتسل والشيوعيين. وشارك في العديد من العمليات التي أدت إحداها إلى اكتشاف أرشيف الشيوعيين مخبأ في حائط منزل إحدى النساء في تل أبيب.

ويتضح من أقواله، ومن ملفات الهجناه، أن الكثير من المعلومات حول المنشقين وصلت إلى (هشاي) من الوثائق البريطانية التي تم ضبطها أو الحصول عليها.

ولا شك أن بالإمكان الإشارة، بوضوح، إلى الدمج والترابط القائمين بين جمع المعلومات والجانب التنفيذي في عمل(هشاي) في تلك الآونة، وهو الأمر غير المعمول به في أجهزة المخابرات الأخرى، والتي تفصل بين جمع المعلومات والعمل التنفيذي.

لقد أدى الإعلان عن الكتاب الأبيض عام ١٩٣٩، والتطورات التي تلت ذلك، إلى تعزيز فكرة ضرورة الاعتماد على الذات في أوساط الاستيطان اليهودي، بعد عقدين من التعاون مع البريطانيين. وهكذا بدأ في تهريب الأسلحة والذخائر ومعدات لصناعة الأسلحة إلى البلاد، وتهريب مهاجرين غير مشروعين بأعداد كبيرة.

وفي هذه الآونة، بدأ يهودا أرزي في إرسال الأسلحة من بولندا، وقطع غيار خاصة بصناعة الأسلحة والذخائر.

وشرع أبيجور في بناء قاعدة موجة الهجرة الثانية في أوروبا، وجلب المهاجرين غير المشروعين. وعين إسرائيل عمير مديرا للصناعات العسكرية المستقلة، وفي عام ١٩٣٩ عين يعقوب دوري رئيسا للهيئة العامة للهجناه، وعين ديفيد شلتئيل رئيسا لشعبة مكافحة التجسس.

ويتضح من الوصف القادم في هذا الفصل، أن هناك صورة ذات بعدين لـ(هشاي) أولهما سلبي والآخر إيجابي. أما على صعيد البعد السلبي، فقد نبع ضعف الاستيطان اليهودي من ضعف الهجناه في نفس تلك الفترة، والافتقار إلى وجود قيادة قطرية قوية وذات صلاحيات، وعدم سيطرة المركزية على الألوية والكتل الاستخبارية، والتعاون الذي تشوبه الكثير من الشوائب، على صعيد القطاعات والأقضية، وعدم وجود نظريات عمل شاملة وقطرية ملزمة، وقلة الموارد، وعلى وجه الخصوص المصادر المالية، ووجود العديد من المنظمات الاستخبارية دون

وجود تنسيق بينها إضافة إلى النزاعات حول الصلاحيات والافتقار إلى الخبرة والحرفية في العمل، وعدم التحديد الواضح لأهداف العمل.

أما على صعيد البعد الإيجابي، فقد تعززت الجهات الاستخبارية المختلفة خصوصا في حيفا وتل أبيب، وتم الاعتراف بها، وطرأ تحسن كبير جدا على وسائل جمع المعلومات في الوسط العربي، ازدادت عمليات الاختراق للجيش والشرطة البريطانيين وبرزت أهداف عمل جديدة، التعاون مع القوات البريطانية خلال أحداث ٣٦-١٩٣٩ مما اكسب (هشاي) معلومات وخبرة كبيرة.

الفصل الثالث

المخابرات الموحدة- ومكافحة التجسس

١٩٤٠-١٩٤٢

مثلما أسلفنا سابقا، يعتبر عام ١٩٣٩ سنة التحول في العلاقات البريطانية مع الاستيطان اليهودي، لذا نرى أن هناك أهمية لفهم الأحداث التي وقعت خلالها. إن عام ١٩٣٩ هو البداية للمرحلة التي استغرقت عامين، واشتملت على نشر الكتاب الأبيض، ودخول بريطانيا الحرب ضد ألمانيا، والهزائم الأولى التي لحقت بالبريطانيين عام ١٩٤١. وقد ترجم الاستيطان اليهودي الصدمة الشديدة التي أصيب بها، والغضب إلى تنظيم عملي جديد. وقد احتلت منظمة الهجناه رأس عملية إعادة ترميم الأوضاع التنظيمية اليهودية.

لقد أسفرت عملية إعادة النظر في مسلكية الهجناه، خلال أحداث ٣٦-١٩٣٩ إلى عرض صورة في أمس الحاجة إلى تغييرات راديكالية، وبدا من الواضح أن نقطة الضعف الأساسية تتمثل في عدم وجود قيادة مركزية فلم تكن هناك قوة مركزية عليا ذات صلاحيات تخولها إصدار أوامر بنقل قوات حسب الحاجة من مكان إلى آخر.

أضف إلى ذلك، أن التقديرات السياسية كانت تؤثر على تعيين واستبدال القادة واختيار المرشحين للدورات، كما أن لها تأثيرا أيضا على القرارات ذات الطابع العسكري البحت. فقد عملت الوحدات الميدانية مثلا بصورة مستقلة تماما.

وكما يبدو، فإن جميع هذه المشاكل كانت الأساس الذي جعل رئيس القيادة القطرية يوحنان ريطنر، يعرب عن تذمره وشكواه من التنظيم الجامد، ومطالبته بإعادة تنظيم الهجناه من جديد.

وفي أعقاب النقاشات والمشاورات السرية التي جرت طيلة عدة اشهر تم توزيع الخارطة القطرية للهجناه على سبعة ألوية، وقطاعين مستقلين. كما تم تشكيل هيئة الأركان العامة للهجناه التي تضمنت خمس شعب. ولم يتم إلغاء منصب رئيس القيادة القطرية، بيد أنه تحول إلى منصب ذي طابع إداري، وقد عمل رئيس الأركان تحت إدارة رئيس القيادة القطرية كمدير عام يعمل باسمه على إخراج العمل إلى حيز التنفيذ الفعلي، وإبعاده عن التأثيرات الاجتماعية والسياسية القائمة داخل القيادة القطرية.

ومن الجدير بالذكر، أن الأوامر المنظمة لاقامة هيئة الأركان العامة لم تتطرق ولو بكلمة واحدة إلى قضية المخابرات. وبعد سنة ونصف السنة تقريبا، أي في التاسع من نيسان ١٩٤١ وزعت القيادة القطرية الامر الأول بهذا الصدد.

وكي نستطيع تفهم الأحداث، يجب علينا أن نتفحص خلفية تلك الفترة. فقد جاء مؤتمر سانت جيمس- والذي عقد في شباط ١٩٣٩- كتحول إيجابي في السياسة البريطانية تجاه العرب. وحال عودته من لندن كان بن جوريون مصرا على التأكيد للبريطانيين بأن سياستهم لن تنجح في تهدئة الأوضاع، أوفي إحلال السلام البريطاني المأمول. وقد أدى الكدر الذي اصابه في أعقاب هذا المؤتمر، إلى جعله يتخذ قرارا ينص على ضرورة جعل البريطانيين والعرب والعالم بأسره، يدرك أن اليهود في "أرض إسرائيل" ليسوا قطاعا سلبيا، أو بمعنى أصح التأكيد على أنه ليس العرب وحدهم هم القادرين على إثارة المشاكل.

وبهذه الروحية، قاد الأمور إلى تشكيل هيئة أركان الهجناه، وتشكيل الوحدات الخاصة، كقوة ضاربة سرية. وقد شكلت هذه الوحدات من خلايا صغيرة سرية، عملت في تلك الآونة، في منطقة حيفا والشمال، وقامت بتنفيذ عمليات انتقامية ضد العرب الذين قتلوا يهودا وتم التأكد من ثبات التهمة عليهم.

وأمر بن جوريون بتحويل هـذه الوحـدات، إلـى جهـة منظمـة، وألقيـت علـى عاتقها مهمة التخطيط لتصفية عرب، ووشاة مـن اليـهود، وموظفـي الحكومـة الانتدابيـة المناوئين لليهود. كما تم التخطيط لعمليات ضد المنشـآت البريطانيـة، مثـل خـط النفـط(العراق-حيفـا)، وضـد زوارق الشـرطة البريطانيـة التـي كـانت تعمـل ضـد سـفن المهاجرين الإسرائيليين غـير المشـروعة.

ومن الجدير بالذكر، أن بن جوريون، كـان يعـارض فكـرة الإرهـاب الشـخصي ولهذا السبب، أمـر بوقـف المبـادرات الخاصـة بالاغتيـالات تجـاه الأشـخاص الـذي وضعوا على قوائم اغتيال الوحـدة الخاصـة.

لم تتح الأحداث السريعة في أوروبا، ونشـوب معـارك الحـرب العالميـة الثانيـة الفرصة أمام سياسة بن جوريون الحربيـة للنضـوج، فـأمر بتجميـد نشـاطات الوحـدات الخاصة، ثم تم توقيفها نهائيا. وفي تشرين الثـاني ١٩٣٩، تـم حـل الوحـدات، رغـم أن قسما من أعضائها بقي منظما حتى عام ١٩٤١ تحت قيـادة اسـحق سـديه.

إن دراسة دور القـوات الخاصـة فـي تطويـر قـوات الدفـاع السـرية التابعـة للاستيطان اليهودي، تشير إلى أن تلك الوحـدات، كـانت بمثابـة الحلقـة التـي أدت إلـى بروز منظمة (البلماح)- سرايا العاصفة- فقد انتقل إلـى البلمـاح أفضـل قـادة الوحـدات المذكورة. وشغلوا ارفع المناصب فيها، كما انتقـل بعـض قـادة الوحـدات الخاصـة إلـى (هشاي) وجلبوا معهم التوجهات النشطة التـي مـيزت تلـك الوحـدات، والتـي أصبحـت إحدى مزايا المخابرات الإسـرائيلية، حتـى الان.

علاقات الاستيطان بالبريطانيين ٣٩-١٩٤١.

طرأ تحول كبير على علاقـات الاسـتيطان اليـهودي بالبريطـانيين فـي أعقـاب إعلان الكتاب الأبيض، وعلى وجه الخصـوص علـى الصعيـد العـاطفي، وقـد وصـف الكثيرون الأحاسيس التي سادت انـذاك، فـي أوسـاط الاسـتيطان، بأنـها تشـبه مشـاعر الخيانة. فقد اعتبر الاسـتيطان بريطانيـا طيلـة عشـرين سـنة، بمثابـة رافعـة ايجابيـة

لتحقيق فكرة الوطن القومي لليهود. وقد اتسمت العلاقات بين الطرفين خلال فترة مواجهة العصابات الفلسطينية، ٣٦-١٩٣٩، بالكثير من التفاهم، فقد تعاونت الهجناه مع الجيش البريطاني، وسلطات الانتداب، وفي نفس الوقت غضت السلطات البريطانية البصر عن الأطر نصف العسكرية، التي شكلتها الهجناه، والتي مكنت قسما كبيرا من اليهود من التدرب على السلاح وتعلم أساليب الحرب النظامية.

وفي أعقاب إفاقة الاستيطان من الصدمة الأولى للكتاب الأبيض، اتجه بكامل طاقته للعمل ضد السياسة البريطانية الجديدة. كما تم التركيز على القضايا ذات الأهمية، على صعيد التطوير الداخلي للاستيطان.

وإزاء إجراءات الرقابة الضئيلة التي اتخذتها الحكومة البريطانية على الهجرة اليهودية ازداد عدد سفن المهاجرين غير المشروعة، التي وصلت سرا إلى الموانئ في "أرض إسرائيل"، وخلال الفترة الواقعة بين أيلول وكانون الأول، احضر الموساد تسع سفن محملة بالمهاجرين، إضافة إلى عدة سفن قدمت بمبادرة من حركة (بيتار) ومنظمة الاتسل ومبادرات خاصة. وخلال عام ١٩٣٩، بدأ يتشكل سلاح الميدان، وتم شراء كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر في أوروبا، وأرسلت إلى البلاد، سرا، بعد تمويهها. كما توسعت نشاطات الصناعات العسكرية التابعة للهجناه بسرعة كبيرة، وأخذت تطور الراجمات والقنابل اليدوية والمواد المتفجرة.

لقد تحولت الهجناه التي كانت حليفا للبريطانيين، عدوا لقوات الأمن البريطانية، التي نفذت السياسة آنفة الذكر.

لقد منحت قوانين وأنظمة الطوارئ التي أصدرتها بريطانيا، حال نشوب الحرب العالمية الثانية، للسلطات الانتدابية صلاحيات قضائية، وتنفيذية هائلة جدا، ولم تتردد هذه السلطات في استخدامها لإلحاق الأضرار بالهجناه، واصفين إياها بالجهة التي تشكل خطرا على الجهد الحربي البريطاني.

وفي أعقـــاب نشــوب الحــرب العالميــة الثانيــة، تــم تجميــد الكفــاح المســلح للاستيطان اليهودي ضد الكتـــاب الأبيــض، بيــد أن عمليــة الــهجرة والاســتيطان بقيــت متواصلة وتم التركـــيز علـــى ضـــرورة تشــكيل وحــدات عبريــة فــي إطـــار الجيــش البريطاني، وذلك على أمل أن يــؤدي التعــاون اليــهودي فــي هــذا المجــال، إلــى دفــع الحكومة البريطانية إلى إلغاء الكتاب الأبيض والسياســـة الناجمــة عنــه.

وكان بـــن جوريـــون يعتقــد فـــي بدايــة نشــوب الحــرب، أنــه يتوجــب علـــى الاستيطان اليهودي أن يثبت للبريطانيين أنه ليــس العــرب وحدهــم فقــط القــادرين علـــى إثارة المشاكل، بيد أن الأحداث في أوروبا، والتأييد الضئيل الذي حظـــي بـــه فـــي أوســـاط الهجناه لهذا التوجه، ارغماه علـــى الخـــروج بصيغــة أخـــرى تنــص علـــى:" ســـنحارب النازيين وكأنه لا وجود للكتاب الأبيض، وســـــنحارب الكتــاب الأبيــض وكأنـــه لا وجـــود للحرب العالمية الثانيـــة".

وفي غضون العام الأول من الحرب، وعندمـــــا كـــان الألمـــان مشــغولين بالقـــارة الأوروبية، والانتصــــارات البريطانيــة بـــارزة فـــي المواجــهات التـــي خاضــها الجيــش البريطاني مع الإيطاليين فـــي ليبيـــا والصومـــال وأثيوبيـــا، بذلـــت الســلطات البريطانيــة الموجودة في(أرض إســـرائيل) جـــهودا كبـــيرة لإلحـــاق الأذى بالـــهجناه، وبالثقـــة الذاتيـــة للاستيطان اليـــهودي.

وفي نهاية شباط ١٩٤٠ اصدر المندوب الســـامي البريطـــاني" أنظمـــة نقـــل ملكيـــة الأراضي" والذي حظر فيه على العـــرب بيـــع الأرض فـــي غالبيـــة أنحـــاء البـــلاد، ممـــا حول الوطن القومي اليهودي إلى (جيتـــو) لا يتضمـــن ســـوى ٥% فقـــط مـــن الأراضـــي الواقعة غربي نهر الأردن، مما أثار الكثير من المظـــــاهرات وأحـــداث الشــــغب.

كان البريطانيون، في تلك الآونة، يعتــــبرون الاســتيطان اليــهودي بمثابـــة عـــائق أمام السياسة الإمبريالية الموالية للعـــرب والتـــي كـــانت تطـــرح أهدافـــا واضحـــة تمامـــا،

وتتمثل في ضرورة جذب المسلمين الذي يسكنون بين البحر المتوسط والملايو إلى جانب بريطانيا في الحرب الناشبة.

وفي أيار ١٩٤٠ بدأ الألمان بالسيطرة على غرب أوروبا، وسقطت حكومة تشمبرلين، وأمسك تشرشل بمقاليد الحكم في بريطانيا، وفي حزيران، سقطت فرنسا، ودخل الإيطاليون الحرب، وبدأت الجبهة تنتقل بالقرب من مصر وأصبحت كل من سورية ولبنان- الواقعتين تحت سيطرة حكومة فيشي- تعتبران أراضي معادية. ومني البريطانيون في اليونان وجزيرة كريت بالهزيمة، بل وطردوا من أوروبا باستثناء جبل طارق.

ونشبت أزمة جديدة، خلال صيف ١٩٤١، جراء الانتصارات التي أحرزها ثعلب الصحراء الألماني (رومل) في الصحراء الغربية فمنذ كانون الثاني وحتى تموز ١٩٤٢، دفع رومل بالبريطانيين باتجاه مصر، حتى وصل إلى بعد مائة كيلومتر من الإسكندرية. مما حدا بالقيادة البريطانية العليا للشروع بالتفكير بضرورة الانسحاب حتى العراق، بل وحتى الهند. وقد ثبت أن الجهود البريطانية الرامية للاستعانة بالعرب أو تحييدهم خلال الحرب، قد باءت بالفشل. لقد تمرد الجيش العراقي الذي قام البريطانيون بتشكيله، عليهم في اصعب اللحظات، في ربيع عام ١٩٤١، برئاسة رشيد عالي الكيلاني، المؤيد للفاشية.

كان الكيلاني نصير وشريك الحاج أمين الحسيني، وقد ربط الاثنان مصيرهما بهتلر حقا لقد تم إرسال وحدة من الجيش العربي الأردني لمساعدة الجيش العراقي في العراق، بيد أن عدة وحدات من الجيش العربي الأردني رفضت مغادرة حدود الأردن، وتم نزع سلاحها.

وفي تلك الآونة بدأ العرب يتخذون الاستعدادات اللازمة لاستئناف نشاطات العصابات المسلحة في فلسطين، ووزعت منشورات تحمل الصليب المعقوف، ويمكننا القول، أن الجماهير العربية كانت بانتظار قدوم الألمان. وقد وصلت الأمور

إلى حد اضطر الجيش البريطاني لتطويق قصر الملك فاروق في القاهرة، من أجل إرغامه على تغيير رئيس الحكومة الموالي للنازية. لقد اتصل ضباط مصريون- ومن بينهم الرئيس المصري السابق، أنور السادات مع الألمان، وعرضوا عليهم تقديم خدماتهم. وكذلك شاه ايران، أقام علاقات وطيدة مع النازيين.

رغم أن الاستيطان اليهودي كان خلال الحرب العالمية، الحليف الوحيد للبريطانيين خلال الحرب، الا أن البريطانيين لم يجمدوا الكتاب الأبيض، أو قرار عدم بيع الأرض، مما أدى إلى تقليص الهجرة اليهودية إلى حد كبير.

وكان الاستيطان، اليهودي، آنذاك، يبذل قصارى جهده من أجل توسيع الاستيطان، وإقامة مستوطنات جديدة في جميع أنحاء البلاد بالطرق القانونية أو غير القانونية، ورغم ذلك، تعاون الاستيطان اليهودي مع المخابرات البريطانية والتي كانت على استعداد من أجل تنفيذ أهدافها، لتجنيد وتدريب وتفعيل وتمويل المحاربين اليهود.

تطور الهجناه:

في أعقاب تحمل هيئة الأركان الجديدة مسئولية الدفاع عن الاستيطان اليهودي، شرع رجال مكتب التخطيط التابعون لها، وعلى رأسهم ايتان ابيشر- ببذل قصارى جهودهم من أجل إعداد خطة دفاع قطرية شاملة، واسماها الخطة (أ) وقد تمت صياغتها وبلورتها في نيسان ١٩٤٠، وعلى أسس الدفاع الثابت للمستوطنات التي تجري مهاجمتها حتى قدوم تعزيزات من المناطق المحيطة والأماكن البعيدة.

والجديد في الخطة هو تشكيل دوريات مقاتلة إقليمية، تتمثل مهمتها في شن الهجمات السريعة، في حالة تمكن العدو من اختراق خط المواقع.

وكانت خطة (أ) ترمي لتحويل كل مستوطنة من المستوطنات إلى حصن، وقد أثبتت هذه الخطة جدواها خلال حرب عام ١٩٤٨.

وتبدو أفضل النقاط التي قامت عليها الخطة، هـــي تلــك النقطـــة التـــي تنــص علـــى عدم تـــرك أي شـــيء للصدفـــة، وأن كـــل وضـــع أو عمـــل عســـكري يتوجـــب وضـــع مخططات مسبقة له وبصورة منهجيـــــة.

وكان شموئيل ديبون، أحد الأشخاص الذين عملوا مع ابيشـــــار واســـحق ســـديه، فـــي إنشاء هيئة أركان الهجناه، في أيلول ١٩٣٩، وقـــد أوكلـــت إليـــه مهمـــة، إعـــداد الجـــهاز الاستخباري للخطة(أ) والتي تهدف للدفاع عن حدود الدولة العبريـــــة داخـــل الحـــدود التـــي تم اقتراحها في حينه على أيدي لجنة بيل، وهو يقـــول بـــهذا الصـــدد:

"لقد اتضح لنا خلال عملية التخطيط، استحالة التخطيـــط بصـــورة جديـــة، طالمـــا لـــم تتوفر لدينا معلومات مفصلـــة حـــول القســـم العربـــي. لان عـــدم المعرفـــة ســـيجعل مـــن الصعب التخطيط لعمليات ليلية أو نهاريـــــة، وبالتـــالي هنـــاك ضـــرورة لجمـــع معلومـــات دقيقة بهذا الصدد. وبناء على ذلـــك، ينبغـــي تكريـــس المرحلـــة الأولـــى للبنـــاء النظـــري حول ما الذي تحتاج لمعرفتـــه؟

ونظرا لعدم وجـــود جهـــة قطريـــة، فـــي الـــهجناه، قـــادرة علـــى الحصـــول علـــى المعلومات المطلوبة، فقد ألقيت هذه المهمة علـــــى عـــاتق الشـــعبة العربيـــة التـــي يديرهـــا عيزرا دنين والفروع البلديـــة.

وعندما تم إنشاء منظمة (البلمـــاح) بعـــد ســـنة مـــن ذلـــك التـــاريخ، كرســـت هـــذه المنظمة، اهتمامـــا كبـــيرا لقضيـــة الدوريـــات، وبـــدأت عمليـــة توثيـــق القـــرى العربيـــة وتواصلت حتى حرب عـــام ١٩٤٨.

وسرعان ما ثار السؤال القائل: ما نـــوع المخـــابرات التـــي يجـــب أن نطـــالب بـــها الجهات العاملة في هذا المجال؟ وقد تطرق ديبـــون إلـــى المشـــاكل المرتبطـــة بـــالحصول على المعلومات الاستخبارية على النحـــو التـــالي:-

"اتضح أن المعلومات العسكرية المجـــردة بالمفـــهوم الفنـــي للكلمـــة لا تتيـــح فرصـــة التقدير الصحيح لقوة العدو-العربي- وكفاءته، وذلـــك نظـــرا لأننـــا لـــم نكـــن فـــي البـــلاد

نتعامل مع عدو منظم في وحدات عسكرية، بـل مـع مجموعـات نصـف مدنيـة، والتـي ترتبط كفاءتها وقيمة نشاطاتها ارتباطـا جدليـا لا انفصـام فيـه، مـع الواقـع السياسـي والاقتصادي للعرب، ومع قوة مستوى ومعنويات والاتجاهـات السياسـية العربيـة.

ويتضح من أقوال ديبون أن التجارب التـي تـم اسـتقاؤها مـن أحـداث ٣٦-١٩٣٧ تؤكد ضرورة فهم الصورة الكاملـة، نظـرا لعـدم إمكانيـة الفصـل بيـن الاسـتخبارات العسكرية أو المدنية والاقتصادية. بيد أن المجالات السياسـية والاقتصاديـة، كـانت حتـى ذلك الحين، في إطـار المعالجـة، موكلـة للشـعبة السياسـية للوكالـة اليهوديـة، وليـس للهجناه، ولهذا السبب تخلت هيئة الأركان بصـورة مؤقتـة عـن نشـاطاتها المسـتقلة فـي مجال المخابرات الإيجابية- أي جمع المعلومـات عـن العـدو. وقـد اتخـذ قـرار بدمـج شعبة المخابرات التابعة لهيئة الأركان العامـة مـع مخـابرات (هشـاي) التـابع للوكالـة، لتشكيل الشعبة العربية التابعة إلـى (هشـاي).

ويقول ديبون: أن هـذا الوضـع ضمـن تزويـد الـهجناه باحتياجاتـها العسـكرية، ومنحها إمكانية لتوجيه هشاي نحو احتياجاتها ومطالبها فـي المنطقـة العربيـة.

لقد حدد ديبون مهام المخابرات الإيجابية فـي تلـك الأيـام بقولـه:" قـامت السياسـة الاستخبارية على الافتراض القـائل، أن المهمـة الأولـى والأساسـية لجـهاز المخـابرات تتمثل في الإدراك الصحيح للمسـارات واتجاهـات التطـور، وأهـداف العـدو (العربـي) الميدانيـة، ومخططاتـه الخاصـة بـالصدام السياسـي والعسـكري معنـا. ومـن خـلال الافتراض آنف الذكر، ولدت جهود منهجية ومنظمـة ترمـي إلـى إتاحـة الفرصـة لنـا، كي نفهم ونحلل العناصر الأساسية للقوة العربيـة مثـل: منظماتـها العسـكرية، أو نصـف العسكرية، مشاكل الأسلحة، حشـودها، مخازنـها، ظـاهرة تنظيـم مجموعـات إرهابيـة وعصابات، سطو، معنويات، استعداد للتضحية، وفـوق كـل ذلـك، مـدى جديـة وكفـاءة عمل منظمات القوى العربيـة.

ولهذا السبب لم يعتمد جهاز المخابرات على المعلومات العارضة، وحرص على تغطية أهدافه بتيارات ثابتة من المعلومات، وقام بدراسة المعلومات العارضة في محاولة لملاءمتها مع المسارات العامة أو اعتبارها دلائل، تشير إلى وجود تغييرات في الاتجاه.

إن الوصف الذي أورده ديبون هو في حقيقة الأمر وصف للمجال المسمى (الأبحاث الاستخبارية). ومن الجدير بالذكر، أن عدة خطوات اتخذت في الأربعينات داخل الشعبة العربية في (هشاي) للقيام بأبحاث برئاسة يعقوب شمعوني. بيد أن هذه الأبحاث لم تتطور، واتسمت أعمال ونشاطات الشعبة بتخزين معلومات قليلة، والتحقيق في قضايا محددة.

كان واضحا لهيئة الأركان، أن غياب جهاز استخبارات رفيع المستوى، هو أحد نقاط ضعف الهجناه، وليس أدل على ذلك من المحاولة التي جرت عام ١٩٣٩، لتدريب ضباط في هذا المجال، وقد جاء كتاب التوجيه، الذي تم توزيعه، تحت غطاء "الحسابات السنوية لشركات التنقيب عن النفط في الجليل الأعلى" إن الأحداث التي وقعت مؤخرا، أكدت على ضرورة وجود شعبة مخابرات، وجعلتنا ندرك مدى الأضرار التي ستلحق بنا جراء عدم وجود مثل هذه الشعبة".

وتجدر الإشارة، إلى أن الكتيب تحدث عن الأحداث الأخيرة، دون الإشارة إلى البريطانيين، مما يشير إلى أن مكتب التخطيط التابع لهيئة الأركان، عام ١٩٣٩، كان يعتبر العرب في "أرض إسرائيل" بمثابة العدو، ولم يتطرق الكتيب إلى الجيوش العربية، أو البريطانيين.

وفي غضون عام ١٩٣٩، تحول البريطانيون إلى عدو حقيقي، ورغم ذلك، تعاون معهم بعض اليهود لأسباب مختلفة، ولا شك، في أن الوشايات، هي المصدر الذي اعتمد البريطانيون عليه.

وفي الخامس من تشرين الأول ١٩٣٩، تم اعتقال ثلاثة وأربعين من قادة الهجناه، جراء قيامهم بأعمال التدريب، وصدر بحقهم أحكام مختلفة.

وفي الثامن عشر من تشرين الثاني ١٩٣٩، تم اعتقال ثمانية وثلاثين عضوا من منظمة الاتسل، قرب(مشمار هيروديت) وصدرت بحقهم أحكام لفترات مختلفة، هذا رغم أن الاتسل- وبناء على توجيهات من زئيف جابوتنسكي- تعاون مع المخابرات البريطانية، حتى ضد جهات في الاستيطان اليهودي، من أوساط اليساريين، الذين كان البريطانيون يطلقون عليهم لقب" الطابور الخامس" ورغم وجود عدد في أوساطهم من عملاء الاتحاد السوفييتي، الا أن غالبيتهم كانوا من رجال الوكالة اليهودية والهجناه، والهستدروت.

وفي الرابع والعشرين، من تشرين الأول ١٩٣٩، تم اعتقال عشرة نواطير، كانوا قد هبوا للدفاع عن أراضي جينوسار من اعتداءات العصابات العربية، وحكم عليهم بفترات سجن طويلة.

وفي السادس من كانون الثاني ١٩٤٠ جرى تفتيش قرية (مشمار هشلوشاه) والعثور على مخزن أسلحة سري في أراضيها. وفي (سجرة) قام الجنود البريطانيون مصحوبين بشخصين ملثمين، بالتجوال في القرية.

وفي ليلة الثاني والعشرين من كانون الثاني ١٩٤٠، أحاط رجال الشرطة والمباحث بقرية الشبيبة(بن شيمن) والمحاطة بالقرى العربية، وخلال التفتيش الذي أجرته القوة، تم العثور على ثلاثة مخازن أسلحة من المخازن الخمسة الموجودة في القرية، والقي القبض على المعلمين والمدير، وحكموا بالسجن لفترات طويلة.

وقد صادق قائد الجيش البريطاني في البلاد الجنرال (بركر)،ثم الجنرال جفرد الذي تلاه على الأحكام الشديدة التي تم اتخاذها، بدعوى أن الامر كان يتعلق بمحاولة للتمرد على البريطانيين. وقد أبرزت الصحف البريطانية الاعتقالات على هذه الأرضية أيضا.

وطالبت الحكومة البريطانية الحركة الصهيونية علنا بحل الهجناه، وتسليم أسلحتها إلى السلطات البريطانية.

وبدا واضحا أن جميع تلك الاعتقالات ترتكز إلى الوشاة اليهود، وعلم، فيما بعد، أنه وإضافة إلى المعلومات التي كانت المخابرات البريطانية تتلقاها من الإصلاحيين، فقد قامت بتشكيل شبكة وشاه مستقلة، وقد تم تجنيدهم من أوساط العالم الثالث في الاستيطان اليهودي.

وفي مطلع عام ١٩٤٠، قررت القيادة القطرية إنشاء وحدة قطرية تحت اسم "شعبة مكافحة التجسس" من أجل إحباط محاولات السلطات البريطانية تصفية الهجناه بالاستعانة بالوشاة، وكلف شاؤول أبيجور بتشكيلها.

لقد لجأت القيادة الإسرائيلية، إلى أبيجور، في كل مرة كانت تجد نفسها في حاجة لاتخاذ خطوة على صعيد المخابرات.

ففي عام ١٩٣٣، قام أبيجور بالإشراف على إقامة شعبة المخابرات البلدية واللوائية.

وفي عام ١٩٣٩، شكل ترسا دفاعيا ضد محاولات السلطات البريطانية لتصفية الهجناه باستخدام الوشاة. وفي عام ١٩٤٠ تمكن أبيجور من إقناع الهجناه وقيادة الوكالة اليهودية، بتوحيد شعبتيها الاستخباريتين للقيام بالعمل المشترك.

وبوصفه عضوا في مركز الهجناه، في العشرينات وقائدا قطريا في الثلاثينات، تولى أبيجور ملف الاستخبارات في الهستدروت والهجناه، والوكالة اليهودية. وقد اعتبره مسئولو جهاز مخابرات الهجناه، ونشطاء الأمن الآخرون بمثابة الشخص المناسب جدا للعمل على هذا الصعيد.

وقد استعان أبيجور بيهودا أرزي، وديفي شلتتيل. وقد ولد شلتتيل في ألمانيا عام ١٩٠٣، لعائلة برجوازية ثرية، وقد فر من بيته، وفي عام ١٩٢٦، تطوع في جيش الأجانب الفرنسي وعمل فيه كجندي ورقيب طيلة خمس سنوات، وحال عودته

إلى أوروبا بدأ يعمل في التجارة، ثـم انضـم إلـى النشـاطات الصهيونيـة، فـهاجر إلـى إسرائيل عام ١٩٣٣، ولعـب دورا مـهما علـى صعيـد شـراء الأسـلحة. وفـي إحـدى جولاته الشرائية اعتقل عـام ١٩٣٦، علـى أيـدي الجسـتابو الألمـاني، وعندمـا أطلـق سراحه عاد إلى إسرائيل وشغل مناصب قياديـة فـي الـهجناه. وفـي عـام ١٩٣٩ عينـه ابيجور رئيسا لقسم التحقيقات الخاصة في شـعبة مكافحـة التجسـس. وأقـام قيادتـه فـي شارع ليلنبلوم٢٩، في تل أبيب، تحت غطاء أنه مكتـب" رابطـة الحـراس".

ويقـول شـلتئيل، أن قسـمه اكتشـف خمسـة يـهود، عمـلاء للبريطـانيين ، وتـم إعدامـهم.

وقد عين شلتئيل فيما بعد رئيسا (لهشاي)، ثـم قـائدا للـواء القـدس. وكـان شـلتئيل قوي الشـكيمة.

ويقول تسفي زوهر، أحد العـاملين معـه، ذات يـوم كنـت أسـير أنـا وهـو فـي الشارع، ولاحظنا أن هناك من يتبعنا. فقال لي: انظـر كيـف سـأدبر نفسـي. وعـاد إلـى الشاب الذي كان يتابعنا وقال له وهو يبتسم: اسمي ديفيد شلتئيل، كيـف حـالك، ثـم وجـه إليه فجأة لكمة طرحته أرضا، لقد كان شـجاعا جـدا".

عينت شعبة مكافحة التجسس مسـئولين قطرييـن، فعينـت أريـك أشـل مسـئولا في الجنوب، وليفي إبراهمي، في لـواء حيفـا، وموشـيه بـارون فـي الجليـل والشـمال، وابتيكوبسكي في القدس، وافرايم ديكل في تـل أبيـب.

وفي الصيف، تم ضم يهودي من اصـل نمسـاوي إلـى الشـعبة نظـرا لتجربتـه الواسعة في التحقيقات في شرطة فينا. وقد علـم أعضـاء الشـعبة كيفيـة إدارة التحقيقـات، وما الذي يتوجب عليهم معرفته قبل الشـروع فـي التحقيـق، ومـا الفـارق بيـن التحقيـق المباشر وغير المباشر، وكيف يتـم التحقيـق مـع الشـهود وتحويـل النتـائج إلـى دلائـل والتفتيش السري، وأساليب فتح الأقفال وتغيير بطاقات الهويـة، وغـير ذلـك.

وسرعان ما بدت النتائج المفيدة للتنظيم، فقد نجح موشيه بارون في اكتشاف سائق السيارة اليهودي الذي كشف للمخابرات البريطانية، مكان مخزن أسلحة الهجناه في (مشمار هشلوشاه) وقد تم تقديمه للمحاكمة وإعدامه.

وبدأت الشعبة بمتابعة المشبوهين، وتفتيش شققهم سراً، وتضمنت عملية معالجتهم توجيه الإنذارات والتهديدات، والضرب. وكان المتهمون يقدمون إلى محكمة الهجناه، التي كان يشغلها في الغالب محامون، في حين عمل شلتئيل أو رئيس شعبة مكافحة التجسس اللوائي كنائب عام خلال المحاكمة، ثم قدمت قرارات الحكم إلى رئيس القيادة القطرية.

وتجدر الإشارة، إلى أن المحاولات التي بذلتها شعبة مكافحة التجسس، وكذلك جهود (هشاي) حالت دون حصول البريطانيين على معلومات كثيرة حول الهجناه، بل وحتى المعلومات التي حصلوا عليها كانت ضحلة للغاية وليست دقيقة، أو أنها معلومات مدسوسة حرصت الهجناه على ايصالها إليهم.

ويتضح من الأرشيف البريطاني الذي فتح للجماهير للاطلاع عليه مؤخراً، أن غالبية المعلومات التي حصل عليها البريطانيون حول الهجناه وعلى الاستيطان اليهودي، تم الحصول عليها من المصادر العلنية والتحقيقات التي تم إجراؤها مع اليهود الذين اعتقلوا، وتم التحقيق معهم، وليس نتاجا للعمل الاستخباري.

ويقول ليفي ابراهمي قائد جوش ياجور والذي عين عام ١٩٣٩ قائدا لوحدة العمليات الخاصة في حيفا والشمال ثم رئيسا لشعبة مكافحة التجسس في حيفا: "لقد تسلمت الشعبة وفيها ثلاثة أشخاص فقط، ثم جرى مضاعفة العدد لستة أشخاص. كانوا جميعا يعملون بأجر، وقد عملت شبكة مكافحة التجسس بوساطة عملاء في غالبية أطر وحدات الهجناه في حيفا وقراها. وكان عملاء الشعبة يوزعون على وحدات الهجناه، بمعدل عميل واحد في كل وحدة وتتمثل مهمته في ملاحظة الظواهر الغريبة والإعلام عنها، وخصوصا في قواعد التدريب، وبالقرب من مخازن الأسلحة.

وعمدت الشعبة إلى تشغيل عملائها في المؤسسات المختلفة في وظائف علنية، كي يبرر بها وجوده في المؤسسة إذا ما تم التحقيق معه، وقد تم الاتفاق مع مسئولي هذه المؤسسات بدعمه عند الحاجة، دون أن يكون لديهم علم بطبيعة المهمة التي يقوم بها".

ومن الجدير بالذكر، أن شعبة مكافحة الجواسيس، تابعت وراقبت أيضا، وبالتعاون مع أجهزة الأمن الأخرى الشرطة والجيش البريطاني. ويقول ليفي ابراهمي، أنه تمكن من زرع عميل له في المخابرات البريطانية، وذلك العميل هو (افرايم بن ارتسي) الذي وصل فيما بعد إلى رتبة لواء في الجيش الإسرائيلي. كان بن آرتسي آنذاك، ضابطا في إحدى فصائل كتائب "أرض إسرائيل"، ووفقا لإجراءات الترقيات في الجيش البريطاني، تم تعيينه ضابطا للأمن في وحدته، وحينها قرر ابراهمي أن يزرعه في المخابرات البريطانية.

تمكن بن آرتسي خلال عمله في المخابرات البريطانية، من تزويد ابراهمي بمعلومات شديدة الأهمية حول العصابات العربية والمشبوهين بالتعاون مع البريطانيين، وقد سلمها ابراهمي إلى المسئولين عنه، بيد أنه رفض الكشف عن مصدر معلوماته.

وقد تم ضم بن آرتسي إلى طاقم الاستخبارات البريطاني في اللواء، والذي ترأسه ضابط برتبة (بريجادير) مما أتاح له فرصة الوصول إلى العديد من الوثائق السرية وإيصالها إلى (هشاي) التي خصصت أربع كاتبات وعددا من المتطوعين، لنسخ الوثائق التي كان يجلبها طيلة ليال كاملة، والتي تضمنت قوائم بأسماء آلاف العرب العاملين والنشطاء، أو المشبوهين بالعمل ضد الاستيطان اليهودي. كما تضمنت الوثائق أيضا، معلومات وفيرة حول الجيش البريطاني، والمعلومات التي كانت بحوزته حول الاستيطان اليهودي، والهجناه، والمنظمات المنشقة، وكانت تلك المعلومات قريبة إلى حد كبير للحقيقة.

التعاون بين الاستيطان اليهودي والبريطانيين:

كانت هناك عدة مجالات تعاون بين الاستيطان اليهودي والبريطانيين، وفي أعقاب اندلاع الحرب العالمية الأولى ظهرت في الاستيطان اليهودي حركة تطوع للجيش البريطاني، بيد أن البريطانيين لم يصدروا أوامر بتجنيد أشخاص من "أرض إسرائيل" في وحدة منفردة، الا مطلع آب ١٩٤٠، ولم ينفذ البريطانيون هذا القرار الا صيف ١٩٤٢، عندما أصبح رومل على أبواب مصر بجحافله، وأدرك البريطانيون، أن الاستيطان اليهودي، هو أكثر الجهات إخلاصا لهم في المنطقة.

ورغم الصعوبات التي وضعها البريطانيون في وجه تشكيل وحدات عسكرية نظامية من الاستيطان اليهودي، الا أن مسئولي الوحدات العسكرية البريطانية الخاصة، كانوا يدركون تماما، أن هناك عددا لا بأس به في الاستيطان من اليهود الأوروبيين، والذين هم على استعداد للتضحية بكل شيء خلال الحرب، ضد هتلر. ونظرا لان مهمة هذه الوحدات الخاصة كانت تتمثل في زرع طابور خامس في مؤخرة الألمان والإيطاليين، فقد وجدت في الاستيطان اليهودي بغيتها المنشودة، خصوصا على أرضية النقص الحادث في الطاقة البشرية لديها، وبتشجيع من الوكالة اليهودية، إبان قيام روبن شيلوح بمعالجة العلاقة بين الاستيطان والوكالة والبريطانيين. هذا في الوقت الذي ظهرت فيه العديد من التحفظات لدى جهات في الاستيطان اليهودي، من التعاون مع المخابرات البريطانية.

وبفضل هذا التعاون، تمت عمليات الإنزال بالمظلات من قبل جنود الاستيطان اليهودي، في أوروبا المحتلة، وهو الامر الذي أفضى إلى بلورة قوة الهجناه العسكرية الذاتية، ورأس حربتها (البلماح).

ويعتبر مكتب التحقيقات الخاصة، الذي تمت إقامته في حزيران ١٩٤٠ بحيفا، بالتعاون بين الاستيطان اليهودي والمخابرات البريطانية، أحد أهم الخدمات المهمة، التي قدمها الاستيطان للبريطانيين، وقد أدار المكتب، المهندس عمانوئيل يلن، القائد السابق لـ (هشاي) في حيفا وقد قام المكتب باستجواب أربعة آلاف وأربعمائة

مهاجر جديد، في غضون أربع سنوات، وقدموا خلالــها معلومــات مهمــة علــى الصعيــد الاقتصادي والعسكري والطوبوغرافي، وحول الأشخاص فــي الــدول التــي قدمــوا منــها. وبناء على هذه الاستجوابات، تم إرسال ألف وســبعمائة قائمــة مــن المكتــب إلــى قيــادات الحلفاء المختلفة، والتي أسهمت في عمليات التخطيط للقيام بعمليــات مــن أنــواع مختلفــة.

لقد كان المكتب آنف الذكر هو أحــد منــاحي التعــاون بيــن الاســتيطان اليــهودي والبريطــانيين.

من الجدير بالذكر، أن عمليات التجسس الواســعة التــي نفذهــا أبنــاء الاســتيطان اليهودي- وخصوصا المستعربين- في سورية ولبنان والعــراق قبــل اقتحــام دول الحلفــاء لهذه الدول، في أيار وحزيــران ١٩٤١، وأيضــا عــام ١٩٤٢، لــم تجــر تحــت مســئولية (هشاي) أو شعبة مكافحة التجسس. ويرجع ذلك إلــى أن (هشــاي) لــم تكــن تعمــل علــى صعيد التجسس في الدول المجاورة، ولــم تكــن تضعــه نصــب عينيــها- هــذا باســتثناء بعض العمليات الخاصة، التي تم إنجازها إبان حــرب ١٩٤٨. ولــم تكــن (هشــاي) أيضــا، مسئولة عن الوحدات الخاصة، أو الجهات الأخــرى التــي عملــت خــلال فــترة الحــرب، كالبلماح التي تم تشكيلها في أيار ١٩٤١، من اجــل مناوشــة الألمــان مــن الخلــف، وتــم تدريب أعضائــها فــي مطلــع ١٩٤٢، بتعــاون بريطــاني ســري، دون اطــلاع ســلطات الانتداب على ذلــك.

ولم تشارك (هشاي) أيضا، فــي إعــداد محطــات البــث الســرية، التــي نظمــها موشيه ديان، بالتعاون مع البريطــانيين عــام ١٩٤٢.

أما على صعيد القضايا الداخلية الحساسة، فقــد لعبــت(هشــاي) وشــعبة مكافحــة التجسس دورا مهما خلال الفترة الواقعــة بيــن الأعــوام ٤٠-١٩٤٢. وكــان جــل اهتمــام المباحث والوحدات البريطانية الخاصــة منصبــا علــى اكتشــاف الجواســيس والمتعــاونين مع دول المحور. وقد اعترف أحد كبــار شــخصيات المبــاحث الانتدابيــة، فيمــا بعــد، أن

المخابرات اليهودية، كانت المصدر الأساسي للبريطانيين حول ما يدور في أوساط الألمان.

ويقول يعقوب كنر -الشرطي السابق في الشرطة الانتدابية- لقد تمكنا من اعتقال جاسوسيين نازيين تم إدخالهما إلى البلاد بجوازي سفر نمساويين، وسكنا في بنسيون على ساحل البحر في تل أبيب، وقد تم اعتقالهما في أعقاب الملاحظات التي قدمتها صاحبة البنسيون حول شكوكها فيهما، إلى افرايم ديكل، رئيس مركز مكافحة التجسس في تل أبيب.

ويشير(كنر) أيضا، إلى تسلل شعبة المكافحة إلى القنصلية الإيطالية، في يافا، من أجل الحصول على معلومات قبل دخول إيطاليا الحرب، وتفتيش حقيبة القنصل الياباني، الذي قدم إلى تل أبيب من القدس لقضاء الوقت مع سكرتيرته في فندق(جت ريمون).

تم تشكيل قسم خاص في شعبة المكافحة هو (القسم-٥) للعمل على اكتشاف الجواسيس الإيطاليين والألمان، الذين تم إدخالهم إلى "أرض إسرائيل"، تحت غطاء مهاجرين جدد، وقد ترأس هذا القسم الدكتور فريدنتك من هرتسيليا، وقد بذل القسم قصارى جهده لكشف هؤلاء الجواسيس. وكان على اتصال مباشر مع المخابرات البريطانية.

لقد كانت شعبة المكافحة، شديدة الاهتمام باكتشاف هؤلاء الجواسيس، وذلك نظرا لأن أحد مزاعم البريطانيين ضد الهجرة انذاك، تمثل في الزعم القائل، أن بالإمكان تسلل وحدات معادية كاملة في أوساط المهاجرين للقيام بأعمال التجسس والتخريب. بيد أن القسم لم ينجح في اكتشاف حتى جاسوس واحد، مما أدى، في نهاية المطاف إلى إغلاقه.

ومن الجدير بالذكر، أن جميع التحقيقات التي جرت، لم تثبت أبدا، أن الألمان أو الإيطاليين، استغلوا موجات الهجرة لزرع الجواسيس.

وأيضا، لم تتمكن شعبة المكافحة من اكتشاف الاتصالات المسبقة، التي جرت بين منظمة الاتسل، وبين الإيطاليين، أو الاتصالات التي جرت بين منظمة (ليحي) مع الإيطاليين والألمان، في كانون الثاني ١٩٤١، وهي الاتصالات التي أجراها نفتالي لوبينتسيك.

إن الصيغة التي أعدها بن جوريون لتحديد العلاقات بين الاستيطان اليهودي والبريطانيين خلال الحرب، عكست طبيعة تعامل (هشاي) مع البريطانيين. فمن ناحية كانت هشاي تتعاون مع المخابرات البريطانية ومن الناحية الأخرى، قامت بتخزين المعلومات واكتساب تجربة ومواقع لحين الحاجة.

إن المرحلة القصيرة من التعاون بين الوكالة اليهودية بصورة عامة، وشعبة المكافحة بصورة خاصة مع المخابرات البريطانية مكنت الهجناه (وهشاي) من الحصول على معلومات واسعة حول البريطانيين، وقد استخدمت جميع الأذرع لجمع المعلومات فقد تلقت الهجناه و(هشاي) من المهندسين الذين شاركوا في بناء معسكرات الجيش البريطاني والمطارات، معلومات مفصلة وخرائط حول المنشآت، وأسماء رجال الشرطة والضباط البريطانيين المعادين للاستيطان اليهودي، والمؤيدين له، وتم إدخال هذه المعلومات وتصنيفها في السجلات. وتمكن أولئك العاملون في هذا المجال، من الحصول على كتيبات من التوجيه العسكري بما فيها في المجال الاستخباري، وعلى الأخص في مجال الأمن الميداني.

وطلب البريطانيون من (هشاي) أن تدلهم على أماكن مناسبة لإنشاء مخازن وقود وحراستها. وقد تم إجراء تدريبات في تلك المواقع لقوات الهجناه. كما تمكنت الهجناه وشعبة المكافحة، من توسيع مجال معرفتها عبر استنساخ وسرقة وثائق من أنواع مختلفة. فإبان استضافة الحراس البريطانيين في أحد النوادي الليلية، تمت سرقة ونسخ خرائط عسكرية من معسكر بريطاني في بيتح تكفا ونقلها إلى أرشيف الهجناه في تل أبيب.

واهتم رجال الشرطة والنواطير اليـــهود- الذيـــن تـــم تدريبيـــهم فـــي تلـــك الآونـــة لدى الجيش البريطاني علـــى أســـلحة خاصـــة. راجمـــات وقنـــابل يدويـــة، وقنـــابل بنـــادق ورشاشات ثقيلة، كي يتمكنوا من مواجهـــة أي إنـــزال ألمـــاني حيـــن الحاجـــة- بـــالحصول على كراسات وكتيبات التوجيه، وفقا لما طلبت منهم شـــعبة المكافحـــة. كمـــا طلـــب منـــهم أيضا، تسليم بطاقة شـــرطي أو نـــاطور لنشـــطاء هجنـــاه آخريـــن، لتمكينـــهم مـــن اجتيـــاز الدورات هم أيضا. وتم أيضا، نقل الذخائر والأسلحة المعطوبـــة إلـــى مخـــازن الـــهجناه.

هذا، ولم تأت هذه النشاطات مع البريطـــانيين وضدهـــم، علـــى حســـاب الأهـــداف الرئيسية لشعبة المكافحة- وهي الشيوعيون والمنشقون- وقـــد تمـــت الإشـــارة ســـابقا. إلـــى أرشيف الحزب الشيوعي، الذي تمكنـــت شـــعبة المكافحـــة مـــن ضبطـــه فـــي تـــل أبيـــب. وتواصلت أيضا عملية متابعة المنظمات اليهودية المنشـــقة، وعلـــى رأســـها (الإتســـل) دون كلل أو ملـــل.

لقد تركزت نشاطات الاتسل، في تلك الآونة علـــى شـــعبة المخـــابرات التابعـــة لـــه والتي يترأسها إســـــرائيل بريتســـكر، وكـــانت هـــذه الشـــعبة تعمـــل بالتعـــاون التـــام مـــع البريطانيين. وقامت بتسليم البريطانيين معلومات دقيقـــة وواســـعة، حـــول الـــهجناه وليحـــي والاستيطان اليـــهودي.

وفي نهاية أيار ١٩٤٠، وقعت حادثة تتطلب التدخل الســـريع والعـــاجل مـــن قبـــل (هشاي) وشعبة المكافحة، فقد اكتشف خازن الـــهجناه، أن نشـــطاء مـــن الاتســـل، اخرجـــوا أسلحة من مخابئ الهجناه، في هرتسيليا، واســـتولوا عليـــها، ولـــم يتـــم اكتشـــاف الامـــر الا في تموز، وكلفت هيئة الأركـــان شـــعبة المكافحـــة بـــالتحقيق فـــي القضيـــة، وتـــم إرســـال موشيه بار- اون، إلى هرتسيليا، وطلب منه تقديم المســـاعدة إلـــى إســـرائيل عمـــير، الـــذي كان يعمل قائدا للواء هرتسيليا وطلب منه التحقيـــق فـــي الحـــادث.

وفي أعقاب التحقيقات الســـرية، والمتابعـــة لرجـــال الاتســـل، مـــن قبـــل نشـــطاء الهجناه وشعبة المكافحة، اعترف رجال الاتسل كتابيا بالســـرقة، وتمـــت اعـــادة الســـلاح.

وفي أعقاب هذا الحــادث علمــت الــهجناه بالانشــقاق الــذي وقــع فــي أوســاط الاتسل، بين المؤيدين والمعارضين للتعاون مع البريطانيين، وكمـــا يبــدو، فــإن معــارضي التعاون، هم الذين سرقوا السلاح، وهم أيضا الذين شكلوا، فيمـــا بعــد، منظمـــة (ليحـــي).

ويقول شلوم درور فـــي وصــف الأحــداث التــي واكبــت هــذه الحادثــة: كــان الطرفان يعملان انطلاقا من حوافز أيديولوجية بيــد أننـــا كنـــا نــدرك تمامـــا، أن الانشــقاق هو سرطان قاتل وشديد الخطورة علـــى وجودنـــا وتطورنـــا وإمكانيـــة إحرازنـــا لأهدافنـــا السياسية والأمنية في البلاد، لذا كنـــا نكــن الكثــير مــن الاشــمئزاز لــهؤلاء الأشــخاص واعتبرنا أسلوبهم وممارساتهم بمثابة خطر يـــهدد الــهجرة الثانيــة والاســتيطان اليــهودي، ولإمكانية مواصلة قوتنا من أجل نيــل الاســتقلال.

وعملت شعبة المكافحـــة أيضـــا، علـــى صعيـــد الرقابـــة، فعندمـــا بـــدأت عمليـــة التطوع للجيش البريطاني، أخذت الشعبة في البحث عـــن شــبان يــهود ملائميـــن لإلحاقــهم بدورات الضباط. وكانت الشعبة مكلفة أيضا، بدراسة الخلفيـــة القوميـــة لـــهؤلاء.

وكانت الإجراءات تجري على النحو التـــالي: يتوجـــه ضـــابط التجنيـــد البريطـــاني إلى الشرطة للتأكد من استقامة المتطوعين، فتتوجه الشـــرطة إلـــى الوكالـــة اليهوديـــة التـــي تتوجه بدورها إلى شعبة المكافحة، التي تقوم بعملية المتابعـــة عـــبر محققيـــها وأعضائـــها.

وهكذا، تشكلت في شعبة المكافحـــة، بصـــورة تدريجيـــة، جميـــع العوامـــل التـــي شكلت فيما بعد النشاطات الأساسية الدائمة لـــــ (هشـــاي) والمتمثلـــة فـــي حمايـــة الـــهجناه والاستيطان اليهودي من الجواسيس والوشاة وجمـــع المعلومـــات، حـــول نوايـــا العـــدو- أي السلطات البريطانيـــة.

كانت الشعبة، آنذاك، تفتقر إلى شيء واحـــد، وهـــو توفـــر قســـم أو جهـــة عاملـــة على الصعيد العربي، ويرجع ذلك، إلى أن هـــذا المجـــال، كـــان مـــن اختصاصـــات القســـم العربي في الوكالة اليهوديـــة.

وقدتم تصحيح هذا الوضع، عندما تمكـــن شـاؤول ابيجـور مــن إقنــاع موشــيه شريت، رئيس الشعبة السياســية فـــي الوكالـــة، واليــاهو جولومــب القــائد غــير المتــوج للهجناه ونظرائهما في الاستيطان اليهودي والقيـــادة العليــا بضـــرورة أن يتـم ضــم جميــع الأذرع الاستخبارية على الصعيد التنظيمي، وخلـــق اســتخبارات قطريــة موحــدة. وبنــاءا على ذلك، ضم إلى الشعبة القسم العربـــي فـــي الوكالـــة اليهوديـــة، وعلـــى رأســها عــيزرا دنين. ورغم ذلك، بقي القسم العربي جهة مشتركة بيـــن الوكالـــة اليهوديـــة والــهجناه، وقــد واصلت الوكالة الإنفاق عليه، وتم تعيين زئيـــف شــيرف مســؤولا عــن الجــهاز بكاملــه. وقد عمل شيرف في قيادة الهجناه، وفي نفـــس الوقــت كـــان مرتبطـــا أيضـــا مـــع الشـــعبة السياسية للوكالة اليهودية. وكان معروفا كصـــاحب خـــبرة وتجربـــة فـــي مســـائل التنظيــم والميزانيات، وبالاطلاع على جميـــع القضايـــا الأمنيـــة، ويتحلـــى بشـــخصية زعيــم وقــائد قوية، ورغم ذلك، كان متواضعا، وفضل انتــــهاج أســلوب الإقنـــاع. وبنـــاء علـــى جميـــع الاراء، كان الرجل المناسب للتعامل مــــع الشـــخصيات المختلفـــة والمتشـــددة والشـــاذة مـــن أمثال شلتتيل ودنيـــن.

وكان أول المجالات التي عمد شـــيرف إلـــى معالجتـــها قضيـــة المنشـــقين، وفـــي أعقاب الاتصالات التي أجراها مع دنين وفلمون، أبـــدى اهتمامـــا خاصـــا بالشـــعبة العربيـــة لـــ (هشاي)، وفعل الكثير مـــن أجـــل تحســين أدائـــها. ومـــن الجديـــر بـــالذكر، أن القســم العربي كان اكبر الشعب، ولم يكن يقتصر فقط على المنـــــاطق التـــي يســـكنها اليـــهود. بـــل على البلاد كلـــها.

ورغم نجاح دنين في نشــــر رســـله إلـــى الشـــمال والجنـــوب، فقـــد امتـــد مجـــال معالجته إلى منطقة القطاع الساحلي، وجبال شـــمال الضفـــة الغربيـــة.

وقد أكمل فلمون هذه الجهود، وتخصـــص فـــي منـــاطق البحـــر الميـــت والقـــدس وضواحيها وجنوب الضفة. لقد سعى شيرف إلى نشر شبكته فـــي جميـــع أنحـــاء البـــلاد.

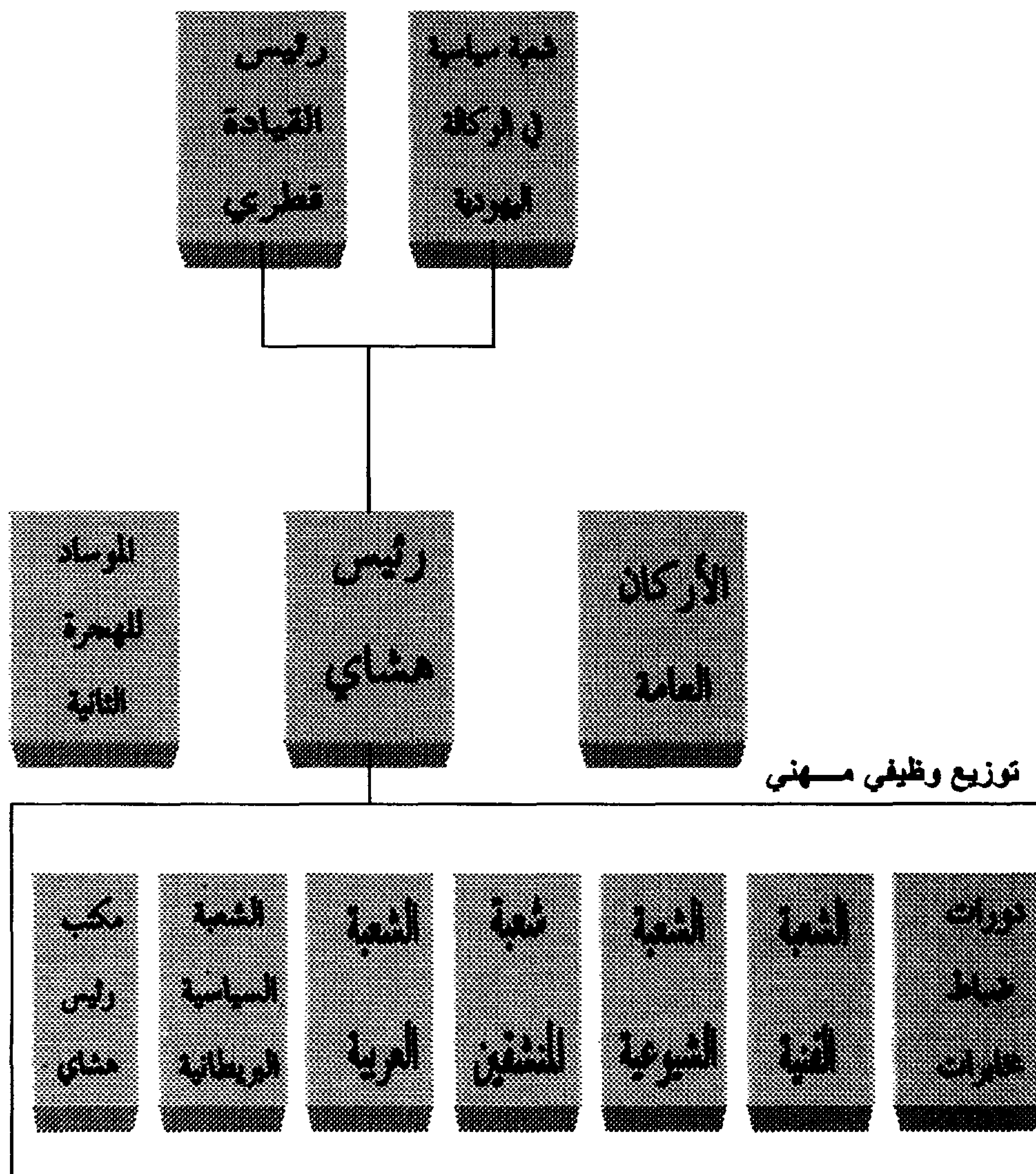
وعندما انشغل ابيجور بالعمل في الموساد في عهد الهجرة الثانية، واصبح يقضي في اسطنبول وقتا طويلا حيث مركز التنسيق بين الموساد والمخابرات البريطانية- شغل شيرف، على الصعيد العملي، منصبه في مجال المخابرات، وعلى وجه الخصوص القسم العربي لـ (هشاي).

إن ما يميز (هشاي) العربي التي كان يترأسها دنين، هو أنها لم تكن تكتفي بالعمل على الصعيد الاستخباري، بل كانت تلعب دورا عمليا على الصعيد السياسي أيضا. فأثناء معركة، العلمين، منتصف عام ١٩٤٢، جرى لقاء بين رجال هشاي، والمعارضة العربية، تم خلاله وضع الخطوط العامة للعمل، المشترك والتعاون في المجال الأمني. وقد اتضح خلال السنوات، أن هذا اللقاء لم يسفر عن تعاون حقيقي، بيد أن المخابرات الإسرائيلية استفادت كثيرا منه.

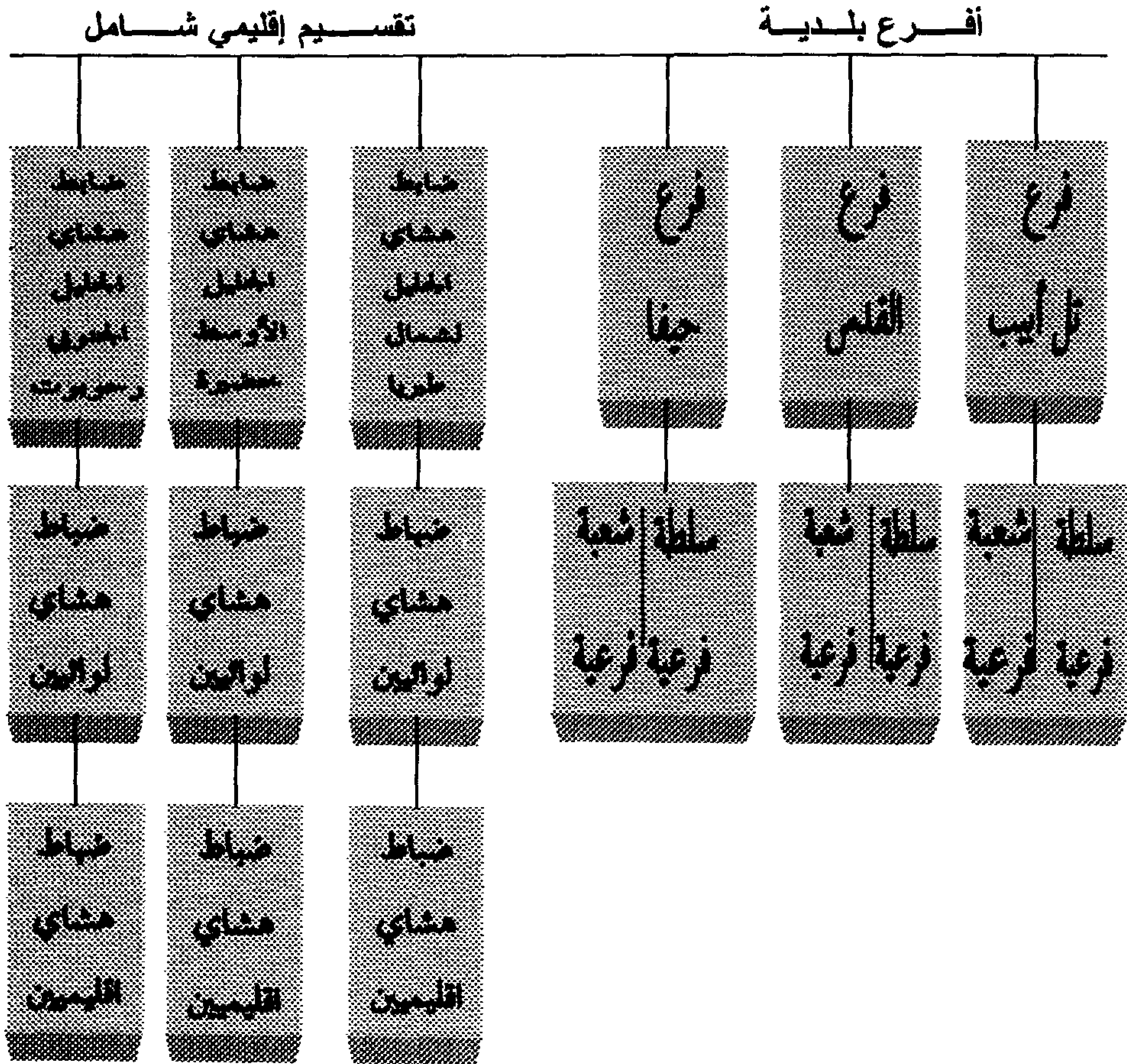
لقد تم تشكيل شعبة المكافحة، مطلع عام ١٩٤٠، كوحدة قطرية في إطار الهجناه، وفي صيف ١٩٤٠، تم ضم شعبة المكافحة، والشعبة العربية، في إطار موحد مع هشاي ورغم ذلك، واصلت شعبة المكافحة الحفاظ على استقلالها النسبي حتى حل اسرائيل عمير محل شلتئيل في رئاسة (هشاي) في كانون الثاني ١٩٤٢. في حين واصلت الشعبة العربية، برئاسة دنين، العمل كجهة مشتركة مع الهجناه، والوكالة اليهودية.

وقد نجمت ضبابية عن هذا الوضع، فيما يتعلق بتبعية(هشاي)، وفيما إذا كانت خاضعة في حقيقة الامر للهجناه أم للوكالة اليهودية، ومما زاد الطين بله، عدم تحديد قنوات القيادة والتنسيق.

أ-هيكل هشاي
1942-1948



(ب)



أفـــرع بلــديــة
تقســــيم إقليمي شـــامل
فرع تل أبيب
فرع القلس
فرع حيفا
سلطة
شعبة
زعبة
ضابط
هشاي
الجليل
طبريا
الأوسط
لوائين
إقليميين

الفصل الرابع

هشاي- المخابرات العامة القطرية

١٩٤٢-١٩٤٥

طلب موشيه سنيه- رئيس القيادة القطرية للهجناه في نهاية كانون الثاني ١٩٤٢، من إسرائيل عمير- أحد كبار قادة الهجناه، تسلم قيادة (هشاي)، وقد فوجئ عمير بالطلب، بيد أنه استجاب له.

لقد أصرت الجهات الاستخبارية اليهودية على ضرورة تشكيل جهة استخبارية موحدة منذ أن أدركت أن النشطات الخاصة وغير المنسقة غير كافية، وحاجتها إلى وجود قائد محنك، وقادر على تحويل الأجهزة المختلفة إلى جهاز موحد وفعال.

وعمير من مواليد(فيلنه) وقد هاجر إلى إسرائيل عام ١٩٢٣ وهو في التاسعة عشرة من العمر، ومنذ وصوله إلى فلسطين، عمل في إطار الهجناه، ووصل إلى منصب أحد قادة تل أبيب. ومنذ عام ١٩٢٨، عمل قائدا لكتلة السهل الأوسط، وفي عام ١٩٣٧ عين مديرا في الصناعات العسكرية التابعة للهجناه، ولم تكن تلك الصناعات ترتكز، سوى إلى أربعة مصانع حرفية، وفي غضون سنتين من توليه هذا المنصب، بلغ عدد المصانع الصغيرة العاملة في إطار الصناعات العسكرية أحد عشر مصنعا.

وفي عهد عمير، بدأت تلك المصانع في إنتاج راجمات بقطر ثلاثة إنشات وإنتاج قنابلها، وقنابل يدوية للبنادق، ومواد متفجرة دافعة ومدمرة. كما شرعت بإنتاج وتصنيع بندقية رشاشة فنلندية ورصاصها ومخازنها، هذا ولم تقع طيلة فترة تسلمه للصناعات العسكرية، أي حادثة أو خطأ في مسارها.

وفي عام ١٩٤٠ تم استبدال عمير بمهندس ذي ثقافة فنية علمية، وذلك على أرضية الشكاوى التي قدمها قدامى العمال، والتي جاء فيها أنه يعتمد أكثر مما ينبغي على الخبراء الأجانب.

وحتى شباط ١٩٤٢ كان عمير قائدا لمنطقة اليركون، التي اشتملت على رمات جان وبني براك وحي بوروكوب، وبيتح تكفا.

وليس من الواضح بعد، السبب في اقتراح منصب قائد هشاي عليه، وكما يبدو فإن النشاطات التي بذلها في إعادة الأسلحة المسروقة من قبل الاتسل، عكست انطباعا جيدا لدى المسئولين، هذا، إضافة إلى أن التحقيقات التي جرت بالتعاون مع شعبة المكافحة، جعلته مطلعا على خبايا (هشاي).

وحتى تسلم عمير هذا المنصب، كانت لديه مفاهيم عامة، حول المخابرات، لذا قرر دراسة العمل الاستخباري بصورة منهجية. وقرر بادئ ذي بدء، فهم أساليب عمل المخابرات البريطانية، وذلك لسببين: فقد كانت المخابرات البريطانية تعتبر افضل نموذج وقدوة يمكن لأي جهاز استخباري أن يحاكيه، هذا أولا، إضافة إلى أنه الجهة التي قد تضطر (هشاي) لمواجهته عندما يحين الأوان.

تشاور عمير مع تيدي كولك، الذي كان آنذاك، أحد كبار الشعبة الاستخبارية في الوكالة اليهودية. فنظم له كوليك اجتماعا مع آبا ايبان، الذي كان آنذاك ضابطا في المخابرات البريطانية، حيث قدم إليه الكثير من المساعدات. وقد اكثر عمير من القراءة في الكتب المتخصصة، وأبدى اهتماما في مجال البنية، وأساليب العمل. وكانت المشكلة التي تواجهه هي: كيفية تطبيق المعرفة النظرية وملاءمتها مع الواقع الذي يفتقر إلى الوسائل الكافية. وقد قرر عمير، بناء جهاز استخباري، لا يكون فقط مصدرا للمعلومات الشاملة، بل أيضا يستخدم كوسيلة مساعدة في النضالين السياسي والعسكري.

وعندما تسلم عمير منصبه، كان لشـــعبة المكافحـــة ممثلـــون فـــي المـــدن الثلاثـــة الكبرى: افرايم ديكل في تل أبيب، وليفي ابراهـــامي فـــي حيفـــا، وحـــاييم بـــن منـــاحم فـــي القدس.

ولم يكن هؤلاء الثلاثة يتعاونون فيمـــا بينـــهم، وكـــان كـــل منـــهم يســـيطر علـــى منطقته بصورة مركزية. وقد قدمت الشعبة العربيـــة، التـــي يترأســـها دنيـــن، إلـــى عمـــير، على أنها جزء من الوكالة اليهوديـــــة.

ولم يكن عمير يشك في أن (هشاي) تابعـــــة للـــهجناه. وفـــي نفـــس الوقـــت، كـــان مكلفا بمهمة العمل بفطنة وحكمة من اجـــل جمـــع هـــذه الجـــهات الاســـتخبارية فـــي كتلـــة واحدة. في حين لم تكن هذه الجهات تواقة إلى إيجـــاد عنصـــر وصـــل بينـــها وبيـــن القيـــادة العليا، وعلى الأخص، ديكل، الذي كان يترأس (هشاي) فـــي تـــل أبيـــب، والـــذي كـــان قـــد عمل في هشاي طيلة عشرين سنة، مما حدا به لاعتبار نفســـــه أحـــد أرفـــع الموظفيـــن فـــي هيئة (هشـــاي).

ويقول موشيه كرميل- أحد كبـــار (هشـــاي) الموحـــدة، تحـــت قيـــادة عمـــير: " إن بقاء شعبة (هشاي) في تل أبيب منفصلـــة، أثـــار الكثـــير مـــن المشـــاكل، وكـــان عليـــها أن تثبت نفســـها".

أما الشعبة العربية الميدانية، فقد واصلت العمـــــل كفـــرع لـــــ (هشـــاي) الموحـــد، وواصل عيزرا دنين إدارة الشعبة، بصورة مستقلة من منزلـــــه، فـــي حيـــن مثلـــها شـــيرف في المكتـــب.

وبصورة تدريجية، تمكن عمير مـــن إحكـــام قبضتـــه، وحظـــي اقتراحـــه الخـــاص بالدمج بين شعبة المكافحة و(هشـــــاي) التابعـــة للوكالـــة، بتـــأييد موشـــيه ســـنيه وشـــاؤول أبيجور. وهكذا تم توحيد شعبة المكافحة و(هشـــاي) فـــي صيـــف ١٩٤٢- أي فـــي الوقـــت الذي كان فيه رومل يقـــف بمدرعاتـــه علـــى أبـــواب مصـــر. وكـــان رئيـــس المخـــابرات الموحدة خاضعا مباشرة لرئيس القيادة القطرية. وكان يســـاعده فـــي عملـــه، مجلـــس مكـــون

من ثلاثة أشخاص هم: زئيف شيرف ممثل الشعبة السياسية- وعلى وجه الخصوص في المجال العربي- وكترئيل كيتس- ممثل الشعبة اليهودية في الوكالة اليهودية، وموشيه كرميل- ممثل الموساد للهجرة الثانية.

وهكذا، تم التأكيد على أن هذا الجهاز، سيزود ثلاث جهات بالمعلومات: الهجناه، والشعبة السياسية في الوكالة اليهودية والموساد للهجرة الثانية. كان عمير هو الرجل الأول في (هشاي)، وكان الثلاثة يطلعونه على المشاكل التي تواجهها الجهات التي يمثلونها.

وجد عمير نفسه يواجه مشكلتين مركزيتين: بنية المكتب المركزي، وتنظيم العمل الميداني. وفي نهاية المطاف، قرر ان يبني المكتب المركزي على اربع شعب رئيسية:

- الشعبة العامة: والتي كانت مهمتها تتمثل في معالجة قضايا الشرطة ومؤسسات السلطة وعمليات المبادرة الخاصة التي تقوم بها (هشاي)- عندما اتسعت النشاطات تم نقل مسألة معالجة البريطانيين إلى قسم خاص، وقد ترأس هذه الشعبة، موشيه بار ايلان وكان شموئيل جينزي سكرتيرا له.
- الشعبة اليهودية والتي كانت تعمل في مجال معالجة قضايا المنشقين، وقد ترأسها يوسف كريب، وهو معلم، وكان يعمل في (هشاي) كمتطوع. وفي تشرين الثاني، ومع اتساع العمل، طولب كريب بالاستقالة من التعليم، وتكريس وقته لهشاي.
- الشعبة الشيوعية: والتي عالجت علاقات موسكو مع الحزب الشيوعي في إسرائيل وترأسها الدكتور ديفيد أريان، والذي كان وحتى هجرته إلى فلسطين، مسئولا عن الشعبة الشيوعية في شرطة برلين، وكان اريان، يعمل آنذاك كموظف كبير في بنك.

• الشعبة العربية، وترأسها عمير، وكان يقوم بتركـــيز جميـــع النشـــاطات والأعمـــال التنفيذيـــة.

ومما لاشك فيه، أن عمـــير كـــان يعتـــبر نفســـه ممثـــلا للـــهجناه فـــي أوســـاط الإدارة الجماعية التي ترأست جهاز الاســـتخبارات وكـــانت الـــهجناه ذات شـــان كبـــير فـــي عـــدة مجالات هـــي:

أ-المعلومات في كل ما يتعلق بـــالأمن الداخلـــي فـــي صفوفـــها، أي المعلومـــات التـــي بحوزة الشرطة البريطانية حول الـــهجناه. وقـــد عملـــت هشـــاي فـــي مجـــال ترويـــج وزرع المعلومات الكاذبة والمفتعلة، في أوســـــاط البريطـــانيين.

ب-معلومات تتعلق بالهجرة غـــير المشـــروعة .

ج-معلومات في مجال شراء الأســـــلحة.

وكما يبدو أن (هشاي) لم تكـــن مطالبـــة فقـــط بـــالحصول علـــى معلومـــات، بـــل أيضا العمل على صعيد تنفيذ صفقـــة شـــراء.

د-كانت الهجناه في حاجة إلى معلومـــات حـــول مخططـــات مهاجمـــة الاســـتيطان اليـــهودي.

هـــ-معلومات للتخطيط للعملية التـــي تبـــدأ وتنتـــهي فـــي (هشـــاي)- المعلومـــات الاستخبارية التكتيكية- ومن الجدير بالذكر أن (هشاي) قـــامت بتنفيـــذ عمليـــات بنفســـها.

وعندما بدأ عمير شغل منصب رئيـــس(هشـــاي) مطلـــع عـــام ١٩٤٢، لـــم يكـــن لهذه المنظمة حتى ذلك الحين طابع قطري. وغالبيـــة المنـــاطق المســـكونة بـــالعرب، كـــانت تعتبر بمثابة مناطق (خارج البـــلاد). وكـــانت (هشـــاي) تتطلـــع، علـــى أبعـــد تقديـــر، لأن تكون منظمة اســـتخبارية شـــاملة للاســـتيطان اليـــهودي كلـــه، وربمـــا ســـيصبح بمقـــدوره آنذاك، تغطية مناطق قريبة أخـــرى مـــن الاســـتيطان اليـــهودي، أو المنـــاطق التـــي تعتـــبر حيوية لإدارة المواصلات بين مناطق الاســـتيطان بصـــورة منتظمـــة.

وفي ظل هذا الوضع، فإن قسما لا بأس به من نشاطات (هشاي)، ذهب أدراج الرياح، فيما لم يستنفذ قسم آخر كامل طاقته. لقد تمثل العائق الرئيسي في ضعف المنظمة، وغياب قيادة قطرية فعالة، وإطار استيطاني شامل ذي صلاحيات، هذا إضافة إلى النقص في المال.

بنى عمير المنظمة القطرية على أساس عدة مبادئ، وكان أهم هذه المبادئ هو أن يأتي تقسيمها بصورة موازية لتقسيمة، الهجناه، وعلى أن يعين ضابطا لوائيا من (هشاي) إلى جوار كل قائد لواء، وضابطا قضائيا إلى جانب كل قائد قضائي، وبهذا الأسلوب، سيصبح لدى قائد الهجناه مصلحة مباشرة في العمل الاستخباري في منطقته، وسيستخدم المعلومات بالصورة الصحيحة.

وقد جاء في اللائحة التي نشرت في الثالث والعشرين من تشرين الأول ١٩٤٢، حول بنية هشاي:

أ-تندمج هشاي في إطار تشكيلات منظمة الهجناه، وتبقى على اتصال مع أعضائها.

ب-يتم تعيين ضابط استخبارات في كل فصيل يتم تجنيده.

ج- يتم تعيين ضابط استخبارات في كل قطاع.

د- يتم تعيين ضابط استخبارات للخدمات في كل قسم مخابرات قضائي أو بلدي لا ينضوي تحت لواء قطاع.

بيد أن هذه المبادئ البسيطة لم تخرج إلى حيز التنفيذ الفعلي في الشعبة العربية التي كان يديرها عيزرا دنين، ويرجع ذلك لسببين:

أولا: تم اختيار مسئولي الأمن في الشعبة وفقا لخبراتهم في المجال العربي، ووفقا للصلات التي يقيمونها مع العرب، لذا، لم تكن هناك أي علاقة بين مخططاتهم وبين التقسيمة اللوائية للهجناه.

ثانيا: كان دنين يهدف بصورة مقصودة لأن يكون مستقلا، وغير تابع لأي جهة. وامتنع عن قبول الخضوع لقادة الهجناه اللوائيين. ويرجع السبب في ذلك، إلى طابعه

المستقل، وربما أيضا، لشعوره بأن مسئولين في الهجناه، وبعض مسؤولي (هشاي) أيضا، يتعاملون مع العرب باستخفاف مما حرمهم من التشخيص العملي للأمور، وجعلهم غير صالحين لمعالجة القضايا العربية بصورة جدية.

لقد تغلب عمير على مشكلة النقص في الميزانيات المالية، بصورة ذكية للغاية، فقد كان جميع ضباط هشاي اللوائيين والقضائيين تقريبا، نواطير رقباء يتلقون مخصصاتهم الشهرية من حكومة الانتداب، باستثناء الضباط مسؤولي المدن الكبرى. ولا شك أن لهذا الترتيب أهمية كبيرة، فقد كانت الشرطة البريطانية، هي أحد مصادر المعلومات الأساسية، وكان قادة النواطير مندرجين تحت لوائها، ويجرون اتصالات دائمة وشاملة مع قادتهم البريطانيين، بل ووضعت تحت إمرة بعضهم سيارات ومخصصات وقود. ولم تكن وظائفهم كنواطير تشغلهم وقتا طويلا، لذا توفر لديهم الوقت الكافي، والفرصة لجمع المعلومات والقيام بأعمال الاستقصاء، دون أن يثير ذلك أي شكوك. كما كان بمقدور النواطير التحرك بحرية تامة أينما يشاءون.

ومثلما أشرنا آنفا فقد كان سلاح النواطير القطري قريبا- بصورة عامة- في بنيته للمبنى اللوائي للهجناه، ولهذا السبب، كان ضباط الألوية قريبين من قادة الألوية، وكذلك ضباط الأقضية وكان ضابط(هشاي) عضوا في قيادة اللواء أو القضاء ويشارك في جلسات الهيئات العامة، بيد أنه كان على الصعيد القيادي خاضعا لرئيس (هشاي).

ورغم أن العديدين من قادة الألوية كانوا يرفضون هذا الترتيب، الا أن مزاياه كانت أكثر من مساوئه. فقد أكسبتهم هذه الطريقة إمكانية اتصال سريع ومباشر، في كل ما يتعلق بشئون هشاي إلى المركز، وبتنظيم سري منظم، وهو الأمر الذي يعتبر شديد الأهمية.

ولم يحل الإطار الجديد محل الإطار الذي استخدمته الشعبة العربية برئاسة عيزرا دنين، بل عملت بصورة مقابلة لها. واشتغل ضباط هشاي اللوائيون أيضا

بالشئون العربية، وقدموا تقارير حولها للمكتب، والذي كان يديره يعقوب شمعوني بالتعاون مع يهوشع فلمون، وقد بقي الإطاران قائمين حتى إنشاء الدولة، دون أن تحدث أي احتكاكات بين الطرفين، بفضل وجود دنين على رأس (هشاي)، وربما لو وجد شخص آخر بدلا منه، لكان سيثير الكثير من المشاكل.

لقد استمر عمل القيادة الثلاثية التي أشرنا إليها آنفا، والتي هي نتاج للأمر الدائم رقم -٦٢، حتى صيف ١٩٤٢، حينما عين زئيف شيرف سكرتيرا عاما للشعبة السياسية في القدس واستقال من (هشاي)، وبقي المكتب برئاسة إسرائيل عمير.

كان لكل رئيس من رؤساء الشعب مساعد أول- سكرتير الشعبة- وتتمثل مهمته الرئيسية في معالجة المواد الداخلة والخارجة، وادارة الأرشيف وقد وضع تحت إمرته عدد من العمال وفقا للحاجة.

ووفقا للتركيبة آنفة الذكر، كان رئيس هشاي خاضعا لرئيس الهيئة القطرية. لقد كانت (هشاي) في حقيقة الامر عبارة عن وكالة معلومات، أي بمثابة جهة لجمع المعلومات الضرورية في جميع المجالات العسكرية والسياسية. هذا، ولم تحظ الجهود التي بذلها خبراء الهيئة على صعيد إعداد المعلومات وتأكيدها ووضعها في صيغة وثيقة ذات مغزى، بنجاح كبير، في حين قامت الشعبة السياسية في الوكالة اليهودية، بهذا الدور، بصورة جيدة، مما أتاح لها الفرصة لتحديد سياسة الحركة الصهيونية والاستيطان اليهودين بل وأيضا سياسة الهجناه. وإزاء خضوع هشاي لرئيس القيادة القطرية أو للقيادة العليا للهجناه، فقد كان من الطبيعي أن يتم تخطيط سياستها ووظيفتها طبقا لاحتياجات الوكالة اليهودية، والتي كانت تقوم أيضا، بتحويل العمليات.

وقد شاركت منظمة دنين- الذي كان يعتبر نفسه أكثر ارتباطا بالوكالة اليهودية وشعبتها السياسية من ارتباطه بالهجناه- في النشاطات ذات الطابع السياسي. وتأسيسا على هذا الوضع، نشأت العلاقة بين رئيس(هشاي) ورئيس القيادة القطرية، التي تعتبر جهة مدنية موجهة. ومن الجدير بالذكر، أن علاقته مع رئيس الأركان-

وهو الجهة التنفيذية- كانت أقل. ورغم أنه لـم يكـن لـهذا الوضـع أهميـة كبـيرة، علـى صعيد الممارسات اليومية، الا أن أهميته تكمن في أنه يحـدد الأسـس السياسـية.

إن تمحيص هذه الحقيقة، يجعلنا نطـرح مسـألة رئيسـية تشـغل المخـابرات فـي شتى أنحاء العالم، وفي إسرائيل أيضا، وهـي: هـل يجـب أن تكـون هنـاك علاقـة بيـن التبعية القيادية للجهة الاستخبارية، وبين المجال الـذي تعمـل فيـه؟

ومن الجدير بالذكر، أن غالبية الدول التـي تسـتخدم مخـابرات (إيجابيـة) تعمـد إلى الفصل المبدئي بين العمل فـي المجـال العسـكري والعمـل فـي المجـال السياسـي، والذي يعتبر ارفع مستوى عندما يتعلق الأمر بتحديـد السياسـات الوطنيـة. وتصبـح هـذه السياسة أصح، عندما تتعلق بجهات ذات طابع أبحـاث اسـتخبارية، وتصبـح أقـل أهميـة، عندما تتعلق بمجال جمع المعلومـات.

لقد كان الامر على هـذا النحـو فـي كـل مـن بريطانيـا والولايـات المتحـدة، وأيضا في الاتحاد السوفيتي. فوكالة المخـابرات الأميركيـة(سـي. آي. آيـه) هـي وكالـة مدنية، وتخضع للجنة وزارية، يرأسها الرئيس الأمـيركي، وهـي تعمـل بصـورة رئيسـية في المجال المدني، في حين يجري إعداد التقديرات العالميـة فـي المجـال العسـكري فـي وزارة الدفاع الأميركية، وبالتالي، فـإن وكالـة المخـابرات الأميركيـة المدنيـة، خاضعـة للقيادة العسكرية، بيد أن تقديراتها والقضايا الأساسية التـي تتابعـها هـذه الوكالـة تخضـع للهيئة الوزارية ولرقابتها، والقانون ينص علـى ذلـك.

ويمكننا القول، أن الأجهزة الاستخبارية التـي قـامت فـي (أرض إسـرائيل) قبـل قيام الدولة كانت تقوم على نفـس الأسـاس آنـف الذكـر، بيـد أن الوضـع الآن مختلـف، فالاستخبارات العسكرية الإسرائيلية، هـي التـي تقـدم التقديـرات الاسـتخبارية الوطنيـة. ولربما كانت بعض الصعوبات التي نواجهها فيمـا يتعلـق بفـهمنا لطبيعـة تـوازن القـوى بين الجهات الاستخبارية في تلك الأيام، راجعا- علـى مـا يبـدو- إلـى الوضـع الغربـي

الذي تعيشه إسرائيل، حيث لا يوجـد لديـها مخـابرات سياسـية بالمفـهوم الكـامل، علـى غرار ما هو معمول به في الـدول الأخـرى.

ترى هل تلقى عمير عندما تسلم وظيفته توجيهات دقيقة حـول مـا هـو مطلـوب منه؟ هل حددت له طبيعة المعلومات الأساسية التي يجب عليـه الحصـول عليـها؟

ويرد عمير على هذه التساؤلات بالقول: خضـت تجربـة مماثلـة، عندمـا أوكلـوا إلي إدارة الصناعات العسكرية، حيث لم يعلموني بما يتوجـب علـي عملـه، وقـد درسـت، وحدي، ما يجب عملـه، وهكـذا، حـدث أيضـا، عندمـا تسـلمت إدارة (هشـاي). ومـن الجدير بالذكر، أن (هشاي) لـم تعمـل -خـلال فـترة رئاسـة عمـير لـها- علـى جمـع المعلومات خارج حدود فلسـطين.

أما الشعبة السياسية للوكالة اليهودية، فقد كانت تقـوم بعمليـات جمـع معلومـات سرية في الدول المجاورة-العراق وسورية ولبنـان ومصـر- وقـد اسـتخدمت، فـي هـذا المجال، رجال الهجناه وهشـاي، وعلـى وجـه الخصـوص وحـدة المسـتعربين التابعـة لمنظمة البلماح. والتي لجأت إلى استخدام العديد من الوسـائل فـي مهمتـها.

تمت إقامة وحدة تصوير واستنسـاخ بطاقـات هويـات فـي (هشـاي)، وحصلـوا من الوكالة اليهودية على آلة تصوير معطوبة بيـد أن ميزتـها كـانت تتمثـل فـي قدرتـها على تصوير الوثائق بحجمها الطبيعي فـي غضـون فـترة قصـيرة. وقـد تـم إصلاحـها، وبدأ بعض موظفي الهيئة باستخدامها، فيما حصـل ضبـاط هشـاي، بتشـجيع جـهات فـي الشرطة والوزارات والمكاتب الحكومية، على الملفـات، ومـن ثـم أحضروهـا لتصويرهـا فورا وإعادتها. ولم يمض زمن طويل، حتى أثمرت هذه المبـادرة نتـائج كبـيرة.

وذات يوم علمت (هشاي) أن بالإمكـان إخـراج دليـل الشـيفرة- الـذي يسـتخدم لتبادل البرقيات بين لندن والقدس وباقي أنحاء الإمبراطوريـة- مـن إحـدى الخزائـن فـي القدس لمدة ساعات معدودة، وقد اسـتغرق الإعـداد للعمليـة حوالـي شـهر، وحينمـا أن الأوان، تم جلب عدة أجهزة تصوير إلى مكتب(هشاي) في القـدس والعديـد مـن الأفـلام.

وفي الليلة الأولى، لم ينجحوا في إحضار الدليـــل، بيــد أنـــهم نجحــوا فـــي الليلـــة الثانية، وفي غضون عدة ساعات تم تصوير صفحاتـــــه الأربعمائـــة والخمســين.

وبفضل هذه الكاميرات، يمكن أن نعثر اليــوم، فـــي ملفــات هشـــاي، علـــى نســخ من برقيات تم تبادلها بيـــن حكومـــة الانتــداب البريطانيـــة، ووزارة المســتعمرات، ونســخ لبرقيات حكومية مترجمة إلى العبرية منـــذ ســنوات الأربعينـــات. ومـــن ضمنـــها برقيـــات تتضمن معلومات مســـهبة، حـــول الإتســل والـــهجناه وليحـــي، وحـــول عمليـــات تفتيـــش للإستيطان اليهودي، تعتزم الســـلطات البريطانيـــة إجراءهـــا، بـــل وأســـماء مطلوبيـــن مـــن اليهود، للسلطات الإنتدابية، والأسماء الشيفرية للعمليات التـــي يجـــري التخطيـــط لـــها.

وفي تشرين الثاني ١٩٤٣، وعندما قـــام البريطـــانيون بأوســـع عمليـــات التفتيـــش في كيبوتس(رمات هكوبيش)- والذي أسفر عن مقتـــل أحـــد أعضـــاء الكيبوتـــس، وإصابـــة سبعة عشر آخرين بجراح، جرى في نفس الليلة حل شـــيفرة التقريـــر المشـــوه الـــذي بعثـــت به السلطات الإنتدابية إلى وزارة المســـتعمرات فـــي لنـــدن. وفـــي صبيحـــة اليـــوم التـــالي نشرت الصحف العبرية حقيقة مـــا حـــدث.

ومن الجدير بالذكر، أن عمير رد لاحقا علـــى الســـؤال القـــائل: مـــا هـــو أفضـــل إنجازات (هشاي) تحت قيادته؟؟ بـــالقول: الحصـــول علـــى شـــيفرة الاتصـــالات اللاســـلكية التي تجريها الشـــرطة.

وكانت (هشاي) تواجـــــه مشـــاكل وصعوبـــات كبـــيرة جـــدا علـــى صعيـــد حـــل الشيفرات، وكانت تبذل محاولات جادة من أجل ذلك، إلـــى الدرجـــة التـــي حـــدت بشـــرطي يهودي، للعمل على إخراج الشيفرة من جيـــب ضـــابط بريطـــاني.

وفي حالة أخرى، قام رجـــال الشـــرطة اليـــهود بوضـــع ورقـــة (كربـــون) بيـــن الأوراق التي يكتب عليها رسائله، ثم مقارنتها بالشـــيفرة. كمـــا اعتـــاد اليعـــازر جرشـــمان، الذي جند لهشاي تل أبيب عام ١٩٤١، إستغلال المفـــاتيح التـــي بحوزتـــه بوصفـــه شـــرطيا في يافا، والدخول إلى مكـــاتب المخـــابرات البريطانيـــة، إبـــان نوبـــات حراســـاته الليليـــة،

ونسخ الشيفرة الأسبوعية السرية التي كان الضباط غير الحذرين يتركونها في أدراج مكاتبهم.

ويقول (حاييم بن مناحم) رئيس هشاي في القدس: قمنا بتجنيد موظف بريد في تل أبيب، والذي قام بدوره بجلب نسخ عن البرقيات التي كانت ترسل إلى المندوب السامي، وشخصيات أخرى في السلطة الإنتدابية.

إن كمية المعلومات الاستخبارية التي تمكنت هشاي من الحصول عليها من البريطانيين تبدو مذهلة جدا، على الصعيدين الكمي والنوعي، وخصوصا إذا ما أخذنا بعين الإعتبار، أن قسما بسيطا منها فقط بقي محفوظا. وقد اشتملت المعلومات التي حصلت عليها(هشاي) على معلومات عن البريطانيين ضد الهجرة غير المشروعة، وتقارير إستخبارية داخلية من المباحث وتقارير استخبارية دورية، من الوحدات العسكرية.

إن مراجعة تلك المواد تشير بوضوح، إلى أنه لو تم جمعها، وترتيبها في صورة واحدة، وقام خبراء بتحليلها لما توصلوا إلى تفاصيل دقيقة، فقط حول تركيبة الوحدات والقوات البريطانية في البلاد والشرق الأوسط، بل لكان بالإمكان أيضا تقدير خطوط السياسة البريطانية العامة. بيد أن هذه المهمة، كانت أكبر من طاقة (هشاي) آنذاك، لذا تم استغلال المعلومات لأهداف تكتيكية.

وكانت المعلومات تنقل عبر شبكة اتصالات متنوعة مع الرسل: في ملابسهم، وأحزمة على بطونهم، وحتى في (صدريات) النساء.

وكان البريد، في البداية، ينقل مرتين أسبوعيا، ثم أصبح ينقل ثلاث مرات أسبوعيا، إضافة إلى الحالات الخاصة. وكانت الفتيات اللاتي تنقلن الرسائل، يسافرن في الحافلات في جميع الظروف والأحوال، رغم مخاطر التفتيش الفجائي، ومخاطر الهجمات التي يشنها العرب.

وفي عـام ١٩٤٣، عقـدت، فـي إطـار الـهجناه، أول دورة ضبـاط مخـابرات، وكان غالبية المشاركين من (هشاي)، وربما كان ذلك يرجع إلـى أن مـن مهمـة (هشـاي) تزويد الهجناه بالمعلومات العسكرية. وقـد سـعى القـائمون علـى الـدورة، إلـى توحيـد مستويات المشاركين على الصعيد المـهني، وتعليمـهم كيفيـة الحصـول علـى المعلومـات التي تحتاجها الوحدات العسكرية، والتـي يجعـل الافتقـار إليـها، مهمتـها صعبـة. وقـد شارك في الدورة، حوالي ثلاثين طالبا من شـتى أنحـاء البـلاد.

وقد تم التركيز في الـدورة علـى العـدو العربـي، وربمـا كـان عـدم انشـغال الدورة بضرورة متابعة البريطانيين والمنشقين، عـائدا إلـى أن هذيـن الموضوعيـن كانـا سريين للغاية، ولربما ايضا نظـرا لأن الـنزاع مـع البريطـانيين كـان سياسـيا، والـدورة هي عسكرية، أي أقرب لطبيعة النزاع مع العـرب.ودرس الطلبـة خـلال الـدورة الكثـير حول العدو العربي: المنطقة، العـدو، والقريـة العربيـة والتـي تعتـبر قـاعدة الانطـلاق لأعمال العداء العربية، والزعامة العربية، والتناقضات القائمـة فـي أوسـاطها. كمـا درس الطلبة وسائل فنية تستخدم خلالـها أعمـال المخـابرات، مثـل التصويـر، ورسـم هيـاكل الخرائط للمناطق وغير ذلك، كما قاموا بجولات راجلة فـي المنـاطق العربيـة.

أقيم مركز (هشاي) في الغرفة الخلفية مـن الطـابق الثـاني مـن مبنـى صنـدوق القروض التابع للهستدروت. وكان من المعتاد وضـع أرشـيف(هشـاي) ليـلا فـي حقـائب وتخبئتها تحت سرير الياهو بن حور، قـائد لـواء القـدس. واتخـذت العديـد مـن وسـائل الحذر في ساعات النهار أيضا، فتم تزويـد العـاملين فـي هشـاي بطـاولات خاصـة ذات درج سري لإخفاء المستندات الخاصة حينمـا تجـري عمليـات تفتيـش مفاجئـة، ووضـع مواد على الطاولة تتلاءم مع المهمة (الغطـاء) الموكلـة إليـهم.

وفي أيلول، تم إيكال أمر ارشـيف(هشـاي) إلـى يعقـوب شـمعوني وهـو مـن مواليد برلين عام ١٩١٥، وقـد هـاجر إلـى إسـرائيل عـام ١٩٣٥. ونظـرا لاهتمامـه

الشخصي الكبير بالوسط العربي، تعلم اللغة العربية بجهده الذاتي، وباستخدام كتب تعليم ألمانية للغة العربية.

وفي أيلول ١٩٤١، بدأ شمعوني العمل مع يعقوب عينيه في الأرشيف العربي. ثم عين سكرتيرا للشعبة العربية، حيث كان يتوجب عليه تصنيف المعلومات التي تصل إلى الشعبة شفهيا وكتابيا، وإرسال المعلومات الضرورية، وتوجيه الفروع بشأن جمع المعلومات الأخرى.

ورغم أن تلك الفترة شهدت هدوءا نسبيا، بيد أن فروع المخابرات المختلفة لم تكف عن إرسال التقارير حول الاستعدادات الجارية لاستئناف العصابات لأعمالها.

ويقول شمعوني أنه لم تكن لديه في تلك الآونة، صلاحيات لتكليف أشخاص بعمليات تنفيذية، ورغم ذلك، طولب بالعمل على بناء أسلوب تنفيذي يتيح الفرصة للعثور، بصورة سريعة على معلومات حول الأشخاص العرب المعادين لإسرائيل.

وقد عثر شمعوني في الملفات الموجودة على مواد (بيوغرافية) على مستوى رفيع، حول رجال العصابات العربية، وكان قد تم إعدادها من المعلومات والشائعات التي يسمعها حراس الحقول، والمخاتير والتجار الذين كانوا يحصلون على هذه المعلومات من مخبريهم العرب. بيد أن المشكلة العويصة التي واجهته، هي كيفية تشخيص الأشخاص وفقا لأسمائهم، نظرا لأن غالبية مسئولي الجهات الاستخبارية، لم يكونوا يجيدون العربية، وكانوا يكتبون أسماء أعضاء العصابات العرب وفقا لما ينطقها القرويون، الأمر الذي خلق صعوبة بالغة على صعيد تصنيف أسمائهم تصنيفا أبجديا، وقد أخذ شمعوني تلك الملفات إلى منزله، في (بات يام) وعكف على إعدادها وتصنيفها عدة أشهر حتى نجح في ذلك. وفي مطلع عام ١٩٤٣، عاد الأرشيف العربي إلى مكاتب (هشاي)، وهو يضم آلاف البطاقات. وكانت هشاي تحتفظ بالأرشيف أثناء الليل في منزل المعلم موشيه بركاي وتنقله صباحا إلى مكاتبها. وقد بدأت صفحات هذا الأرشيف تتضخم مع مرور الأيام، وخصوصا في أعقاب فرص

شمعوني قراءة الصحف العربية، وقد اكتشف فيها كـــنزا خفيـــا، ويقـــول شـــمعوني:" أشـــعر بالخجل للاعتراف بأنه لم يخطر ببالي أو ببال عـــيزرا دنيـــن مـــن قبـــل، مـــدى ضـــرورة قراءة الصحف العربية، حتى سألني اليـــاهو ساســـون ذات يـــوم: هـــل تســـتغلون الصحـــف العربية؟ هل تقرأونها؟ وهكذا بدأنا متابعة صحيفتي فلســـطين والدفـــاع. وهكـــذا تمكـــن مـــن تصحيح أسماء الشخصيات العربية نظرا لورودهـــا فـــي الصحـــف بصورتـــها الصحيحـــة. كما أصبح بالإمكان، توجيـــه رجـــال المخـــابرات الميدانييـــن، نحـــو الأهـــداف التكتيكيـــة، نظرا لإمكانية العثور على التصريحات السياسية التـــي تطلقـــها الشـــخصيات المختلفـــة، فـــي الصحف، وبصورة دقيقـــة.

ومن الجدير بالذكر، أن الصحف العربيـــة كـــانت فـــي تلـــك الآونـــة غنيـــة جـــدا بالمعلومات التي تنشـــرها.

لم يحظ شمعوني ويونه شـــولمن رئيلـــه، الـــذي ضـــم إليـــه كمديـــر للأرشـــيف، بالكثير مـــن التقديـــر فـــي البدايـــة، فقـــد ألفنـــا أن يســـتخف الميدانيـــون فـــي المجـــالات الإستخبارية، بعمل موظفـــي(الأوراق والملفـــات).

لقد واجه شمعوني هبيكه- الذي لم يكن يعـــرف اللغـــة العربيـــة، ولـــم يســـبق لـــه أن عمل مع العرب- تعاملا عدائيـــا لـــدى الميدانييـــن الاســـتخباريين، عندمـــا بـــدأ يوجـــه الأسئلة، ورغم ذلك، فقد أصر على ضـــرورة تقديـــم تقـــارير منظمـــة، فقـــد كتبـــت جميـــع المعلومات الواردة من العرب، علـــى قصاصـــات ورق صغـــيرة. وكـــي يحســـن وضعـــه، تجول شمعوني مع دنين وفلمون في العديد مـــن الأمـــاكن، واجتمـــع بـــالعديد مـــن ضبـــاط الارتباط الاستخباريين، وشرح لهم تطلعاته بشـــأن التقـــارير.

استئناف العمل في "ملف القرية العربيـــة

عندما هدأت أحداث ٣٦-١٩٣٩، توقـــف العمـــل فـــي (ملـــف القريـــة العربيـــة). بيد أن عمير، وبالتعاون مع دنين وفلمـــون، أصـــدر أمـــرا لمواصلـــة بنـــاء ملـــف القريـــة

العربية، وخصوصا على أرضية الصعوبات التـي بـدأ شـمعوني يواجهـها علـى صعيـد تنظيم المعلومات في أرشيف المكتـب.

وفي إطار العمل على تحسين العمل المنهجي، تم إعـداد استمارة جديـدة أكـثر وضوحا وتحديدا للهدف. ولم تتضمن الاستمارة تفاصيل يمكـن الحصـول عليـها بصـورة أفضل من مصادر علنية. وقد تـم توحيـد الأسـئلة والإجابـات وصياغتـها بمصطلحـات موحدة. من أجل تسهيل عملية التوثيق. وهكـذا أخـذت عمليـة "التوثيـق الأخضـر" تبنـى بصورة تدريجية، حول القرى العربية- سميت بـالأخضر لأن البطاقـات والملفـات كـانت ذات لون أخضـر.

تم تقسيم البطاقات المطبوعـة إلـى شـعب، ووضعـت داخـل الملـف اسـتمارة مفصلة، بدأت تصبح أكثر تحديثـا رويـدا رويـدا، ويتـم إثراؤهـا بالمعلومـات، بصـورة مكثفة، عبر التقارير التي كانت تتدفـق علـى مكتـب (هشـاي) مـن رجـال المخـابرات، والجواليـن.

نموذج بطاقة خضـراء:

١-معطيـات:

الاسم، الاسـم بالانجليزيـة، المنطقـة، الشـرطة، المواصـلات- نـوع الطـرق، وسـائل المواصلات، هاتف، كهرباء، مصادر إقتصادية أساسـية، مركـز الشـبيبة، ملاحظـات.

٢-القـوة:

الانتماء العرقي القبلي، الديني، العدد- الرجال مـا بيـن ١٦-٥٠سـنة، الأسـلحة، تقديـرات الكفاءه- محتوى، تاريخ- أشـخاص، ملاحظـات.

٣-مصـادر:

خرائط، ملف القرية، صـور، ملاحظـات.

لقد أثبتت هذه البطاقات جدواها الكبيرة في النصف الثاني من الأربعينات، وخلال حرب عام ١٩٤٨. وقد شارك في جمع المعلومات منظمة البلماح وأسلحة الميدان.

ولم يتم إدراج المدن العربية في إطار هذه البطاقات، لأن إيرادها كان يتطلب إنتشارا أوسع بكثير من قدرة (هشاي). ورغم ذلك جمع قادة مناطق معلومات عن المدن العربية. ولم يتم تغطية التسعمائة قرية عربية في البطاقات، فقد وصل عدد الملفات إلى ستمائة ملف فقط، وشملت القبائل البدوية.

ولم تكن قيمة المعلومات الموجودة في الملفات موحدة، وتراوحت ما بين جيدة جدا ومشكوك فيها. وتجدر الإشارة إلى أن الشمال غطي بصورة أفضل من الجنوب، ويرجع ذلك إلى الانتشار الجغرافي للاستيطان اليهودي، وقدم هذا الاستيطان.

وقد اتضح أن بعض العملاء البدو كان يختلقون المعلومات التي يجلبونها رغبة منهم في الحصول على المقابل المادي دون تعريض أنفسهم للخطر. ويقول يعقوب عيني- مسئول الشئون العربية في القدس: أنه كان يدفع ثلاث جنيهات فلسطينية لكل عميل عربي.

وفيما بعد عمد شمعوني إلى إصدار مجلة معلومات خاصة بالشعبة العربية تحت اسم"في الجماهير العربية"، وكانت توزع مرة واحدة أسبوعيا في أوساط القيادة العليا والوكالة اليهودية. ووزعت المجلة على أنها سرية للغاية، رغم أن المعلومات التي كانت تشتمل عليها، ليست سرية، ولكن مصادر تلك المعلومات هي السرية.

قام إلياهو ساسون بإدارة الاتصالات المهمة مع المؤسسة السياسية العربية والزعماء العرب خارج(أرض إسرائيل). وكان ساسون نشيطا من نشطاء الحركة الوطنية العربية التي بدأت تتبلور في سورية ولبنان في أعقاب الحرب العالمية الأولى.

لقد كان يعرف العديد مـــن الزعمـــاء البـــارزين فـــي الحركـــة الوطنيـــة العربيـــة، وكان مقبولا لديهم، وكان بعضهم زملاءه بالدراسة فـــي جامعـــة بـــيروت. بيـــد أن العلاقـــة بين (هشاي) وساسون كانت ضعيفـــة ومقلصـــة جـــدا حتـــى عـــام ١٩٤٣. ولـــم تتعـــزز العلاقات والتعاون بينهما، إلا عندما ارتفعت درجة أهميـــة المنـــاحي السياســـية، حتـــى تـــم تشكيل لجنة للشئون العربية بعضوية ساسون ودنين وفلمون. ووفقـــا لماهيـــة النقـــاش كـــان يتم إضافة ثلاثة أعضاء آخرين إلى دائرة النقـــاش ممـــن يعتـــبرون ضليعيـــن فـــي الشـــئون العربية. وكانت العلاقة بين أقطاب اللجنـــة الثلاثـــة شـــديدة الحساســـية. فقـــد كـــان دنيـــن- الرجل الميداني المتميز يقدر كفاءة ومواهب ساســـون، بيـــد أنـــه كـــان يبـــدي تحفظـــا مـــن الاعتبار الكبير الذي يوليـــه لـــوزن الزعمـــاء العـــرب وقدراتـــهم، هـــذا إضافـــة إلـــى أن ساسون، لم يكن ينتمي إلى منظمة الـــهجناه، ولـــم يكـــن ميدانيـــا، بـــل كـــان أحـــد رجـــال (الصالونات) والحوارات السياســـية.

ويتضح من أقوال فلمون أيضا، أنه كان يشـــعر بـــالتحفظ تجـــاه ساســـون، كمـــا أن ساسون كان يبدي تحفظا تجاه الاثنيـــن.

وفي ربيع عام ١٩٤٣، تم تشكيل هيئـــة جديـــدة لجمـــع المعلومـــات، تحـــت اســـم وحدة (هشاحر)-الفجر، والتي تـــم تشـــكيلها فـــي الســـرية(ج) التابعـــة لمنظمـــة (البلمـــاح) وضمت مجموعة من قدامى وحدة المســـتعربين فـــي ســـورية، والتـــي تـــم حلـــها آنـــذاك، إضافة إلى أعضاء جدد جرى تنظيمـــهم. وتـــم إدخـــال أعضـــاء هـــذه الوحـــدة فـــي دورة تدريبية سرية للغاية في قرية (حوجلة) الواقعـــة فـــي غـــور (حيفـــر)، وحتـــى عـــام ١٩٤٤ إتسعت صفوفها، وأصبح عدد أعضائـــها يـــتراوح بيـــن أربعيـــن حتـــى خمســـين عضـــوا. وكلفت الوحدة بجمع معلومات في الأوساط العربية، واستعانت بـــها(هشـــاي) فـــي عمليـــات المبـــادرة.

وفي عام ١٩٤٤، أتخذ قرار بتغيير مكان قيـــادة هشـــاي، وأعيـــدت غالبيتـــها إلـــى القدس، باستثناء الأرشيف الأخضر، الذي بقي في تـــل أبيـــب.

بدأت الحرب تقترب من نهايتها، وحظيت القضايا السياسية بأهمية أكبر، وتم الاتفاق بين الشعبة السياسية، وبالتشاور مع القيادة العليا لمنظمة الهجناه، على أن يقوم (هشاي) بتوطيد علاقاته مع الشعبة العربية التابعة للشعبة السياسية، في الوكالة اليهودية وتم إخلاء مكان شمعوني ومساعديه، في مبنى المؤسسات الوطنية.

أدار يوسف كريب، في نفس تلك الفترة، الشعبة(د) وهي الشعبة المخصصة للمنشقين، وقد بدأ العمل في إدارة السفن عام ١٩٤٢، وفي نفس الوقت، واصل العمل كمعلم، ولم يتفرغ لعمل الشعبة إلا عام ١٩٤٤،عندما ازدادت واتسعت نشاطاتها بصورة كبيرة.

وكانت مصادر كريب متنوعة، من الأوراق والمعلومات التي تصله، ومن الصحف، وأرشيفي الإتسل وليحي، ومن أوساط الحكومة، ومن المراقبين الذين يجرون اتصالات مع المنشقين، إضافة إلى الأشخاص الذين تم زرعهم في أوساط المنشقين، وعملوا هناك مع تعريض حياتهم لخطر جسيم جدا.

وقد تم تصنيف المعلومات، لكل شخص من المنشقين إلى ثلاثة أصناف: معلومات شخصية حوله، معلومات جغرافية، تتعلق بمكان وجوده وسكناه، ومعلومات موضوعية بخصوص القضية ذات الصلة به.

وكي نوضح مدى أهمية عمل هذه الشعبة يجب أن نشير إلى عدة تطورات سياسية. فقد كان هناك تعاون بين منظمة الإتسل والبريطانيين، طيلة سنوات الحرب العالمية الثانية، وحتى ربيع ١٩٤٤، بيد أنه لم يكن هناك تعاون بين الإتسل والهجناه.

ورغم المحادثات التي جرت في كانون الأول ١٩٤٠ بين برال كتسنلون والدكتور أربيه ألتمان، بل وإعداد صيغة هدنة بين اليمين واليسار، بيد أن هذه الهدنة لم تخرج إلى حيز التنفيذ الفعلي.

وقد أشرنا انفا إلى قضية سرقة الأسلحة في هرتسيليا، والتي اعتبرتها منظمة الهجناه تحديا لا يطاق.

وهناك قضيــة أخــرى حققــت فيــها(هشــاي) هــي قضيــة(زيتونـــي) موشــيه روتشتاين، وهي القضية التي تعتــبر مؤامــرة دبرتــها منظمــة الإتســل لشــرخ وتمزيــق الهجناه، من خلال وثائق تخطيط سرقت مــن هيئــة الأركــان العامــة. وقــد ازداد الوضــع خطورة حينما حدث انقسام في صفــوف الإتســل.

وفي أعقاب مقتل ثلاثة من رجــال الشــرطة فــي كــانون الثــاني ١٩٤٢- اثنــان منهم من اليهود- بوساطة لغم مفخخ وضعته منظمة ليحي علــى ســطح أحــد المنــازل فــي تل أبيب، ألقيت على عاتق(هشاي) مهمـــة العمــل ضــد مجموعــة شــتيرن. وقــد قــامت جماعة منظمة البلماح، باعتقال الكثيرين من جماعـــة شــتيرن والتحقيــق معــهم، وقــد قــاد التحقيقات إيجال ألون، وقد أطلق على تلك التحقيقات اســم" الموســم الصغــير".

وتجدر الإشارة إلى أن هذه التحقيقـــات، جــرت دون أن يكــون لــها أي علاقــة بالسلطات البريطانية بل ربما كان الأمر عكســيا، حيــث جــرت محــاولات لإنقــاذ رجــال شتيرن من أيدي البريطانيين بمن فيهم شــتيرن نفســه.

وعندما توسعت أعمال الشعبة، طلب كريــب مــن عمــير أن يعيــن لــه مســاعدا للعمل في الأرشيف، فوافق مبدئيا، وفـــي مطلــع عــام ١٩٤٤ وبينمــا كانــا عــائدين مــن جولة في هرتسليا في سيارة عمير، أشار عمير إلـــى شــخص كــان يقــف بالانتظــار إلــى جانب الطريق، وقال لكريب: هذا هــو مســاعدك فــي الأرشــيف، وكــان ذلــك الشــخص ايسر هرئيل(هلفريــن).

في الخامس من تشرين الثاني ١٩٩٤، قتــل اثنــان مــن أعضــاء منظمــة ليحــي والذين تم إرسالهم إلى القاهرة من البلاد-لقتــل اللــورد مويــن_ وزيــر الدولــة البريطــاني لشئون الشرق الأوسط، وقد أطلق الاثنان الياهو حكيم، وإلياهو بــن تســوري، النــار علــى اللورد إيـــان توجهــه بســيارته إلــى مكتبــه. ورغــم أن مويــن كــان معروفــا بعدائــه للصهيونية، ويؤيد (الكتــاب الأبيــض)، فقــد أثــارت عمليــة القتــل غضبــا عارمــا فــي الاستيطان كلــه.

وفي شباط ١٩٩٤، أعلنت منظمة الإتسل عن تمردها ضد البريطانيين. وحتى نيسان، تم تنفيذ عدة عمليات ضد مؤسسات الحكومة البريطانية الانتدابية، وقد صاحب هذه العمليات، حملة دعائية واسعة، دعت إلى التمرد الاستيطاني العام، ضد التواجد البريطاني، والقيام بعمليات ترغم البريطانيين على الخروج من البلاد. ورغم ذلك، دعت الإتسل، بصورة متناقضة تماما، إلى إبقاء التحالف التقليدي مع بريطانيا من أجل إنجاز أهداف الصهيونية، وإقامة دولة يهودية على ضفتي نهر الأردن فورا.

دارت في تلك الأونة اتصالات بين منظمتي "اتسل" و"ليحي" بهدف التوصل إلى تعاون، بيد أنهما لم تتوصلا إلى تسوية، نظرا لان "ليحي" لم تكن تصدق إمكانية ابتزاز إنجازات سياسية من البريطانيين عبر الضغوط. وقد فشلت المفاوضات لهذا السبب، وايضا على أرضية مقتل اللورد موين، تلك العملية التي شجبتها منظمة الإتسل علنا.

لقد تمكنت المنظمتان -"الإتسل" و"ليحي" من الحصول على الأموال اللازمة، لتمويل عملياتهما، من المؤيدين، وفي الكثير من الحالات، عبر التهديد باستخدام العنف، وممارسة الضغوط والابتزاز، على مصادر التمويل.

وقد خشيت إدارة الحركة الصهيونية، واللجنة الوطنية، من احتمال فرض العمل ضد البريطانيين على الشارع العبري بالقوة، واعتبروا مثل هذه المحاولة، بمثابة تخريب للجهد الحربي، وخصوصا في الفترة التي بعث البريطانيون فيها مظليي الهجناه إلى أوروبا، وتوجهت القوات التي تضمهم إلى الجبهة الإيطالية.

وفي تلك الأونة، وصلت إلى السلطات البريطانية في العراق، تهديدات موقعة من قبل مجموعة شتيرن، وتم توزيع هذه التهديدات في بغداد، وقد جاء فيها:" يجب العمل على اغتيال زعماء التحالف:" تشرشل وروزفلت وديغول، وهم في طريقهم لحضور مؤتمر القمة في طهران".

وقد أثارت هذه التهديدات قلقا شـــديدا لـــدى أجـــهزة الأمـــن البريطانيـــة، وحـــدت بها للتوجه إلى الوكالة اليهودية فـــي القـــدس.

وفي أعقاب المشاورات التي جـــرت بيـــن الطرفيـــن، اقـــترح مســـئولو الوكالـــة، إرسال دنين وفلمون إلى العراق، للتحقيق في القضية. وســـافر الاثنـــان فعـــلا إلـــى بغـــداد، وبالتعاون مع جهاز المخابرات التابع لسلاح الجو البريطـــاني- الـــذي كـــان مســـئولا عـــن أمن مؤتمر القمة- اكتشف أن المهددين لم يكونـــوا ســـوى مجموعـــة صغـــيرة مـــن الـــهواة اليهود. وقد انتهز دنين وفلمون الفرصة، للتعـــرف علـــى أوضـــاع الجاليـــة اليهوديـــة فـــي العراق.

كان هناك خياران أمام الاستيطان اليـــهودي، علـــى صعيـــد المنشـــقين: فإمـــا أن يخضع الاستيطان اليهودي لـــهذه المجموعـــات الإرهابيـــة الصغـــيرة، أو يواصـــل مســـيرة التعاظم والتوسع التدريجي، ودعمـــه لمنظمـــة الـــهجناه، رغـــم سياســـة الكتـــاب الأبيـــض. وكان واضحا للاســـتيطان اليـــهودي، أن الأســـلوب الثـــاني هـــو المفضـــل، وأنـــه يتطلـــب القضاء على الإرهاب، بيد أنه فضل الشروع بالحوار مـــع تلـــك الجماعـــات أولا.

باءت الجهود التي بذلت للتأثير على الإتســـل، عـــبر الحـــزب المحـــافظ، بالفشـــل، لأن الاتسل رفضت الانصياع للحزب وكذلـــك بـــاءت جميـــع المحادثـــات المباشـــرة التـــي أجراها الياهو جولومب وموشيه سنيه- ممثلا الهجناه- مـــع منـــاحم بيغـــن، قـــائد الإتســـل، بالفشل. جراء إصرار الإتسل، على عدم التخلي عـــن محاربـــة البريطـــانيين.

اختلفت الآراء في أوســـاط الاســـتيطان اليـــهودي حـــول أســـلوب التعـــامل مـــع الإتسل، وخصوصا تجـــاه التعـــامل معـــها بشـــدة، وبســـبب معارضـــة الجـــهات المدنيـــة لاستخدام الشدة، تم التوصل، في نيسان، إلى قـــرار لوضـــع خطـــة معتدلـــة، تنـــص علـــى القيام بحملة إعلامية واسعة، بغيـــة عـــزل المنشـــقين ومؤيديـــهم، ووضـــع حـــد لعمليـــات الابتزاز المالية، وعدم تسليم النشطاء إلى الشـــرطة. بيـــد أن هـــذه الخطـــة، أيضـــا، بـــاءت بالفشـــل.

شهدت الفترة الواقعة بين فشل الخطة-نيسان- وحتى اغتيال اللورد موين - تشرين الثاني- تصاعدا ملحوظا في الإرهاب. فقد قامت منظمة "ليحي"، بتنفيذ عدة عمليات اغتيال ضد رجال الشرطة، وفشلت عملية الاغتيال التي قامت بها المنظمة، ضد المندوب السامي البريطاني، كما واصلت المنظمة مهاجمة المواقع البريطانية.

وتأسيسا على هذا الوضع، صادقت مؤسسات الاستيطان، في أيلول وتشرين الأول ١٩٤٤، على خطة عمل متشددة ضد المنشقين، وألقت مهمة تنفيذها على متطوعين من بين نشطاء"هشاي" و"البلماح"، على أن تخضع مجموعة المتطوعين مباشرة لرئيس الأركان يعقوب دورين وقد عينت "البلماح" ايغال ألون، قائدا لهذه المجموعة.

وفي تشرين الأول تم إجراء تدريبات خاصة للمشاركين في عملية "الموسم"- مثلما أطلق على هذه العملية- وتم تعيين قادة لها. وقد شارك فيها حوالي مائة وثمانين شخصا من البلماح- وليس من المعروف عدد رجال (هشاي) الذين شاركوا فيها. إضافة إلى عشرين من نشطاء الهجناه.

وكلفت مجموعة "الموسم" بتحقيق ثلاثة أهداف محددة: المتابعة والمراقبة، الحماية -وعلى وجه الخصوص، حماية الشخصيات والشركات من محاولات الابتزاز، والاعتقالات -أو بلغة عصرنا القيام بعمليات الاختطاف. وقد تم تنفيذ كل مهمة من المهام الثلاث على أيدي مجموعة مستقلة.

كان مسئولو الوكالة اليهودية، وحتى اغتيال اللورد موين، يعارضون التعاون مع السلطات البريطانية بشأن المنشقين، نظرا لأنه جرت في تلك الآونة- وقبل اغتيال موين- اتصالات سياسية في لندن، أدت إلى إثارة الآمال، بأن تقوم حكومة بريطانيا بإلغاء نظام" الكتاب الأبيض". بيد أن هذه المحادثات توقفت، في أعقاب الاغتيال، وأصبح تشرشل متحفظا، مما أدى إلى وقف مخططات التعاون العسكرية- مثل خطة تدريب المظليين الإسرائيليين- ومع ذلك، تم في تلك الآونة،

إحراز أكبر إنجاز في مجال التعـــاون بيــن بريطانيــا والوكالـــة اليهوديـــة: إقامـــة الفرقـــة الإسرائيلية اللواء اليهودي المقـــاتل-١٨ايلـــول ١٩٤٤.

إن رغبة الاستيطان اليهودي في التـــأكيد علـــى أن الحركـــة الصهيونيـــة وغالبيـــة الاستيطان اليهودي، يقف خلف الجهد الحربي ضـــد النازيـــة، هـــو الـــذي أدى، فـــي نهايـــة المطاف، إلى اتخاذ القرار الحاسم، آنـــف الذكـــر.

ورغم أن حركة العمال كـــانت، فـــي البدايـــة، تعـــارض القـــرار، الا أن مؤتمـــر الهستدروت السادس، اتخذ في العشرين مـــن تشـــرين الثـــاني ١٩٤٤، قـــرارا، جـــاء فيـــه: طالما أن السلطات والشرطة البريطانية معنيتان بالقضـــاء علـــى الإرهـــاب، فإننـــا نتعـــاون معهم فـــي هـــذا المجـــال، لأنـــه دون تقديمنـــا المعونـــة لـــهذه الســـلطات، ودون تقديمـــها المساعدة لنا، لن نستطيع اجتثـــاث المـــرض.

امتنعت منظمة (ليحي) عن القيام بـــأي عمليـــات إرهابيـــة حتـــى نهايـــة الحـــرب، مما أثار آمالا بإمكانية حلها كمنظمـــة مســـلحة مســـتقلة، وضمـــها إلـــى القـــوات المســـلحة للاستيطان المنظم وحقا، فإن ليحي لم تستأنف نشـــاطاتها إلا فـــي إطـــار التمـــرد العـــبري. وبالتالي، فإن عمليات الهجناه وجهت لقمـــع الإتســـل.

ويرجع عدم نشوب حرب أهليـــة بيـــن الطرفيـــن، إلـــى الصرامـــة التـــي أبداهـــا مناحم بيغن، والذي أمر زملاءه، في الإتسل، بعدم المعارضـــة فـــي حالـــة الاعتقـــال ورغـــم ذلك، واصلت منظمة الإتسل تمردهـــا وعملياتـــها.

وفي إطار عمليـــة "الموســـم"، نجحـــت طواقـــم المتابعـــة فـــي اكتشـــاف مصـــادر التمويل المركزية للإتســـل. ولدهشـــتهم البالغـــة، اكتشـــفوا أن مـــن بيـــن هـــذه المصـــادر، مؤسسات معتدلة، بل وجهات من الهجناه خضعـــت أمـــام التـــهديدات.

لقد أثارت عملية الاختطـــاف، والتعـــاون مـــع الســـلطات البريطانيـــة، مـــن قبـــل الهجناه، لإجـــلاء وإبعـــاد الأشـــخاص الذيـــن يتـــم إلقـــاء القبـــض عليـــهم- الكثـــير مـــن الاحتجاجات في أوساط واســـعة مـــن الاســـتيطان اليـــهودي، بمـــا فيـــها اليميـــن واليســـار

والمعتدلون، حتى أعضاء جماعة"تحالف السلام" الذيـــن كـــانوا يعتـــبرون مـــن ألـــد أعـــداء المنشـــقين.

أضف إلى ذلك أن خلافات حادة ثـــارت فـــي أوســـاط "البلمـــاح" و"هشـــاي" علـــى أرضية التعاون مـــع البريطـــانيين، ممـــا أدى إلـــى وقـــف عمليـــة"الموســـم"، مطلـــع آذار ١٩٤٥.

وقف العمليات دون القضاء علـــى الإتســـل، ورغـــم إضعافـــها لقواهـــا، إلا أنـــها أسهمت في إظهار "الإتسل" كأقلية مطاردة، مما أكســـبها تعاطفـــا جماهيريـــا، وســـهل عليـــها إعادة تنظيم نفسها بصورة أكثر فعاليـــة وجـــدوى.

وفي أعقاب انسحاب البلماح من عمليـــة "الموســـم"، ألقيـــت علـــى عـــاتق هشـــاي، مهمة مواصلة العمل ضـــد الإرهـــاب اليـــهودي. وقـــد قـــام نشـــطاؤها بعمـــل ذلـــك، دون إشراك المباحث أو الشـــرطة البريطانيـــة، وذلـــك نظـــرا لأن الأحـــداث والتطـــورات التـــي وقعت آنذاك، وضعت حدا لاحتمالات التعاون مـــع الســـلطات البريطانيـــة.

وفي عام ١٩٤٦ بنى مهنيون مخبأ تبلغ مســـاحته ٢×٤ أمتـــار مـــن أجـــل إخفـــاء أرشيف "هشاي"، ووضع الأرشيف فيه، وتم إغلاقه بالبـــاطون، ووضـــع فـــي جهـــة بابـــه سريرا متحركا وستارة، وكانت الموظفتان اللتان تم تعيينـــهما للعمـــل فيـــه، تعمـــلان علـــى السلام طيلة الوقت، بصعوبة بالغـــة. وبمـــرور الزمـــن أصبـــح أرشـــيف "هشـــاي" شـــديد الأهمية بفضل إيسر هرئيـــل حيـــث أصبـــح بالإمكـــان العثـــور علـــى الملفـــات المطلوبـــة بسرعة فائقـــة.

يقول كريب: كانت عمليات اعتقـــال رجـــال الإتســـل قانونيـــة، فـــأوامر الاعتقـــال صادرة عن الدولة، التي كانت آنذاك في إطار التكويـــن والإنشـــاء. وقـــد جـــرت التحقيقـــات معهم، أثناء الليل، بصورة خاصة، وكان المحققون يجلســـون خلـــف أضـــواء كاشـــفة قويـــة جدا، تسلط إلى عيون المحقق معهم. وكان كريـــب يقـــدم تقـــارير فوريـــة شـــخصية، إلـــى

رئيس الأركان، حول التحقيقات، كما كان علــــى صلـــة بموشـــيه ديـــان، ضـــابط عمليـــات عملية "الموســـم".

ويشير كريب إلى التمرد الذي اندلع في أوساط(هشاي) فـــي القـــدس ضـــد عمليـــة الموسم، بتأثير من مريم بن أهارون، زوجة اسحق بن أهـــارون، الـــذي كـــان أســـيرا لـــدى الألمان، وكانت تعمل سكرتيرة للشـــــعبة.

وقد صعب علـــى كريـــب فـــهم هـــذه الظـــاهرة، واعتبرهـــا انتـــهاكا للانضبـــاط، خصوصـــا وأن هشـــاي كـــانت تنفـــذ جميـــع المـــهام التـــي تلقـــى علـــى عاتقـــها دون أي احتجاجات أو انحرافات سياســـية أو غيرهـــا.

ويقول كريب: أنه لم يتم اللجوء إلـــى اســـتخدام أي عنـــف ضـــد المحقـــق معـــهم باستثناء توجيه إضاءة قوية إلى عيونهم. ورغم ذلـــك، فقـــد قـــام بعـــض رجـــال "البلمـــاح" بضرب بعض المعتقلين، إبان نقلهم في السيارات إلى مراكز الاعتقـــال. بـــل لقـــد تـــم إقالـــة أحد المحققين، عندما علمت القيادة أنه قام بتعذيب أحد المعتقليـــن فـــي إطـــار التحقيـــق.

وفيما يتعلق بالبريطانيين، يقـــول كريـــب: أنـــه حقـــا تلقـــى أمـــرا بتســـليم روبـــن شيلوح في الوكالة اليهودية في القدس، قائمة بأســـــماء نشـــطاء الإتســـل، الا أنـــه لـــم يعلـــم سبب ذلك. بيد أنه سمع، فيما بعد، أنه تم إعتقال الذيـــن وردت أســـماؤهم مـــن قبـــل رجـــال الشـــرطة.

وقد تم الاتفاق مع البريطانيين، على عدم استخدام العنـــــف مـــع نشـــطاء الإتســـل- على غرار ما هو متبع- بل، العمل على إجلائهم من البـــلاد إلـــى الخـــارج. وهكـــذا تمـــت الحيلولة دون فرض عقوبات شديدة، كان الاستيطان اليـــــهودي يحـــاول تفاديـــها..

وفي عام ١٩٤٤، تم ضم "شـــلوم درور" -عضـــو الجـــهاز العـــام للـــهجناه- إلـــى محققي عملية "الموسم". وقد تخصص في التحقيق مـــع الأشـــخاص الذيـــن زرعـــهم الإتســـل في صفوف الهجناه. ويقول أنه حقق ذات ليلة مع أحـــد أعضـــاء البلمـــاح المشـــتبه بانتمائـــه للإتسل طيلة الليل ودون استخدام العنـــف، وفـــي النهايـــة، اقتنـــع الرجـــل، وروى لـــه كـــل

شيء حول ضابط ارتباطه، وأعضـــاء الاتسـل الآخريـن العـاملين فـي إطـار الـهجناه، ومعلومات أخرى ثمينــة.

ويقول درور، تســربت الـي معلومـات فـي آذار ١٩٤٥، حـول التعـاون مـع المباحث البريطانية، وحينها، أوقفنا العمل الذي نقـوم بـه فـورا.

وفي تلك الآونة، تم اختطاف يعقوب مريدور، الـذي كـان يختبـيء فـي رعنانـا بفضل كلبه- فقد أفاد أحد أعضاء "هشاي" أن هناك شـخصا مـا يقـوم بجولـة كـل مسـاء وبصحبته كلب كبير. وكان مريدور يقتني كلبـا ضخمـا، فـي الوقـت الـذي كـان اقتنـاء كلب في تلك الآونة مسألة نادرة. وفـي نفـس المسـاء، تـم اختطافـه علـى أيـدي خليـة "بلمـاح".

ويقول موشيه بارون، ضابط"هشاي" فـي الجليـل الأعلـى : أن المعلومـات التـي وصلت إليه وإلى الضباط في مستواه، تؤكـد أن عمليـة الموسـم، سـتنفذ بـأيدي الـهجناه، دون أي تعاون مع البريطانيين وأن الأشـخاص الذيـن وضعـوا تحـت إمرتـه، اجتـازوا دورة قصيرة لجمـع المعلومـات عـن الأشـخاص المشـبوهين بالانتمـاء إلـى منظمـات المنشقين، وأن قائمة الاعتقالات لـم تكـن طويلـة، وكـانت تضـم، فقـط، أسـماء قـادة وشخصيات رئيسية، وذلك بهدف شل منظمات المنشـقين. وفـي إطـار هـذه العمليـة تـم إعداد ملف لكل مستوطنة وبلدة في الجليل الأسفل، وقـد احتـوت الملفـات علـى البيانـات التاليـة: الاسـم الكـامل للمشـبوه، خارطـة للمكـان، وضعـت علامـات علـى منـازل المشبوهين فيها، إستمارات شـاملة حـول كـل شـخص، صورهـم إذا توفـرت، تقـارير المتابعة لهم. وقد اكتشفت الطواقم المكلفة بتنفيذ عمليـات الاعتقـال، عـدة مخـازن سـلاح تابعة للإتسل، والأرشيف القطري للإتسل، والذي يشـتمل علـى قائمـة بأسـماء الممولـين، وتقارير حول نشاطات وجلسات القيادة، ومـواد أخـرى.

وعندما علم بارون بوجود تعاون مـع البريطـانيين، طلـب نقلـه مـن وظيفتـه، وقد تمت الإستجابة لطلبه، وعين ضابط أمـن للصناعـات.

كانت، العمليات ضـــد"الإتســل" لا تــزال فــي أوجــها، فــي شــتاء ٤٤-١٩٤٥، ورغم ذلك، واصلت باقي الشـــعب أعمالـــها كالمعتـــاد وعلـــى وجـــه الخصـــوص الشـــعبة البريطانية الجديدة المساه(ب/م) والتي يترأسها موشـــيه بـــار إيـــلان.

وقد قام عمل هذه الشـــعبة علـــى أســـاس أن هنـــاك يـــهودا يعملـــون فـــي جميـــع مناحي رتب السلطة البريطانية، باستثناء السلطات العليا. وقـــد ركـــز بـــار إيـــلان جـــهده، على العمل في المكتب وترك العمل الميدانـــي للآخريـــن، وهكـــذا عمـــل المكتـــب بصـــورة متميزة جدا، على مدى الساعات الأربـــع والعشـــرين دون أي إجـــازات.

وفي الاتصالات التي كان رجال بار إيـــلان يجرونـــها مـــع الجنـــود اليـــهود فـــي الوحدات البريطانية، كانوا يجدون الذرائع المناسبة، وفي الغالب كـــانوا يقولـــون أنـــهم مـــن الهيئة العاملة من أجل الجندي، وكانت المعلومات التـــي يتـــم الحصـــول عليـــها تنقـــل إلـــى رئيس الهيئة القطرية أو إلى رئيس الأركان، كما أرســـل قســـم كبـــير منـــها إلـــى الوكالـــة اليهودية، وإلى بن جوريـــون.

وهكذا، أخـــذت العلاقـــات تتوطـــد بصـــورة تدريجيـــة بيـــن "هشـــاي" والشـــعبة السياسية، ومنذ عام ١٩٤٤ أخذ الطرفان يعقدان جلســـات عمـــل مشـــتركة.

كانت هناك مـــهمتان رئيســـتان أمـــام الشـــعبة البريطانيـــة، التـــي كـــانت تجـــري اتصالات مع عدد من الأشخاص يـــتراوح بيـــن ٣٠٠-٤٠٠ شـــخص.

- بناء شبكة مصادر معلومات فـــي شـــتى أنحـــاء البـــلاد، وفـــي الـــوزارات الحكوميـــة، وتوسيعها بالاستعانة بالضباط والموظفين البريطانيين المتعـــاطفين مـــع الصهيونيـــة.
- تقديم المساعدة، لشعبة المشتريات التابعة للقيادة القطرية لتمكينـــها مـــن شـــراء أســـلحة وتجهيزات عسكرية من مخازن الجيش البريطـــاني ومـــن العـــرب، بالاســـتعانة بالعلاقـــات التي تقيمها الشعبة العربيـــة.

ولا شك أن المـــهمتين كانتـــا خطرتيـــن ومعقدتيـــن بيـــد أن النتـــائج كـــانت تـــبرر المخاطرة. وقـــد نجحـــت الشـــعبة فـــي الحصـــول علـــى المخططـــات المعضلـــة لمبـــاني

الشرطة، ومعسكرات الجيش البريطاني في جميع أنحاء البلاد، ونسخ من الخرائط الجديدة التي تم إعدادها لدى الشعبة السياسية الحكومية، ومسودات للميزانيات الحكومية، ومعلومات حول الضرائب الاقتصادية التي كانت الحكومة تعتزم فرضها. وكانت هذه المعلومات تسلم بصورة منظمة إلى اليعازر كيلان، رئيس الشعبة المالية في الوكالة اليهودية. وإلى ديفيد هوروفيتش رئيس الشعبة الاقتصادية.

إن اللهاث وراء الحصول على المعلومات، أرغم العديد من الموظفين اليهود من رجال الهجناه المخلصين، إلى التظاهر بمظهر المتعاونين مع البريطانيين، وهو الأمر الذي عرض حياة كل منهم للخطر، نظرا لأن أعضاء الإتسل و"ليحي"، بل وأعضاء "الهجناه" أنفسهم، تعاملوا معه بعداء .. وقد بذلت "هشاي" جهدا كبيرا، من أجل تخفيف حدة التعامل مع هؤلاء الأشخاص.

في أحد ملفات "هشاي" رسالة أرسلها بار ايلان في السادس عشر من تشرين الثاني ١٩٩٤ إلى اليعازر ليبنه محرر جريدة (اشناف) السرية التابعة للهجناه بشأن الدكتور(كينج)، وهو موظف في شعبة الصناعات الثقيلة، وذلك بعد أن نشرت مقالة في الجريدة، وصفته بأنه نازي.

وقد اتضح أن الدكتور كينج، عمل حقا في المخابرات البريطانية، بيد أنه كان أحد المصادر لـ "هشاي". وقد طالب بار ايلان، بأن يتم العمل على دحض الإنطباع الذي خلفته المقالة.

عندما تم تعيين يعقوب بات مسئولا قطريا عن شراء الأسلحة، طلب من إسرائيل عمير، أن يمد يد المساعدة له. وفي إطار هذا العمل، نفذت "هشاي" أحد أذكى العمليات التي قامت بها. فقد كان مخزن أسلحة (وادي الصرار)، أحد أكبر مخازن الأسلحة البريطانية في البلاد. وبالاستعانة بضابط يهودي يعمل قائدا لحرس المعسكر الذي يوجد فيه المخزن، ويقيم علاقة مع "هشاي"، تسلح عمير في إحدى

الليالي، وعندما كانت تقام في المعسكر حفلة تتعاطى فيها الخمور، سرق ثلاث مجموعات من المفاتيح لفترة قصيرة.

وفي غضون أقل من ساعة، تم استنساخ جميع المفاتيح على الصابون والجبس والأوراق، ثم جرى- فيما بعد- صناعة نسخ عنها في محددة وسلمت إلى يعقوب بات. وهكذا تم نقل كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر من مخازن معسكر وادي الصرار إلى مخابئ" السهجناه".

عمل العديد من اليهود في معسكرات الجيش البريطاني في الجنوب. وقد سجلت"هشاي" أسماءهم، وفحصت موسوعيتهم ومقدرتهم وتوجهت إلى عدد منهم، بطلب للمساعدة في الحصول على المعلومات الخاصة باستخدام السلاح، وفي محاولات إخراج الأسلحة، والتحذير من التفتيشات والاعتقالات، وتقديم معلومات حول الضباط البريطانيين المتعاونين مع العرب. والضباط الذين من المحتمل أن يتعاونوا مع اليهود.

الفصل الخامس

إنشاء شبكات التجسس والشعبة الفنية ١٩٤٥

استسلمت ألمانيا في أيار ١٩٤٥، وانتهت الحرب في أوروبا، بيد أن مدنها تحولت إلى تلة من الخرائب والأطلال، وأخذت جماهير اللاجئين والمشردين تتجول هنا وهناك هائمة دون قصد محدد، وكان وضع اليهود،هو الأكثر صعوبة، وسط هذا البؤس. وقد حاول بعضهم العودة إلى المدن التي كانوا يعيشون فيها وإلى منازلهم، فوجدوا سكانا جددا فيها، هذا إضافة إلى حالات القتل التي وقعت بين الجيران، وقد خلق هذا الوضع رغبة عند اليهود للهجرة إلى إسرائيل.

وفي تلك الآونة، وصلت الفرقة اليهودية إلى الحدود الإيطالية النمساوية. وفي النمسا، بدأت الوحدات اليهودية تستغل الوسائل التي بحوزتها، وعلى وجه الخصوص وسائط النقل، من أجل نقل اللاجئين نحو الجنوب.

وفي تلك الآونة، شرعت مؤسسات الهجرة الثانية في إيطاليا، وباقي الدول الأوروبية، في بذل جهود شاملة لاستيعاب اللاجئين ونقلهم إلى البلاد. وقامت منظمة الهجناه، بتخصيص قوة وعلى وجه الخصوص من البلماح-من أجل تقديم المساعدات لتهجير اليهود بجميع الوسائل الممكنة. كما شرع الاستيطان اليهودي، في اتخاذ الخطوات اللازمة لاستيعاب المهاجرين.

وفي الثالث عشر من حزيران، وفي خطوة لم يسبق لها مثيل، أمرت قيادة الهجناه، الاستيطان اليهودي بمقاومة أي محاولة تقوم بها السلطات البريطانية، للبحث عن مهاجرين غير مشروعين، بالقوة.

وتجدر الإشارة إلى أن الحركة الصهيونية كانت تعتقد، ورغم الخلافات القائمة بينها وبين السلطات الانتدابية، أن البريطانيين سيزيلون العقبة الكأداء، التي

وضعوها في وجه الهجرة اليهودية. ويضعون حدا لسياسة الكتاب الأبيض، حال انتهاء الحرب.

وبدا خلال برهة قصيرة من الزمن، أن هذا الاعتقاد سيتحقق فعلا، فقد تمكن حزب العمال البريطاني، من الفوز في الانتخابات التي جرت في آب ١٩٤٥ وقد أبدت غالبية ناطقي وممثلي هذا الحزب البارزين، تعاطفا مع الفكرة الصهيونية، وقد وعدوا قبل إجراء الانتخابات، بأنهم سيعمدون إلى إلغاء سياسة وزارة المستعمرات، حال وصولهم إلى السلطة.

وإضافة إلى الوعود، كانت منطقية السياسة تصب في نفس الإتجاه، فقد خرجت بريطانيا متضعضعة من الحرب العالمية، وبدا أن فكرة الإمبريالية قد انتهت وتلاشت. ووعدت حكومة العمال بمنح الاستقلال لقسم كبير من توابع الإمبريالية، وعلى وجه الخصوص للهند.

وبناء عليه، كان من المنطقي القول: أن ضرورة الحفاظ على الصداقة مع العرب ستضعف وتفقد ثقلها لدى بريطانيا، كما ستتقلص الضرورة الاستراتيجية للسيطرة على مفترق الطرق التقليدي، القائم بين الهند وبريطانيا، كما أن هذا المفترق، سيفقد أهميته.

أضف إلى ذلك، أن الحرب العالمية الثانية أسفرت عن ولادة قطب عالمي جديد هو الولايات المتحدة، ذلك القطب الوحيد الذي خرج من أتون الحرب قويا. وقد تعززت الحركة اليهودية هناك، وبدا أن لها تأثيرا على السلطة.

لقد آمن بن جوريون، وزعماء يهود آخرون، منذ عام ١٩٤٢، أنه سيصبح بالإمكان الإستعانة بالولايات المتحدة، لنقل واحد وعشرين مليون يهودي من أوروبا إلى البلاد، وحل مشكلة الأغلبية العربية، حلا شاملا .

لقد اعتقد بن جوريون، أن هذه هي الفكرة الوحيدة التي يمكن عبرها بناء الدولة المستقبلية فورا، ولم تخفه فكرة إمكانية أن يؤدي تطبيقها إلى مواجهات مع

بريطانيا. وقد برزت معالم هذه الفكرة بوضـــــوح، فـــي أيـــار ١٩٤٢، فيمـــا يســـمى خطـــة (بلتيمور)، والتي صادقت عليها اللجنــــة التنفيذيــــة الصهيونيــــة فـــي البـــلاد، فـــي تشـــرين الثاني من نفس العـــام.

وإزاء هذه الحقيقـــة، لـــم يكـــن بالإمكـــان تجـــاهل حقيقـــة تعـــزز مكانـــة الـــدول العربية، في غضون الأشهر الأخيرة للحـــرب، والتـــي انتقلـــت مـــن مرحلـــة الحيـــاد إلـــى مرحلة الدول المقاتلـــة ضـــد النـــازيين، إلـــى الدرجـــة التـــي دفعـــت بـــالرئيس الأمـــيركي المريض"روزفلت" لزيارة الملك إبن سعود، وهو في طريـــق عودتـــه مـــن مؤتمـــر "يالطـــا" إلى الولايات المتحدة. وفي أعقاب اللقاء، قال: "لقد فهمت فـــي غضـــون خمـــس دقـــائق مـــع الملك، عن مشكلة فلسطين، مالم أكن سأفهمه من تبادل إثنتـــي عشـــرة رســـالة".

وفي المؤتمر الأول الذي عقدته الأمم المتحـــدة فـــي ســـان فرانسيســـكو، شـــاركت كل من مصر والعراق والسعودية واليمن(المنتصـــرات)، كاعضـــاء كـــاملين، فـــي حيـــن أن الاستيطان اليهودي لم يكن ممثلا فيـــها أبـــدا.

بيد أن الآمال سرعان ما تبـــددت، وخـــابت آمـــال أولئـــك الذيـــن آمنـــوا بالنوايـــا الحسنة لحـــزب العمـــال البريطـــاني، وعلـــى رأســـهم حـــاييم وايزمـــن. فقـــد اتضـــح أن المفكرين، ليسوا هم الزعماء الحقيقيين للحزب، بل رؤســـاء النقابـــات المهنيـــة، والذيـــن لـــم يكونوا معنيين بـــإدارة سياســـة خارجيـــة جديـــدة. وقـــد واصـــل أرنســـت بويـــن- وزيـــر الخارجية الجديد، والرجل القوي في الحـــزب، الـــذي عمـــل إبـــان فـــترة الحـــرب، وزيـــرا رفيع المستوى في حكومة الوحدة الوطنية، التي شـــكلها تشرشـــل- واصـــل تـــأييده لسياســـة الكتاب الأبيض. ورغم الضغوط التي بذلتها الولايات المتحـــدة للســـماح بـــهجرة مائـــة ألـــف يهودي، على الأقل، إلى البلاد، فقد أصرت بريطانيـــا علـــى رفـــض ذلـــك رفضـــا قاطعـــا. بل لقد عمد بوين إلى تعزيز حكومة الإنتداب بفرض بنـــود الكتـــاب الأبيـــض، بشـــدة.

اتسمت السياسة الأميركية فـــي الشـــرق الأوســـط بالافتقـــار إلـــى اتخـــاذ القـــرار، وذلك لاعتبارها له منطقة تأثير بريطانية. أضـــف إلـــى ذلـــك أن الضغـــوط اليهوديـــة، لـــم

تكن في، تلك الآونة، بالتأثير القوي الذي يمكن أن يواجه وزن الشركات النفطية- فقد حذر وزير البحرية (بورستال)، الرئيس هاري ترومان، من قيام العرب بمنع النفط عن الولايات المتحدة.

وقد أعلمت بريطانيا الولايات المتحدة أنها لن تستطيع تحمل المسئولية إذا ما اندلعت مظاهرات عربية في المنطقة كلها، دون تدخل الجيش الأميركي، بل لقد أشار البريطانيون إلى أن المظاهرات ستندلع فعلا، إذا ما حدثت هجرة يهودية جماعية من أوروبا إلى البلاد. ولم تكن الولايات المتحدة معنية بتدخل قواتها المسلحة.

ونظرا لأن اليابان، كانت شغل الولايات المتحدة الشاغل، في تلك الآونة، فإنها لم تبد أي إستعداد لإرسال قوات إلى الشرق الأوسط.

في أعقاب مقتل اللورد موين، سرح من الجيش البريطاني غالبية اليهود الذين عملوا فيه، أو تعانوا مع المخابرات البريطانية في مشروعات خاصة، وعلى رأسهم المظليون وضباط اللاسلكي الذين عملوا مع المخابرات البريطانية، في دول المنطقة.

قامت(هشاي) بالعمل على تجنيد الضباط والجنود الإسرائيليين، الذين اعتبرتهم مناسبين، للعمل في صفوفهم، وعلى وجه الخصوص ذوي الخبرة في المجال الاستخباري، وحتى عام ١٩٤٧، استوعبت"هشاي" عددا كبيرا منهم وهكذا عمل في "هشاي" عدد كبير من الضباط والجنود الذين اكتسبوا خبرة واسعة في المجال الاستخباري من المخابرات البريطانية، وخصوصا في مجال العمل الميداني، وكان رحبعام عمير، أول المنضمين إلى "هشاي". وكان عمير قد عمل في المخابرات البريطانية خلال الفترة الواقعة بين عامي ٤٢-١٩٤٥، وعمل في القاهرة كمدرب لأجهزة الإرسال، وهبط بالمظلة في يوغوسلافيا المحتلة، وانضم إلى أنصار "تيتو" كضابط اتصال على جهاز اللاسلكي.

أخذ عمير على عاتقه مهمة سكرتير المكتب المركزي لـ"هشاي"، ويمكننا القول، أنه أحدث تغييرا جذريا مهما في عملية جمع المعلومات. ومن خلال التجربة الشعبية التي عاشها في يوغوسلافيا، وشهد خلالها التعاون الحادث بين القوات والجماهير، طرح فكرة تشكيل شبكات شعبية. والشبكات، هي عبارة عن مجموعات من الأشخاص ذوي القواسم المشتركة، مثل أصحاب حرفة معينة كالمهندسين، أو الحدادين أو غير ذلك، وهكذا تشكلت مجموعات واسعة دون أن تعرف أي منها بوجود الأخرى.

لقد مكنت طريقة الشبكات"هشاي" من تغطية مناطق كاملة، وعدم الإكتفاء- مثلما كان عليه الوضع في السابق- بمهاجمة أهداف محددة فقط. إضافة إلى أنها كانت مجدية جدا، على صعيد المعلومات الواردة. وقد كانت شبكة رجال الشرطة هي أول الشبكات التي يتم تشكيلها، ثم لحق بها عمال معسكرات الجيش والسكان، وعمال الصناعات المختلفة، وشبكات الموسسات، وعمال المطاعم، والفنادق والحرف والموانئ والمطارات، والذين كانوا يقدمون قوائم بأسماء الداخلين والخارجين من وإلى المطارات والموانئ، وشبكات الأطباء والمحامين، وسائقي السيارات، والشبكة العربية، التي أنشأها إسحق نافون في القدس.

وكانت أكبر شبكة تم تشكيلها هي شبكة المخابرات العامة، في مطلع ١٩٤٥، وقد قام رئيس الأركان، بتوزيع أول أمر تصدره هذه الشبكة، والذي نص على إلزام جميع أعضاء الـهجناه، بإعلام قادتهم، أو القادة المعروفين لهم، بجميع التفاصيل المهمة حول العرب المشبوهين والخونة اليهود سواء أكانوا هكذا حقا، أو من المحتمل أن يصبحوا، وأي تفاصيل حول موظفي الشبكة، والنشاطات الإعلامية المعادية للصهيونية من قبل اليهود، وأي معلومات حول منظمات المنشقين.

لم تكن فكرة شبكة الاستخبارات الشعبية جديدة، بل كانت تطويرا للفكرة التي طرحت، بداية إنشاء"هشاي". وفي شباط ١٩٤٣، أصدرت "هشاي" أمرا إلى

احتياط المخابرات اللوائيين والكتليين لقراءته أمام أعضاء "الهجناه" في المناطق الخاضعة لهم. وقد جاء فيه: "إن ضمان أمن الاستيطان اليهودي، وتواصل نشاطات الهجناه يتطلبان أن يتنبه كل عضو لما يدور حوله، وإعلام الجهات المختصة بكل ما يعتقد أنه يتعلق بأمن الاستيطان والهجناه. وعلى وجه الخصوص، أن يتنبه للأمور التالية: العلاقات المشبوهة بين اليهود والعرب، الأحداث والمناسبات الخاصة في القرى العربية، ظاهرة الطابور الخامس، الوشاة أو أعمال الوشايات وغير ذلك.

في نيسان ١٩٤٧، أودع الكونغرس الصهيوني ملف الأمن في أيدي بن جوريون. وقد عمد بن جوريون، في إطار محاولاته لفهم المشاكل الامنية التي يعاني منها الاستيطان اليهودي، إلى الاجتماع مع ممثلي "هشاي". ويتضح من يوميات بن جوريون، أنه لم يفهم من هي الجهة المسئولة عن الاستخبارات الشعبية في هيئة الأركان. وكان حاييم يعري، هو مسئول الاستخبارات الشعبية، وقد أناط به هذه المهمة ديفيد شلتئيل رئيس(هشاي)، بيد أن 'يعري' لم يكن يشارك في الجلسات التي تعقد مع بن جوريون، بل كان يشارك فيها يوسيف كريب رئيس فرع "هشاي" في تل أبيب.

ويتضح من خلال فحص بروتوكولات نقاشات ميزانية"هشاي" وفروعها، أنه لم يتم تخصيص ميزانية محددة للاستخبارات الشعبية، وربما يرجع ذلك، إلى أن جميع العاملين فيها كانوا متطوعين، ولم يطالبوا حتى بإعادة المصاريف التي أنفقوها.

ورغم أن الدورة التي كانت تعقد لإعفاء الاستخبارات الشعبية لا تتعدى ستة أسابيع، الا أن "هشاي" لم تكتف بذلك، فمنذ منتصف عام ١٩٤٧، بدأ مركز"هشاي" في توزيع نشرة دورية تحت اسم" رسالة لعضو الشبكة" وقد جاء في الرسالة التي تم توزيعها على الأعضاء في الثاني عشر من اب ١٩٤٧ مايلي:

"تفيد مصادرنا المطلعة بأن هناك خلافات بين سلطة المندوب السامي والجيش فيما يتعلق بالوسائل التي يجب اتخاذها من أجل القضاء على الإرهاب في البلاد، والجانبان بانتظار قرار الحكومة البريطانية".

ورغم التوجهات العامة في أوساط الحكومة لتقليص عدد الجيش في الشرق الأوسط، إلا أنه مما لا شك فيه، أن الحكومة لن تصطدم بمعارضة، جراء إبقاء الجيش الحالي في البلاد، بل وتعزيزه إزاء الوضع الحالي. ويعتقد أن الوسائل التي ستتخذها الحكومة لن تكون خطوات عسكرية حقيقية، بل ستأخذ صورة مراقبة وإشراف، مع فرض نظام حظر تجول دائم، إضافة إلى استخدام أسلوب العقوبات ضد الاستيطان مقابل كل عمل إرهابي. والحكومة لا تستطيع انتهاج أساليب أكثر حسما- إغلاق بنوك، قطع خطوط التلغراف والهاتف وما شابه، في الوقت الذي تناقش فيه الأمم المتحدة، مشكلة أرض إسرائيل. أما فيما يتعلق بخطة "مونتغومري" التي جرى الحديث حولها والقائلة بالطرد الجماعي من البلاد، فلن تنفذ إذا لم يطرأ تغيير سيء في الأوضاع الأمنية في البلاد.

فرضت "هشاي" على كل ضابط مخابرات تقديم تقرير أسبوعي يحمل فيه عمله ونشاطاته في إطار المخابرات الشعبية. وقد نفذت هذه الأوامر، على الصعيد العملي.

لقد مكنت هذه التقارير، هيئة"هشاي" من تقديم التوازنات في قائمة إحصائية جدولية أسبوعية، تشتمل على جميع المعلومات التي قدمها ضباط الاستخبارات الشعبية وضباط الشبكات الأخرى في فروع"هشاي".

ثورة علي الصعيد الفني:

كان حاييم يعري، أحد مظليي الاستيطان العبري الذين عادوا إلى البلاد من أوروبا، وقد تم تجنيده لـ"هشاي" عام ١٩٤٥، وأسفر ضمه، عن حدوث ثورة فنية. كان"يعري" في البداية، رقيبا في سلاح النواطير، وقائدا لمنطقة "رمتايم" من قبل

الهجناه. وفي عـام ١٩٤٣، تطـوع لعمليـة المظليين، التـي نظمتـها الشـعبة السياسـية للوكالة اليهودية ومؤسسة الـهجرة الثانيـة، بالتعـاون مـع المخـابرات البريطانيـة، بغيـة تنظيم عمليات تخريب في عمق النازيين في أوروبـا وإنقـاذ اليـهود.

وكـانت المخـابرات البريطانيـة، علـى علـم بـالأهداف الحقيقيـة للمتطوعيـن اليهود، بيد أنها سلمت بتلك الأهداف، لأنها كانت تعلـم بـأن أولئـك المتطوعيـن سـينفذون المهام الأخرى الموكلة إليهم: وحقا هذا مـا فعلـوه.

كان"يعري" من مواليد ترنسلفانيا، وعلى وشك أن يتم إنزالـه فـي هـذه المنطقـة، بيد أن التحضيرات للعملية تعرقلت، إلـى مـا بعـد مؤتمـر "يالطـا" فـي شـباط ١٩٤٥. ونظرا لأن المؤتمر نص على أن تقع هذه المنطقة تحـت سـلطة الاتحـاد السـوفيتي، فقـد تم إلغاء العملية، لأن البريطـانيين والسـوفيت فضلـوا أن تعمـل كـل جهـة منـهما فـي مناطقها. وقد خابت آمال "يعري"، حينما تلقى هـذا النبـأ.

بيد أن البريطانيين لم يتخلوا عن خدماتـه، وطلبـوا منـه أن يعمـل علـى تجنيـد الأسـرى الألمـان، أو بـالمعنى الأصـح أعضـاء المعارضـة الإشـتراكية النمسـاوية السابقين، الموجودين في معتقلات الأسرى بالقرب من رومـا. وكـانت النيـة تتجـه نحـو إنزالهم بالمظلات في الأراضي النمساوية، كي يعملـوا كعمـلاء بريطـانيين، فـي خطـوط الجبهة الألمانية الخلفيـة.

وقد أحرز "يعري" نجاحا كبـيرا فـي العمـل الـذي أوكـل إليـه، للدرجـة التـي جعلت قائده البريطاني أن يرسل رسالة شـكر إلـى الوكالـة اليهوديـة يثنـي فيـها عليـه كمنظم جواسيس، ومعد معلومات وفريـق شـهادات.

لقد تعلم"يعري" كيفية تجنيد العمـلاء وتزييـف الأوراق، خـلال تدريبـه للإنـزال وذلك من أجل إعداد الأوراق التي تنجيه من أيـدي الألمـان، إذا مـا ألقـوا القبـض عليـه، ويعد الأوراق المناسبة لذلـك.

ونظرا لأنه لم يكـن لـدى البريطـانيين الوسـائل الخاصـة بذلـك، لجـأوا إلـى الأميركيين ومخابراتهم التي كانت تعمل آنذاك في إيطاليا، لتنفيـذ مـهام مماثلـة، وقـد كـان لدى الأميركيين وسائل ومعدات حديثة جـدا فـي هـذا المجـال وعلـى وجـه الخصـوص لتزييف المستندات، من جميع الأنـــواع.

وفي إطـار التعـاون قـام"يعـري" بزيـارة معـامل الأمـيركيين، وتحـدث مـع المحترفين الأميركيين وأعد الوثائق الخاصة بـه بالتعـاون معـهم.

وحال عودته إلـى إسـرائيل، قـدم "يعـري" تقريـرا لمؤسسـة الـهجرة الثانيـة، وللوكالة اليهودية حول جميع الأعمال التـي قـام بـها إبـان الحـرب، ثـم خلـع ملابسـه العسكرية وعاد إلى أسـرته.

وبعد وقت قصير، تلقى أمرا من قائد اللـواء للحضـور إلـى مقـهى فـي شـارع جابوتنسكي في تل أبيب. وهناك، توجه إليه شاب لـم يسـبق أن تعـرف عليـه مـن قبـل، وسأله عن طبيعة عمله في الجيش البريطاني. وكـان هـذا الشـاب هـو "رحبعـام عمـير"، وهو أيضا مظلي سابق في وحدة بريطانية أخرى، ثم جـاء إسـرائيل عمـير، وأوضـح لـه أن مسئولي الهجناه قرأوا باهتمام كبـير جـدا تقـاريره، وأنـهم شـديدو الإهتمـام بإنشـاء شعبة مماثلة للتزوير. وقد استجاب"يعـري" للطلـب.

وصعد الاثنان إلى الطـابق الثـاني فـوق المقـهى، حيـث عرفـه هنـاك علـى نظرائه في المستقبل: موشيه بار ايلان، ويوسـيف كريـب، وشـموئيل جنـيزي وغـيرهم. ثم أعطي مكتبا في غرفة خلفية، وطلـب منـه أن يبـدأ العمـل. ولـم يـدرك عمـير فـي البداية، طبيعة المكتب الذي يعمل فيه، ثم علم، فيما بعـد، أنـه يعمـل فـي مكتـب"هشـاي" القطري. وعندما سأل عن طبيعة الوسـائل الموضوعـة تحـت إمرتـه؟ قيـل لـه أنـه لا توجد أي وسائل، وعليه تدبير الأمر بنفسه. وهكذا بدأت الشـعبة الفنيـة العمـل.

وفي البداية، اصطدم "يعري" بالعديد من الصعوبـات، وبعـد عـدة حـالات فشـل، قرر إسرائيل عمير، عقد لقاء بين"يعري" وأفرايم ديكل رئيس "هشـاي" فـي تـل أبيـب.

وقد عرض"يعري" خلال اللقاء، المشاكل التـــي يواجهـــها، فوعـــده ديكـــل بـــالعمل على حلها. وفي أعقاب اللقـــاء، تـــم وضـــع أفضـــل الأشـــخاص العـــاملين فـــي مجـــالات تخصص قريبة من عمل"يعري" تحت إمـــرة "يعـــري"، والـــذي بـــدا رويـــدا رويـــدا يشـــكل منهم طاقما فنيا. وقد شارك في هذا الطاقم، الفنـــي بـــاروخ ليفيـــن، وهـــو صـــاحب محـــل تصوير فوتوريكس، وشلومو كمينتسكي وكلمـــون أصحـــاب محـــل زنكوجـــراف المتحـــدة، والمطابع يفت ويهلوم، إضافة إلى مســـتوردي ورق ممـــن تعـــهدوا بـــالعثور علـــى الـــورق الملائم للأوراق المطلوب تزييفـــها.

ويعتبر معمل عائلة فلرشتاين، القائم في شارع هرتســـل، أحـــد أهـــم بـــؤر العمـــل والنشاطات، حيث اعتبر أبناء العائلة خبراء فـــي صناعـــة الأختـــام الحديديـــة والمطاطيـــة. وقد استجاب أبنـــاء العائلـــة لطلـــب"يعـــري"، وصنعـــوا أختامـــا بنفـــس المعـــايير زودهـــم بها"يعري". أضف إلى ذلك، أن "يعري" أقام علاقات وطيدة مـــع موظفيـــن يـــهود، يعملـــون في المكاتب الحكومية المختلفة، فقاموا بإخراج اســـتمارات ونمـــاذج غـــير معبـــأة وأعطوهـــا له، كي يتمكن من إعداد الأوراق المزيفة التي يريدها، ويصنـــع نســـخا منـــها، كمـــا قدمـــوا إليه نماذج عن الأختام والتواقيع. وقد تخصص "يعـــري" فـــي تزويـــر التواقيـــع الشـــخصية لضباط اللواء البريطـــاني.

وهكذا، بدأت الشـــعبة الفنيـــة فـــي صـــرف بطاقـــات هويـــة مـــزورة لأعضـــاء الهجناه، وحصل الأعضاء والزعماء المطلوبـــون لـــدى ســـلطات الانتـــداب، علـــى هويـــات جديدة، كما حصل المـــهاجرون غـــير الشـــرعيين علـــى هويـــات مـــزورة كمـــا صرفـــت للبعض رخص سياقة. وقد وسعت الشعبة عمليـــات الـــتزوير إبـــان فـــترة التمـــرد العبريـــة على سلطات الانتـــداب، وعندمـــا اتضـــح أن لـــدى الشـــرطة قوائـــم تضـــم أســـماء آلاف الأعضاء من منظمة الهجناه، والبلمـــاح.

وهكذا، وحتى نهاية عام ١٩٤٥ تبلورت "هشاي" في صورة تنظيمية جيـــدة، وبقيـــت حتى قيام الدولة.

الفصل السادس

حركة التمرد العبري

تشرين الأول ١٩٤٥ حتى آذار ١٩٤٦

عادت الحكومة البريطانية للتــأكيد فــي شــتاء ١٩٤٥، علــى سياســتها المعاديــة لليهود في أرض إسرائيل. فقـــد قــامت لجنــة وزاريــة بريطانيــة بدارســة الموضـــوع، وسماع العديد من الشهادات، ثـــم أوصـــت بمواصلـــة العمـــل بسياســة"الكتـــاب الأبيـــض" الصادر عام ١٩٣٩، واتخذت الحكومة قرارا بذلك، بضغط مـــن وزيـــر الخارجيـــة بيفـــن.

أصيب اليهود بذهول شديد جراء ذلك في شـــتى أنحـــاء العـــالم، فـــهاهي بريطانيـــا العظمى، والتي كانت بمثابة القاعدة المتينة، على صعيد تدمـــير النازيـــة، قـــد بـــدأت تتخلـــى عن المعايير الأخلاقية في السياسة الدولية، وتنحو نحو تبني سياســـــة نفعيـــة قبيحـــة.

كان القرار البريطاني بالنسبة لحركة النهضـــــة اليهوديـــة الوطنيـــة، بمثابـــة قـــرار لا أخلاقي وإجرامي، وخصوصا على أرضية الكارثة، التـــي حلـــت باليـــهود إبـــان الحـــرب العالمية الثانية في أوروبا. وبدا القرار أكثر خطورة،علـــى أرضيـــة الوعـــود التـــي قطعتـــها على نفسها حكومة العمال، تلك الوعود التي تم إدراجها في برنــــامج عملـــها، وهـــي تدعـــو إلى إلغاء سياسة"الكتـــاب الأبيـــض"، والســـماح بالـــهجرة اليهوديـــة غـــير المحـــدودة، بـــل وتشجيع الترانسفير العربي من البــــلاد.

لقد اتضح أن البريطانيين تجاهلوا العـــداء تجاهـــهم، فـــي أنحـــاء العـــالم العربـــي، إبان الحرب العالميـــة الثانيـــة مـــن جـــانب، والتعـــاطف الـــذي أبـــداه العـــرب تجـــاه دول المحور، مـــن الجـــانب الآخـــر. لقـــد اعتقـــد البريطـــانيون أن مصالحـــهم لـــن تضمـــن الا بالتعاون والتفاهم مع العـــرب فـــي الشـــرق الأوســـط والذيـــن كـــانوا العنصـــر المســـيطر والمهيمن في العالم العربي، حتى لو كان ذلـــك بثمـــن بـــروز مشـــاكل بينـــهم وبيـــن يـــهود

الولايات المتحدة. وقد أكد هذه الحقيقة، الجنرال سفيرس، ممثل وزارة الدفاع البريطانية في سورية ولبنان، خلال الشهادة التي أدلى بها أمام اللجنة الوزارية الخاصة بتحديد السياسات البريطانية في (أرض إسرائيل)، حيث قال: أعتقد، أنه يجب علينا، على الصعيد العملي، أن نختار أسوأ الشرين، وأن نعمل على معالجة الهجناه، وباقي المنظمات اليهودية غير المشروعة، بدلا من أن نثير عاصفة في أوساط شعوب الشرق الأوسط، عبر تأييدنا ما يعتبرونه بمثابة اضطهاد وقمع للأغلبية العربية في (أرض إسرائيل).

وكما يبدو، فإن التقديرات الكولونيالية الإمبريالية، كانت لا تزال تفعل فعلها في توجيه حكومة العمال، رغم ضعف هذه التقديرات. ونظرا لأن البريطانيين اتفقوا مع المصريين، خلال محادثاتهما، بإخلاء غالبية قواتهم من الأراضي المصرية، فقد كانوا بحاجة إلى قواعد عسكرية بديلة في المنظمة.

وإضافة إلى الأهمية التي أولاها البريطانيون للعلاقة مع الدول العربية والإسلامية، فقد كان هناك سبب آخر للعلاقات البريطانية العدائية لليهود، فقد أدرك البريطانيون أنهم سيحتاجون إلى جهود عسكرية، في قمع التمرد العربي، أكبر بكثير من الجهد الذي سيحتاجونه في قمع التمرد في الاستيطان العبري. وكما يبدو فإنهم كانوا يعتبرون التمرد العربي خلال الفترة ٣٦-١٩٣٩ بمثابة نموذج مصغر لما يمكن أن يحدث في المستقبل، في حالة نشوب تمرد عربي جديد.

أضف إلى ذلك، أن البريطانيين اعتقدوا أنهم سيحتاجون، في حالة نشوب تمرد عربي، إلى تخصيص قوات كبيرة لقمعه، وقوات كبيرة للدفاع عن الاستيطان العبري.

وقد قام هذا الافتراض أيضا على أساس عبر ثورة ٣٦-١٩٣٩، خصوصا، وأن تلك الحقبة من الزمن بدأت تشهد بوادر تضامن في الدول العربية المجاورة مع

الفلسطينيين، واعتقد البريطانيون، بغالبيتهم، أن الاستيطان العبري أضعف من أن يتمكن من الدفاع عن نفسه أمام العرب.

إن أحد الأسباب التي حدت بالبريطانيين للاعتقاد بضعف الاستيطان العبري، هو كون الهجناه منظمة سرية، لم يكن حجمها وقوتها معروفين سوى لقلة قليلة ولم يكن البريطانيون يعتدون بقوة الهجناه أو الاتسل أو "ليحي". ولم يكن الأمر يقتصر على البريطانيين، بل إن بن جوريون نفسه، أعرب عن شكه في قدرة الهجناه عشية نشوب حرب ١٩٤٨، أي بعد سنتين من ذلك الحين، عندما اطلع على طبيعة القوات التي تواجه الهجناه.

وهكذا، وفي نهاية عام ١٩٤٥، اعتبر البريطانيون الهجناه بمثابة مصدر إزعاج فقط، وأن إضعاف الوكالة اليهودية، سيؤدي إلى إضعاف الهجناه، والاستيطان اليهودي إلى حد كبير، وشرعوا بالإعداد لإنجاز هذه الأهداف. ولم يكن يخطر لبيغن وزملائه -بمن فيهم شركاؤهم في وزارة الخارجية الأميركية- أن بريطانيا ستفشل في سياستها.

في الثامن والعشرين من آب ١٩٤٥، أعلمت بريطانيا حاييم وايزمن، رئيس الوكالة اليهودية، بسياستها القديمة الجديدة. هذا في الوقت الذي بدأت التقديرات في الاستيطان اليهودي، تشير إلى أنه لم يعد هناك أمام الاستيطان، أي خيارات أخرى، لأن مئات آلاف اللاجئين اليهود في المعسكرات في أوروبا سيضيعون، إذا لم يصلوا إلى إسرائيل. وقد أدى هذا الاعتقاد، إلى وضع جميع الأمور الأخرى جانبا. في حين اعتقد بعض الزعماء اليهود، أن بالإمكان أن تثبت الهجناه للبريطانيين أن"مصدر الإزعاج" اليهودي، هو أقوى بكثير مما يعتقدون.

وفي السابع والعشرين من أيلول ١٩٤٥ تمخض مؤتمر الطوارئ الذي عقده الاستيطان اليهودي، عن اتخاذ قرار ينص على أن إغلاق أبواب الهجرة إلى (أرض إسرائيل)، يعني إصدار حكم الإعدام على اليهود في المعسكرات الأوروبية.

وفي الخامس من تشرين الأول، استأنف صوت إسرائيل- التابع للهجناه- بثه الذي انقطع عندما بدأت الحرب في أوروبا. وفي نفس اليوم، نشب شجار عنيف بين أعضاء كيبوتس كفر جلعادي، وبين الجنود البريطانيين الذين حاولوا دخول الكيبوتس وتفتيشه، بحثا عن مهاجرين غير شرعيين، وقد أدى الشجار إلى إصابة عشرة أعضاء من الكيبوتس بجراح. وفي العاشر من تشرين الأول قامت منظمة "البلماح" بعملية جريئة، اقتحمت خلالها قوة منها معسكر الاعتقال في عتليت، وأطلقت سراح مائتين وثمانين مهاجرا غير مشروع، ووزعتهم في كيبوتسات مختلفة في البلاد، وقد قام الجيش البريطاني، بفرض حظر التجول والحصار على كيبوتسي "يجور وبيت أورن". بيد أنه لم يعثر على أي مهاجر من الذين تم إطلاق سراحهم.

وفي الأول من تشرين الثاني، قامت الهجناه والإتسل وليحي بتفجير ١٥٣ مقطعا من السكة الحديدية، لتأكيد قدرة الاستيطان اليهودي على إيقاع الأضرار.

ومن الجدير بالذكر، أن حوارا جرى بين الهجناه والإتسل وليحي، قبل شهر من ذلك، توصلت خلاله المنظمات اليهودية الثلاث، إلى اتفاق حول التمرد اليهودي. لقد كان هذا الاتفاق بمثابة تجسيد فعلي لنظرية العسكري الألماني المعروف (كلاوزفيتش) القائلة: أن الحرب ليست عملا منفردا، بل هي الذراع العملي للعمل السياسي.

لقد وضعت المنظمات الثلاث نصب أعينها هدفا للتمرد العربي، يتمثل في حث البريطانيين على فتح أبواب الهجرة أمام المهاجرين اليهود، إلى (أرض إسرائيل).وإقامة دولة يهودية حينما يحين وقت ذلك، عبر الضغط على البريطانيين كي يغيروا سياستهم.

وفي الثالث عشر من تشرين الثاني، أعلـــن بيفـــن رســـميا أمـــام مجلـــس النـــواب عن سياسة حكومته في فلسطين، ولم يتطرق أبدا إلـــى مصطلـــح "الوطـــن القومـــي"، وفـــي نفس الوقت، أعلن عن تشكيل لجنة تحقيق إنجليزيـــة -أميركيـــة مشـــتركة.

وفي الرابع والخامس عشر من تشرين الثاني، قتـــل فـــي تـــل أبيـــب ســـتة يـــهود، وأصيب خمسة وخمسون شخصا بجراح، خـــلال الصدامـــات التـــي وقعـــت مـــع الجيـــش، مما حدا بالحكومة، للإعلان عن قانون طوارئ، والذي نـــص علـــى إعـــدام كـــل مـــن يتـــم ضبطه وبحوزته ســـلاح.

مساهمة هشـــاي:

جاءت أول مساهمات (هشاي) قبل بدء حركـــة التمـــرد العبريـــة، حيـــث حـــذرت من أن هناك نية لدى سلطات الانتـــداب البريطـــاني، لاســـتخدام القبضـــة الحديديـــة، ضـــد الهجناه والوكالة اليهودية. وأن القوات الإنتدابيـــة، تعـــتزم اللجـــوء أيضـــا، إلـــى الســـيطرة على الاستيطان العبري بـــالقوة.

وفي أيلول ١٩٤٥، تم إحضار الفرقـــة السادســـة المحمولـــة جـــوا مـــن بريطانيـــا، تلك الفرقة التي تعتبر أفضـــل فـــرق الجيـــش البريطـــاني ورغـــم أن البريطـــانيين زعمـــوا، أنهم أحضروا الفرقة بقصد التدريبات، بيد أنه سرعان مـــا تحولـــت إلـــى العمـــود الفقـــاري في النشاطات التي قامت بها القوات البريطانيـــة ضـــد الاســـتيطان العـــبري. ومـــن الجديـــر بالذكر، أن الفرقة تلقت، وهي في طريقها إلـــى إســـرائيل، توجيـــهات شـــديدة ضـــد اليـــهود في البلاد، كما تم نقل الثلاثمائة جندي يهودي العاملين فيـــها إلـــى مصـــر.

وقد قدمـــت (هشـــاي) المعلومـــات اللازمـــة للـــهجناه والإتســـل وليحـــي، لتنفيـــذ العمليات الضرورية لمواجهة هذا الوضع، كما شاركت فـــي تنفيـــذ بعـــض هـــذه العمليـــات، معتبرة نفسها، جهة مقاتلـــة.

ويقول إسرائيل عمير: " عندمـــا كـــانوا يحتـــاجون إلـــى تدمـــير مبنـــى مـــا، إبـــان حركة التمرد العبري كنا نسأل أنفسنا من الذي بنـــى هـــذه المبـــاني؟"

"لقد قامت حركة (سوليل بونيـــه) العبريـــة ببنائـــها. لـــذا توجـــهنا إليـــها وحصلنـــا على الخرائط اللازمة. لقد كان بمقدورنا المشاركة، بصورة فعالــــة، فـــي التنفيـــذ، لكننـــا لـــم نر داعيا لذلك، طالما هناك جهات تقـــوم بـــالتنفيذ".

وفي هذه الفترة، تحول البريطـــانيون إلـــى هـــدف اســـتخباري يحظـــى بالأولويـــة، وكانت هيئة "هشاي" تطلب معلومات من جميع الأنــــواع، بـــدءا مـــن المعلومـــات العمليـــة، وحتى المعلومات الخاصة ببنـــاء ملفـــات شـــخصية للموظفيـــن الحكومييـــن، الذيـــن يمكـــن الاستفادة منهم بطريقة أو بأخرى. وكـــانت المعلومـــات تتدفـــق مـــن الفـــروع إلـــى قيـــادة "هشـــاي".

ونورد فيمايلي نماذج لتلـــك المعلومـــات:-

- ١٤-١٢-١٩٤٥: قال أحد العملاء المدعو بالاســـم الحركـــي(تســـدوق): قـــام ســـترلينج أحد مسئولي المخابرات البريطانية بزيارة القدس قبـــل أســـبوع. وحـــل فـــي فنـــدق الملـــك داود. ويقال، أن هـــذا الرجـــل، هـــو أحـــد الشـــخصيات الهامـــة فـــي العمـــل مـــن وراء الكواليس، ومن المتوقع حدوث شيء فـــي كـــل مكـــان يصـــل إليـــه، وهـــو مـــن مقربـــي تشرشـــل.
- ٢٩-١١-١٩٤٥: باترسون-مصدر معلومات أمـــيركي- هـــو مســـيحي أرمنـــي، خـــدم في شرطة الإنتداب، والتحـــق بـــالجيش الأمـــيركي، وصـــاحب القـــوات الأميركيـــة علـــى الحدود السورية التركية، وهو يعمل حاليا فـــي شـــعبة مراقبـــة الصناعـــات الثقيلـــة، وهـــو خاضع للميجور وولش الملحـــق العســـكري الأمـــيركي. وقـــد أكـــد باترســـون أن جميـــع المعلومات التي يقدمها إلينا، يسمعها من الميجـــور نفســـه.
- ٢٣-١٢-١٩٤٥: فـــي تقريـــر حـــول الشـــرطة البريطانيـــة، المتحركـــة، ويتضمـــن معلومات وفيرة حول فصائل الشرطة المتحركة الخاصـــة الأربعـــة، والتـــي تـــم تشـــكيلها، من أجل مواجهة حركة التمرد العبريـــة.

• ٢٣-٤-١٩٤٦: تسلمت المباحث اللوائية تقريرا من المخابرات البريطانية يحمل تفاصيل حول أماكن لقاء أعضاء الهجناه والبلماح في القدس.

لقد ركز جهاز المخابرات (هشاي) بشكل خاص، على المعلومات المتعلقة بالتفتيش عن السلاح، تلك العمليات التي كانت بمثابة نقطة احتكاك دائمة، بين الجيش والمدنيين. ولهذا السبب، كرست"هشاي" جهودا كبيرة لاكتشاف نوايا البريطانيين مسبقا. وفي نفس الوقت، قامت هشاي بملاحقة المتعاونين مع الشرطة البريطانية والوشاة.

ونورد فيمايلي تقريرا حول هذه الملاحظات:

ايسار -فار من الجيش البولندي- والذي سبق أن اشتغل في رمات كهوبيش، وعمل في أماكن عديدة أخرى باسم موشيه جولدبيرج في حين أن اسمه الحقيقي هو :تيديئوش كوزلوبسكي مشبوه، بأنه أحد عملاء المباحث البريطانية في رمات هكوبيش.

ولا ندري ما الذي آل إليه مصير ايسار المذكور، بيد أننا ندري ما الذي آل إليه مصير بروس، الذي عذب يهودا في إطار التفتيش عن سلاح في (بيريه).

لقد احتلت القوات البريطانية، في آذار ١٩٤٧"بيريه" وطردت سكانها منها. بيد أن الهجناه خططت لعملية (جيدم) الرامية لاعادة ترميم المستوطنة اليهودية. وكلفت "هشاي" بجمع معلومات حول المزاج السائد في أوساط العرب القاطنين حول المستوطنة المذكورة، وقد تم زرع أحد رجال الهجناه في الشرطة البريطانية في صفد.

كانت "هشاي" تفتش عن معلومات، عن رجال الشرطة البريطانيين، الذين أرغموا سكان "بيريه" على (التبصيم) وكسروا لهم أصابعهم وعذبوهم. وقد قادت المعلومات، إلى قائد رجال الشرطة الملازم بروس، وقد أجرت الهجناه له محاكمة وحكمت عليه بالإعدام، وتم تكليف خلية من خلايا مستعربي "البلماح" بتنفيذ الحكم، في

حين قام مخبرو"هشاي" بتقديم المعلومـــات اللازمـــة حـــول تحركـــات الضـــابط المذكـــور، وقد تم الوصول إليه في القـــدس وتصفيتـــه.

وفي صيف ١٩٤٦، نجح فرع"هشاي" فـــي حيفـــا، بـــاختراق فصيـــل المخـــابرات في الفرقة البريطانية، مما أتاح له فرصة الحصـــول علـــى الإجمـــال الاســـتخباري للفصيـــل بصورة متواصلـــة.

وتشير المعلومات التي تم حفظها في ارشـــيف "هشـــاي" إلـــى أن التمـــرد العـــبري أثار الكثير من المشاكل للبريطانيين، وبدت فـــي ربيـــع عـــام ١٩٤٦ العديـــد مـــن الدلائـــل، التي تشير إلـــى أن البريطـــانيين يعـــتزمون توجيـــه ضربـــة ســـاحقة للـــهجناه، والوكالـــة اليهودية، وقد تمكن فرع هشاي في تل أبيب، من الحصـــول علـــى قائمـــة بأســـماء أعضـــاء "هشاي"،والشخصيات اليهودية التي تعتزم المباحث اعتقالها، وقـــد كتـــب إلـــى جـــوار اســـم كل واحد منهم عنوانه وطبيعة عملـــه، وقـــد تـــم تحذيـــر جميـــع الأشـــخاص الذيـــن وردت أسماؤهم في القائمـــة.

ويقول "أربيه الياب"، ضـــابط"هشـــاي" لقضـــاء شـــمال الضفـــة الغربيـــة: تركـــز عملي حول التجسس على تحركات الجيـــش والشـــرطة البريطانيـــة، وكـــان النضـــال حـــول الهجرة الكبيرة، قد بدأ آنذاك وقـــام البريطـــانيون بتركـــيز قســـم كبـــير مـــن قواتـــهم علـــى منحدرات الكرمل وشـــمال الضفـــة وعتليـــت وقـــرب زخـــرون يعقـــوب، وبرديـــس حنـــا والخضيرة. وقد حاولنا إدخال مخـــبرين لنـــا إلـــى المعســـكرات لإعلامنـــا بوضـــع القـــوات والتحركـــات العســـكرية. كمـــا قمنـــا بمراقبـــة الشـــرطة البريطانيـــة فـــي شـــمال الضفـــة ومراكزها الساحلية، ولا زلـــت أذكـــر، كيـــف حصلنـــا علـــى شـــيفرة برقيـــات الشـــرطة البريطانيـــة.

ويقول "الياب"، أنه صادق (ســـيرجنت) بريطانيـــا فـــي شـــرطة قلقيليـــة، وشـــرب معه حتى الثمالة، بيد أنه كان يخرج من الخمارة بين الفينـــة والأخـــرى ويتقيـــأ مـــا شـــربه كي لا يسكر ثم اتفق مع "السيرجنت" علـــى أن يعطيـــه مفـــاتيح الغرفـــة التـــي يوجـــد فيـــها

مفتاح شيفرة البرقيات، مقابل مبلغ معين، وقد ذهب معه "الياب" حتى مركز الشرطة، وهناك هدد السيرجنت بقتله، وبعد محاولات إقناع واسعة، أعطاه ورقة الشيفرة. وعاد الياب وهو في منتهى الإرهاق إلى مائير نوفيك، ضابط "هشاي" في الجليل، وسلمه الورقة.

كرست "هشاي" جهدا خاصا، في جمع المعلومات، قبل تنفيذ العمليات العسكرية ضد مراكز الشرطة ومعسكرات الجيش البريطاني، كما كانت المخططات الهندسية، تنسخ من شركة سوليك بونيه التي بنت غالبية مراكز الشرطة والمعسكرات. أما التفاصيل حول الطاقة البشرية والأسلحة وأساليب إدارة العمل والحراسة للأهداف، فقد تم الحصول عليها عبر ضباط ارتباط في الوزارات الحكومية، فوحدات"البلماح"-التي فجرت محطات شرطة الساحل في (سدني وعيلي في جبعات أولجه) في الخامس والعشرين من تشرين الثاني، وكذلك أجهزة الرادار في جبل الكرمل، في الحادي والعشرين من شباط ١٩٤٦، وهاجمت في الثاني والعشرين من شباط مراكز الشرطة السيارة البريطانية- قامت بجميع عملياتها بناء على المعلومات المفصلة التي حصلت عليها(هشاي). أضف إلى ذلك، أنه تم تحديد زمن العمليات وأساليب التنفيذ وفقا لمعطيات"هشاي" بغية تقليص الخسائر البشرية إلى أدنى حد ممكن.

وقد استعانت منظمتا الإتسل وليحي أيضا، بالمعلومات التي وفرتها "هشاي"، وسلمها إليهم ضباط الاتصال في الهجناه، في تنفيذ عملياتهم الهجومية، على مراكز الشرطة في القدس ويافا في السابع والعشرين من كانون الأول ١٩٤٥، وفي الخامس والعشرين من شباط ١٩٤٦، والمطارات العسكرية.

لقد وقعت جميع تلك العمليات، بغية فك الحصار الذي يفرضه البريطانيون على سواحل فلسطين، ويحولون دون دخول المهاجرين. وبفضل هذه العمليات، تمكن عدد من سفن المهاجرين، المحملة بأعداد أكثر بكثير من حمولتها من التسلل إلى

البلاد، حيث تم نقلهم بواسطة مجموعات من الهجناه إلى المستوطنات، وتزويدهم ببطاقات هوية زورتها هشاي لهم. ورغم ذلك، فإن الغالبية العظمى من السفن التي حاولت الاقتراب من الساحل، أوقفها البريطانيون الذين استعانوا بمراقبي سواحل، وأجهزة رادار، وعملاء كانوا يعملون في الموانئ وزوارق السواحل البريطانية.

وفي كانون الثاني ١٩٤٦، اتضح أن الهجوم الذي شن على الرادار في (جبعات أولجة)، أحدث أضرارا طفيفة لم تؤد إلى تخريبه. وفي العشرين من نفس الشهر، تم تفجير المحطة للمرة الثانية. وقد نفذت العملية (هشاي) بمبادرة فرع الجليل الأوسط.

كانت شعبة الأشغال العامة، تعكف آنذاك، على ترميم الأضرار التي ألحقتها محاولة التدمير الأولى للرادار الساحلي، وقد قامت سرية"البلماح" في "جبعات حاييم" بملء برميل بالبارود. وتم توقيته، بيد أن الخبير الذي أشرف على توقيته، وقته لأربع ساعات بدلا من ثماني ساعات، وكانت إدارة العملية- قد خططت لتوقيت العبوة لثماني ساعات، كي ينفجر في أعقاب خروج الموظفين البريطانيين من الموقع كي لا يصابوا بأذى، بيد أن الخطأ الذي حدث، أدى إلى انفجار البرميل المليء بالنفط قبل خروج البريطانيين وإصابة بعضهم بجروح.

وكي تخفي"هشاي" آثار شركة سوليل بونيه في القضية، تم اختطاف سائق سيارة الجيب العاملة في مصلحة الأشغال العامة، وحل محله أحد أعضاء"هشاي" الذي قام بنقل البارود إلى المحطة، وهناك أنزلها العمال العرب، بدعوى أنها ملأى بالجير الذي طلبته المحطة، ووضعوها بجوار غرفة الرادار حتى انفجرت.

وفي بعض الحالات، وقعت في أيدي "هشاي" مصادفة، معلومات استخبارية. وفي حالات أخرى، تمكن أحد نشطاء"هشاي" من الحصول على المعلومة بفضل ذكائه وسرعة بديهيته، وعدم حرص الطرف الآخر.

ففي إحدى المرات، عاد ضابط "هشاي" بسيارته من إحدى اللقاءات، وعلى الطريق سارت أمامه شاحنة عسكرية بريطانية يجلس فيها ضابط بريطاني إلى جوار السائق ويوجد فيها حاجيات شخصية، فقرر السير خلفها، لأن البريطانيين كانوا يحررون مخالفة لكل سيارة تسبق السيارات العسكرية، وفجأة سقطت حقيبة صغيرة من الشاحنة، دون أن يشعر سائقها، فالتقطها ضابط هشاي، وعندما فتحها في البيت عثر فيها على الأوراق الشخصية للضابط البريطاني، إضافة إلى رسائل غرامية من صديقته. فقام بتسليمها إلى عيزرا دنين، والذي قام بدوره بتكليف أحد مخبريه العرب، بمراقبة هذا الضابط الذي كان قد نقل لتوه إلى شرطة طولكرم.

وبعد فترة، ألمح المخبر العربي للضابط البريطاني، أن أوراقه الشخصية موجودة لدى اليهود، وأنهم يشترطون إعادتها له، بتقديم معلومات إليهم حول الشرطة أو الجيش. وقد وافق على ذلك، وبقي طيلة سنة كاملة يزود"هشاي" بالمعلومات حتى أعيدت إليه كامل أوراقه واحدة إثر الأخرى.

توقعت إدارة الاستيطان اليهودي، أن تعمد السلطات البريطانية خلال مرحلة الصدام، إلى عزل الاستيطان عن مصادر المعلومات الخاصة به، لذا حرصت "هشاي" على تحسين قدرتها التنصتية على محطات البث الأجنبية.

وقد جاءت المعونة لـ"هشاي" من مكان لم تكن تتوقعه، فقد سكن شخص يهودي يدعى"نتان جوردوس" في أحد الطوابق الأرضية بحي-٧ في تل أبيب، وهو شخص مشلول القدمين، ورغم ذلك، كان صحفيا ديناميكيا جدا، ويجيد العديد من اللغات، وله صلات مع العديد من وكالات التلغراف في الخارج. واشترى تجهيزات لالتقاط بث الراديو، من جميع أنحاء العالم. وكان يدير فرع وكالة الأنباء الفرنسية في تل أبيب، وعندما توفي مدير المحطة فرانك عين مديرا خلفا له، وقد كان الاثنان قريبين من "هشاي"، وزوداها في الكثير من الأحيان، بمعلومات غاية في الأهمية من الخارج، والتي لم تكن الرقابة البريطانية تسمح بنشرها في البلاد.

وإزاء التطورات السياسية في البلاد والخـــارج، والخـوف مـــن اســـتئناف الـــنزاع مع العرب، والأمل في أن يحقق التمرد العــــبري النتـــائج المرجـــوة، ويـــؤدي إلـــى تغيـــير السياسة البريطانية، تم اتخاذ قرار باستئناف العمل الاســـتخباري ضـــد العـــرب.

وعندما حدد الحاج أميـــن الحســـيني، عـــام ١٩٤٥، مقـــره فـــي القـــاهرة، بعثـــت الوكالة اليهودية مجموعة مـــــن الأشـــخاص المدربيـــن علـــى الأعمـــال الاســـتخبارية إلـــى القاهرة، في محاولة للحصـــول علـــى معلومـــات اســـتخبارية بشـــان التطـــورات المرتقبـــة، ومن بين أعضاء هذه المجموعة، ليفـــي ابراهـــامي، وموشـــيه ازنطـــاط، ويعقـــوب عينـــي، وبعض رجال"هشاي" الذين أعيروا للوكالة لـــــهذا الغـــرض.

وفي تلك الآونـــــة مـــارس الســـفير البريطـــاني، اللـــورد كيلـــرن ضغوطـــا علـــى وزارة الخارجية البريطانية، لإبعاد أعضاء الطـــــاقم اليـــهودي، فـــي أســـرع وقـــت ممكـــن، كما تم تعزيز شرطة فلسطين، عن طريق الفـــرع المقدســـي للمخـــابرات البريطانيـــة والـــذي كان يقيم مقره في القاهرة برئاسة الليفتينـــــانت كولونيـــل موريـــس اولدفيلـــد، الـــذي اصبـــح فيما بعد، رئيسا للمخابرات البريطانية، وأصبح مؤيـــــدا للحركـــة الصهيونيـــة.

كما أصدرت قيادة الهجناه أمرا جديدا، بشأن إعـــداد ملفـــات للقـــرى العربيـــة.

ويقول يهوشع بلمـــــون بـــهذا الصـــدد: كلفـــت فـــي نهايـــة عـــام ١٩٤٥، بتجنيـــد وتنظيم الجهات العربية، التـــــي يوجـــد لـــها مصلحـــة شـــخصية أو عائليـــة فـــي النضـــال ومقاومة تأثير عائلة، الحسيني، التي بدأت تعزز مواقعـــــها فـــي البـــلاد. وقـــد نجحـــت فـــي إيجاد اتصال مع قيادة (النجادة)- حركة الشبيبة العربيـــــة-وإثـــارة معارضـــة شـــديدة، ضـــد سيطرة عائلة الحسيني، وبالتالي إحباط عدة محاولات للصـــدام بيـــن اليـــهود والعـــرب.

لقد أثبت الاتصال الذي تمت إقامتـــه مـــع قـــائد النجـــادة نمـــر الـــهواري فعاليتـــه وجدواه. لقد جاءت هذه النشـــاطات التـــي قـــامت بـــها الوكالـــة اليهوديـــة، فـــي القـــاهرة وفلسطين، على أرضية عودة الحاج أمين الحسيني إلـــى مصـــر، بعـــد نجاحـــه فـــي الفـــرار

من فرنسا، حيث كان معتقــــلا، وبانتظـــار تســليمه إلـــى يوغوســلافيا للمحاكمـــة كمجـــرم حـــرب.

ونظرا لأن فراره من المعتقل، أثار غضبا عارمــــا فـــي بريطانيـــا، فقــد اســتقبل الحاج أمين في القاهرة استقبال الملوك، وعاد لترؤس الحركـــــة الفلســطينية مجـــددا.

وفي شباط ١٩٤٦، أعادت السلطات البريطانية، جمـــــال الحســيني، المقــرب مـــن الحاج أمين إلى فلسطين، وأصبح أحد قادة اللجنـــة العربيـــة العليـــا.

أسست منظمـــة النجـــادة كمنظمـــة نصـــف عســكرية فـــي كـــانون الأول ١٩٤٥، وأقامت مركزها في يافا. وحينما عادت عائلة الحسيني إلـــى مراكـــز التـــأثير، أعـــادت إلـــى العمل منظمة (الفتوة)، وهي منظمة منافسة للنجـــــادة. وبـــدأت أعمـــال النزاعـــات الداخليـــة الفلسطينية تتجدد، واتسمت هذه النزاعات بالإرهاب بيـــن عائلـــة الحســيني ومعارضيـــها.

وقد انتهز البريطانيون هذه النزاعات، في محاولـــة لتعزيـــز تـــأثيرهم فـــي أوســـاط العرب، بل وحاولوا توجيه النزاعات في مســـارات مضـــادة لليـــهود.

إرتأت إدارة الاستيطان اليهودي، ضرورة للعمـــــل، وقـــد نجـــح يهوشـــع بلمـــون، وعيزرا دنين- اللذان كانا آنذاك يتدخـــــلان أكـــثر ممـــا ينبغـــي فـــي النشـــاطات السياســـية، تحت رعاية الشعبة السياسية للوكالة اليهوديـــــة- فـــي إحـــداث شـــرخ فـــي ســـياج الوحـــدة العربية، والمساس بعملية التقارب بيـــن المعارضـــة والحســيني. وعـــادت العصابـــات إلـــى العمل في البلاد، مما أدى إلـــى دهـــورة الوضـــع الأمنـــي تدريجيـــا، بدعـــم مـــن الجامعـــة العربية، التي عمـــل بعـــض أعضائـــها، كمصـــادر لـــتزويد الســـلاح للعصابـــات، وإتاحـــة الفرصة لها للتدرب عليـــه.

وقد عمد بلمون إلـــى اســـتغلال المعلومـــات التـــي وصلـــت إليـــه، مـــن أرشـــيف المفتي، إبان فترة تأييده لهتلر، وأثبت من خلالها، أن المفتـــي كـــان يدبـــر المكـــائد لزعمـــاء عرب آخرين، ونجح في هز ثقتهم بالمفتي، وأقـــام علاقـــات وصـــلات فـــي جنـــوب البـــلاد

وشمالها، وقد بقيت هـذه العلاقـات حتـى حـرب ١٩٤٨، وأتـاحت الفرصـة للاسـتيطان اليهودي، لإقامة اتصالات مع المستوطنات الموجـودة فـي النقـب.

ويقول بلمـون: أن "هشـاي" عمـل فـي تلـك الآونـة أيضـا ضـد (صنـدوق الأمة)العربي والذي تم تشكيله بـهدف الحيلولـة دون بيـع أراض لليـهود، والعمـل ضـد المتعاونين معـهم.

وفي منطقة يافا، التي كانت مركزا وطنيـا مـهما للعـرب فـي إسـرائيل، بذلـت "هشاي" جهودا كبيرة لجمع المعلومـات.

وفي مطلع عام ١٩٤٦ بـدت الحاجـة واضحـة إلـى وجـود رجـال مخـابرات أكفاء، لذا تم عقد الدورة الثانية لإعـداد ضبـاط مخـابرات فـي الخضـيرة، وقـد تـرأس الدورة زروبيل أربل، وشارك فيها ثلاثون متدربا، مـن جميـع أنحـاء البـلاد، واسـتغرقت ستة أسابيع وقد تم التركـيز علـى معرفـة العـرب، كمـا أدرجـت فيـها-ولأول مـرة- دراسات عامة حول الشرق الأوسـط، ودرس الطلبـة اللغـة العربيـة العاميـة والفصحـى، وتعرفوا على أسس الدين الإسلامي، والعـادات العربيـة.

وفي نيسان ١٩٤٦، أنهى إسرائيل عمير مهمته، وعيـن قـائدا للـواء القـدس مـن قبل الهجناه، وتم تعيين ديفيد شلتئيل بدلا منـه، رئيسـا لـ"هشـاي" ومنـذ ذلـك الحيـن، وحتى قيام الدولة أصبح فرع "هشاي" في القدس، أكـثر الفـروع نشـاطا وأهمـها،ويرجـع ذلك، إلى تصـاعد الـنزاع مـع البريطـانيين، وتواجـد غالبيـة المؤسسـات والممثليـات الدبلوماسية في القـدس.

واحتل مركز" هشاي" في صيـف ٤٦ المكانـة الثانيـة علـى صعيـد المعلومـات العسكرية والسياسـية، نظـرا لوجـود إدارة الجمـارك، والقطـارات والموانـئ، وغالبيـة القيادات العسكرية المهمـة.

واحتل مركز "هشاي" في تل أبيب، المكانة الثالثة، بسبب قربه من يافا التي كانت تعتبر بمثابة البؤرة الحية للنشاطات العربية الوطنية، إضافة إلى كونها مركزا للاستجمام والتسوق، مما جذب إليها الكثير من الأجانب.

الفصل السابع

حركة التمرد العبرية
من آذار حتى أيلول ١٩٤٦

إزاء الخلافات التي قامت بين بريطانيا والولايات المتحدة حول قضية "أرض إسرائيل"، تم اتخاذ قرار بتشكيل لجنة مشتركة لدراسة القضية. وقد نشب الخلاف بين الجانبين حول مطلب الرئيس الأميركي هاري ترومان، للتعامل بإنسانية، والسماح لمائة ألف لاجيء يهودي من معسكرات النازية، بالتوجه إلى البلاد، في حين رفض وزير الخارجية البريطانية (أرنست بفين) الانحراف عن سياسة الكتاب الأبيض.

وفي السادس من آذار ١٩٤٦، قدمت إلى القدس اللجنة الإنجليزية الأميركية التي بلغ عدد أعضائها اثني عشر عضوا: ستة بريطانيين، وستة أميركيين. وكانت اللجنة قد جمعت الشهادات والأدلة، خلال شهري كانون الثاني وشباط في لندن وواشنطن ومعسكرات اللاجئين في أوروبا.

وقد وصلت اللجنة بعد أن زارت مصر، حيث طرحت أمامها هناك مواقف شديدة مضادة لليهود من قبل شخصيات عربية وإسلامية مختلفة وكان على اللجنة أن تتجه إلى البلاد لسماع الجانبين، وسماع كبار الموظفين البريطانيين، ثم تقديم توصياتها.

حاولت سلطات الإنتداب تضخيم زيارة اللجنة، وبذلت جهودا كبيرة، من أجل إقناع أعضائها بخطورة الوضع، وخطر الإرهاب اليهودي. ووضعت حراسة مشددة جدا على غرف الفندق التي نزل فيها أعضاء اللجنة، كما وضعت حراسة بريطانية على مداخل الفندق، وتم تحذير أعضاء اللجنة، بأن لا ينزلوا إلى الشارع

دون حراسة بريطانية مسلحة. وإبان قيامهم بجولاتهم في البلاد، قامت بمرافقتهم مدرعة ودبابة وطواقم لاكتشاف الألغام.

ومن الجدير بالذكر، أن السلطات البريطانية استخدمت نفس الأسلوب إبان الزيارة التي قام بها الفيلدمارشال مونتجمري للبلاد، مما أقنعه بأن هناك خطرا إرهابيا يهوديا حقيقيا.

أعربت مؤسسات الاستيطان اليهودي عن تحفظها من الضغوط، وعلى وجه الخصوص من الإغلاق الذي فرض على أعضاء اللجنة، لذا قام صوت إسرائيل، التابع للهجناه، ببث توضيحات باسم حركة التمرد العبري، وجهها لأعضاء اللجنة وللصحفيين الذين جاءوا لتغطية أعمال اللجنة. وقد التقطوا هذه التوضيحات واستوعبوها جيدا.

وجاء في التوضيحات، أنه لن ترتكب أي عمليات إرهابية طيلة تواجد أعضاء اللجنة في البلاد، لذا، عندما قامت منظمة الإتسل باختطاف خمسة جنود بريطانيين دون الرجوع إلى قيادة حركة التمرد العبري- أرغمته الهجناه على إطلاق سراحهم.

بدأ الوضع يتدهور في البلاد، وتبددت آمال الاستيطان العبري، في أن تؤدي حركة التمرد إلى تغيير سياسة البريطانيين، بل لقد انقلبت الأمور رأسا على عقب، وأخذت سلطات الإنتداب تبدي تشددا أكثر فأكثر، واعتبرت الوكالة، اليهودية مسئولة عن جميع أعمال الإرهاب اليهودي، وسعت لكسر قوة الاستيطان اليهودي، وبقوا بانتظار اللحظة المواتية للقيام بذلك، مهما تكن توصيات اللجنة البريطانية الأميركية، فقد كانوا واثقين من أن مؤيديهم وأصدقاءهم في الإدارة الأميركية سيؤيدون الموقف البريطاني، ويقفون في وجه البيت الأبيض. لقد بذلت سلطات الانتداب جهودا كبيرة لإقناع أعضاء اللجنة بصحة مطالبهم، وإقناع العالم كله عبرهم.

لقد تم بذل جهود كبيرة لإنجاح الزيارة، وأدلى العديــد مــن الشــخصيات العربيــة والبريطانية بشهاداتها أمــام اللجنــة. وبذلــت السـلطات أقصــى جــهودها للتــأكد مــن أن جلسات اللجنة والنقاشات الداخلية، والشهادات المهمة، تجــري فــي ظــل أقصــى درجــات السـرعة.

وخشية لتسرب معلومات من اللجنة، أقام البريطــانيون مكانــا خاصــا كــي تعقــد فيه اللجنة اجتماعاتها، ووضع سياج حول هذا المكــان، وحراســة مســلحة.

ساد توتر شديد في مؤسسات الاستيطان اليــهودي، إذ كــان واضحــا، أن النتــائج التي ستخلص إليها اللجنة، ستكون مصيرية لمســتقبل الدولــة القادمــة. وكــان مــن المــهم جدا، معرفة ما يدور داخل اللجنة، ولو بــأي ثمــن، والتعــرف علــى مواقــف أعضائــها؟؟ وكيف بالإمكان التأثير عليهم؟؟ كانت مؤسسات الاستيطان تــود أن تعــرف مــا الــذي قالــه الشهود البريطانيون والعرب من أجل إعداد الشــهود اليــهود بصــورة تــؤدي إلــى تفنيــد ودحض الشهادات العربية. وكانت مؤسسات الاستيطان تجري اتصــالا معينــا مــع عضــو اللجنة ريتشارد كروسمان البريطاني، وبرنكي كــرام الأمــيركي، أمــا مــع بــاقي أعضــاء اللجنة، فلم يكن هناك أي اتصال معهم، ولم يكن بالإمكــان التــأثير عليــهم.

وإزاء هذا الوضع، توجهت مؤسسات الاســتيطان إلــى "هشــاي"، وطلبــت منــها أن تعمل للحصول على المعلومات اللازمة والمطلوبة، وقــد تــم تكليــف زئيــف شــيرف، والياهو ساسون بذلك، واللذين بدآ العمل بصورة مكثفــة جــدا.

قبل مجيئ اللجنة، وعندما اتضح أن أعضاء اللجنــة ســيحلون فــي فنــدق بــالاس في القدس، وأن قاعة الاستقبال في الفندق ستقسم إلى مكــاتب. اقــترح زئيــف جســكو-مــن شعبة الأشغال العامة- علــى يعقــوب بــات، قــائد"هشــاي" فــي لــواء القــدس، وضــع ميكروفونات سرية في جدران القاعة، وقد تحمس بات جــدا للفكــرة، وعقــد اجتمــاع بيــن جسكو والياهو ايلات، من الوكالة اليهودية، ثــم قــام ايــلات بنقــل الفكــرة إلــى شــريت، رئيس الوكالة اليهودية. بيد أن شــريت قــال أن الخطــة خطــرة ولا ضــرورة لــها أبــدا.

وقال لإيلات أن الوكالة نجحت في إقامة علاقـــة مـــع ســـكرتير اللجنـــة البريطانيـــة، وأنـــه سيتم إعلام مؤسسات الاستيطان بمـــا ســـيحدث.

وقبل عدة أيام من قدوم اللجنة، استدعى إيـــلات علـــى عجـــل كـــلا مـــن جســـكو وبات الذي أخبرهما أنه تم نقل السكرتير البريطاني في آخـــر لحظـــة إلـــى مهمـــة أخـــرى، وسألهما فيما إذا كان بالإمكان إخراج خطـــة الميكروفونـــات إلـــى حـــيز التنفيـــذ الفعلـــي؟؟ فأجابا بالإيجاب. حصل جســـكو علـــى الميكروفونـــات مـــن فيزيـــائي يـــهودي يعمـــل فـــي الجامعة. وجعل مدير العمل والكهربائي يقسمان بالحفـــاظ علـــى الســـر-رغـــم أنـــهما كانـــا من أعضاء الهجناه، وعمل على تشغيل نائب مدير العمل العربي لمـــدة يوميـــن فـــي مكـــان آخر، وقامت الهجناه بعملية ســـريعة للحصـــول علـــى الأســـلاك وبـــاقي التجـــهيزات مـــن مخازن السلطات البريطانية. وعندما اصبـــح كـــل شـــيء جـــاهزا تـــم زرع الميكروفونـــات خلال التشطيبات النهائية في المكاتب. وقـــامت الخطـــة علـــى ســـحب الأســـلاك إلـــى أحـــد المنازل اليهودية القريبة من الفندق، بيد أنه سرعان ما اتضـــح أن الأمـــر مســـتحيل.

قام عضو الهجناه العامل في مركزية التليفونـــات، بنـــاء علـــى الأوامـــر الموجهـــة إليه بتمديد خط إضافي إلـــى خطـــوط اللجنـــة، ووصلـــه عـــبر مركزيـــة الـــبريد، بمكـــاتب الوكالة اليهوديـــة.

وعندمـــا تـــم فحـــص الميكروفونـــات اتضـــح أن الميكروفونـــات التـــي كـــانت موصولة بغرفة الاجتماعات عملـــت بصـــورة جيـــدة، أمـــا الميكروفـــون الـــذي زرع فـــي مكتب رئيس اللجنة فلم يعمل أبـــدا.

كانت التشطيبات فـــي المكـــاتب قـــد أنجـــزت، ومـــن المتوقـــع وصـــول حـــرس الشرطة في كل لحظة، ورغم ذلك، سارع جسكو وزمـــلاؤه إلـــى شـــعبة الأشـــغال العامـــة، وحصلوا على المفاتيح وتوجهوا إلى المكان قبـــل يـــوم واحـــد مـــن وصـــول اللجنـــة. وقـــد دخل الثلاثة إلى قاعة الدخول وتسلقوا سلما، وفتحـــوا الحـــائط لمعرفـــة ســـبب عـــدم عمـــل الميكروفون. وفي تلك اللحظـــة بـــالضبط، دخـــل إلـــى القاعـــة الســـكرتير الأول لحكومـــة

الإنتداب مصحوبا بمدير شعبة الأشغال العامـــة البريطـــاني ونائبـــه العربـــي، وقـــد ســألهم مدير جسكو عما يفعلونه، فقال له جسكو، أنه تم اكتشـــاف عطـــب فـــي الجـــرس المركـــب في غرفة رئيس اللجنة، وأنه ســـيعمل علـــى إصلاحـــه فـــورا. وفـــي أعقـــاب خروجـــهم، اكتشف جسكو مصدر العيب، وتم إصلاحه، ثم أعـــادوا الأمـــور إلـــى نصابـــها، وغـــادروا القاعـة.

جاء النجاح تاما، وفعلت الميكروفونـــات فعلـــها، فقـــد اتضـــح أن رئيـــس اللجنـــة اعتاد دعوة أعضاء اللجنة إلى مكتبه وقبل كـــل جلســـة وحـــال انتهائـــها أيضـــا، ومناقشـــة الأسئلة التي ستوجه إلى كل شاهد. لذا، يمكننـــا تفـــهم الإعجـــاب والتـــأثر اللذيـــن أبداهمـــا رئيس اللجنة بشهادة موشيه شريت، الذي كان مطلعـــا قبـــل عـــدة ســـاعات-علـــى الأســـئلة التي ستوجه إليـــه.

ولم تكتف "هشاي" بوضع ميكروفونات في المكاتب وغرفـــة رئيـــس اللجنـــة، بـــل زرعت ميكروفونا أيضا في غرفة اجتماعات اللجنـــة الخاصـــة، بحجـــة ضـــرورة تركيـــب مدفأة في الغرفة، واستغلال هذا العمـــل لوصـــل ســـلكي الميكروفـــون، ووصـــل الســـلكين بتليفون زئيف شيرف، بصورة دائمة باســـتخدام عضـــو"هشـــاي" الـــذي يعمـــل فـــي بدالـــة التليفونات في البريد. وقد توجه شيرف إلى البريد وطلـــب أن يقطعـــوا خـــط هاتفـــه مؤقتـــا لانه سيسافر لبعض الوقت إلى الخارج. وهكذا أصبح الخـــط للتنصـــت فقـــط.

وإبـــان اجتماعـــات أو نقاشـــات أعضـــاء اللجنـــة كـــان طاقمـــان يعمـــلان علـــى التنصت وتدوين كل شيء، أحدهما في منزل شيرف، والثـــاني فـــي الوكالـــة اليهوديـــة.

وقد شارك في إزالة الغمـــوض المتبقـــي عـــن أعمـــال اللجنـــة، رفـــائيل ايـــلان، والذي كان والده يحمل المواطنة البريطانية، ويعمـــل موظفـــا كبـــيرا فـــي إدارة الانتـــداب. وحال اقتراب موعد قـــدوم اللجنـــة الإنجليزيـــة الأميركيـــة عملـــت "هشـــاي" علـــى طلـــب المعونة منه. ونظرا لأن زملاءه في العمل تعاملوا معـــه كبريطـــاني، فقـــد بـــات واضحـــا، من البداية، أن بالإمكان دمجه في الوسط الحكومـــي الـــذي ســـيجري الاتصـــالات الرســـمية

مع أعضاء اللجنة. وقد طلبت"هشاي" منه أن يعد الأرضية اللازمة لذلك، فعمل على إقامة علاقة مع الصحفيين الأجانب، وعلى وجه الخصوص مع كارتر ديفيد سون- وهو صحفي أميركي معروف، وكان يكثر من تناول المشروبات معهم في فندق الملك داود، كما عمل على عقد لقاءات بينهم وبين مسئوله في "هشاي"(باروخ جورئيل). بعد أن قدموه إليهم كمحام مقدسي ناجح.

وفي صبيحة اليوم الذي وصل فيه أعضاء اللجنة إلى القدس بالقطار، قدم جورئيل إلى المحطة، وهو يرتدي ملابس أوروبية فاخرة، وقدم نفسه كمحام، ونجح في إقناع الحراس بالسماح له بالوصول إلى الرصيف. وقد حمل معه رسالة من حاييم وايزمن الذي طلب منه تسليمها إلى باكستور، أحد الأعضاء الأميركيين في اللجنة.

وعندما توقف القطار وخرج أعضاء اللجنة منه حاول جورئيل الاقتراب من وفد المستقبلين، بيد أن الحراس أبعدوه عن المكان.

تمكن رفائيل ايلان-الوسيم الطلعة- من إقامة علاقات جيدة مع سكرتيرات اللجنة الدائمات، ونجح في إقناعهن بتسليمه مسودات وثائق تم عرضها خلال النقاشات، ومن ضمنها بروتوكولات الجلسات المغلقة. وقد أتاحت المقارنة بين البروتوكولات المذكورة، والتسجيلات من عملية التنصت، الفرصة، للتأكد من العديد من الأمور المهمة.

لقد عملت"هشاي" بنشاط كبير، باستخدام العديد من الأساليب، للحصول على معلومات من أعضاء اللجنة. وبدا في البداية، أن أعضاء اللجنة يركزون جل جهودهم على عملهم أو يحرصون على عدم إقامة أي اتصالات إجتماعية، بيد أنهم، بعد أسبوع واحد، بدأوا يستجيبون للدعوات الاجتماعية التي يتلقونها، وعلى وجه الخصوص، من المجموعات اليهودية الأنجلوسكونية، الموجودة في القدس. وقامت زوجة رئيس تحرير جريدة "جيروزاليم بوست" تيد لوريا والعديد من النساء الأخريات باستضافة عدد مختار من أعضاء اللجنة، ونقلوا كل ما سمعوه منهم إلى "هشاي".

كانت أهم الشهادات التي سمعتها اللجنة هي شهادة قـائد القـوات البريطانيـة فـي البلاد الجنرال درسي، وبدت أهمية هـذه الشـهادة علـى أرضيـة نفـي رؤسـاء الوكالـة اليهودية أن تكون لهم أي علاقـة بحركـة التمـرد العـبري، وأن لا معرفـة لـهم بوجـود منظمات عسكرية يهودية سرية، لذا لا يمكنـهم أن يـأمروا هـذه المنظمـات بـالكف عـن ممارساتهم. بيد أن هذا النفي كان عيبا من العيوب. فقد كان السـؤال الـذي يقلـق أعضـاء اللجنة هو: هل بمقدور الاستيطان العبري، الدفـاع عـن نفسـه، إذا مـا انسـحب الجيـش البريطاني؟ وإزاء إنعدام وجود رد يهودي خلال الإدلاء بالشهادات، لـم يبـق أمـام اللجنـة سوى اللجوء إلى جهات أخرى، وكانت إحدى هذه الجـهات، الجـنرال درسـي، الـذي قـال في معرض رده على السؤال آنف الذكـر: أن القـوة اليهوديـة قـادرة علـى الدفـاع عـن نفسها بالتأكيد، وبنجاح، حتى لو هاجمتها جميـع الجيـوش العربيـة.

وصلت المعلومات حول شهادة درسي إلى "هشـاي" شـفهيا، بيـد أن "مريـم بـن أهارون" سكرتيرة فرع القدس، طلبت أن يقدم إليـها تقريـرا خطيـا. وقـد تطـوع رفـائيل ايلان لهذه المهمة، ونجح في الحصول علـى تقريـر حـول وجهـة نظـر درسـي، إلـى جانب شهادة الجنرال سفيرس من إحدى السـكرتيرات. وقـد أكـد سـفيرس أمـام اللجنـة، أن القوة اليهودية لا تقل عن سبعين ألـف شـخص.

واتضح لـ"هشاي" من خلال المعلومات التـي وصلـت إليـها أن هنـاك شـهادات أخرى كانت في نفس الاتجاه من قبل شخصيات غـير يهوديـة. ومـن الجديـر بـالذكر، أن الرقم سبعين ألف، تم تسريبه من قبل "هشـاي"، فـي إطـار عمليـات التعميـة والتضليـل. وهكذا، سحب البساط من تحت أقدام البريطـانيين، الذيـن كـانوا يقولـون: أن اليـهود لـن يستطيعوا الدفاع عن أنفسهم في أعقاب موجـة الـهجرة مـن معسـكرات النازيـة، إذا مـا انسحب البريطانيون من البـلاد.

كانت إحدى المشاكل والصعوبات التي برزت آنذاك، هي كثرة الجهات العاملة على صعيد جمع المعلومات، والتي كثيرا ما عملت دون تنسيق فيما بينها، ودون أن يكون هناك مركز لتسليم المعلومات إليه.

ويقول باروخ جوريئيل، على هذا الصعيد، مثلا: إن معلومات مهمة وصلت إلى "تيدي كوليك"- أحد العاملين في الشعبة السياسية آنذاك- بيد أن هذه المعلومات لم تنقل إلى مكان مركزي نظرا لعدم وجود ترتيب ملائم مسبق.

ومن الجدير بالذكر، أن هشاي لم يكن يعالج هذه القضية، حيث تم إيكال هذه المهمة إلى الشخصيات الكبيرة في الوكالة. أما في المجالات التي كلفت هشاي بها، فقد عملت بصورة جيدة.

ويقول تسفي تمير- أحد الأعضاء العاملين في الشعبة العربية في تل أبيب: أنه تم إرساله، هو أيضا، إلى القدس، إبان زيارة اللجنة البريطانية الأميركية، نظرا لأن المعلم العربي الذي جنده في يافا، عمل في تلك الآونة كأحد سكرتيري اللجنة العربية العليا، ومكنه من تصوير وثائق ذات علاقة باللجنة الأميركية البريطانية.

ويقول يعقوب عيني-رئيس الشعبة العربية في هشاي بالقدس آنذاك، أنه اجتمع، في تلك الآونة، مع عربي من سكان بيت لحم، كان يعمل في مجال آلة "ستانسل" في السكرتارية الرئيسة بفندق الملك داود، وقدم نفسه له كمهتم بمواد ذات أهمية تجارية، وعرض عليه خمسة عشر جنيها فلسطينيا شهريا، إذا ما جلب إليه أوراق ستانسل مستخدمة، وقصاصات الورق التي يلقي بها الموظفون الكبار في اللجنة. وقد اتضح أن هذه الأوراق مجدية جدا.

وفي نهاية آذار ١٩٤٦، توجهت اللجنة إلى (لوزان) في سويسرا، لصياغة استنتاجاتها النهائية، والتي نشرت في الأول من أيار.

وقد أوصت اللجنة بالسماح للاجئي المعسكرات النازية بالهجرة فورا إلى إسرائيل، وإصدار مائة ألف شهادة هجرة فورا لهذا الغرض، وإلغاء سياسة "الكتاب الأبيض" فورا، والتخطيط لمواصلة الهجرة، بناء على الاستيعاب الممكن للبلاد.

ودعا التقرير النهائي للجنة، إلى نزع سلاح العرب واليهود، في آن واحد، وحل المنظمات المسلحة والسرية. وفيما يتعلق بالمستقبل السياسي للبلاد، فقد جاءت التوصيات ضبابية، وتتمثل في إقامة نوع من أنواع الاتحاد الكونفدرالي بين المنطقة المأهولة بالعرب والمنطقة المأهولة باليهود، تحت سلطة الإنتداب البريطاني، وعلى أن تمنح كل منطقة من منطقتي الاتحاد سلطات ذاتية موسعة. وأوصت اللجنة بتقسيم البلاد، في المستقبل، إلى دولتين عربية ويهودية، تحت إشراف الأمم المتحدة، وعلى أن يتم تجميد الوضع كما هو عليه حاليا.

وقد رفض الفلسطينيون توصيات اللجنة فورا، في حين وجد الاستيطان اليهودي نفسه بين المطرقة والسندان، المتمثلين في القبول بحل الهجناه، وإلغاء الكتاب الأبيض والسماح بالهجرة اليهودية إلى البلاد. وقد عقب بن جوريون على التوصيات بالقول: أن تقرير اللجنة يمنح (الجيش البريطاني وطنا قوميا في البلاد). بيد أن بريطانيا سرعان ما خففت الضغوط الناجمة عن تقرير اللجنة، حينما أعلنت عن تراجعها عن قبول قرارات اللجنة، بل ورفضها.

وفي معرض تعقيب (بفين) على مزاعم الأميركيين تجاه الخطوة البريطانية، قال: أن التأثر الذي يبديه اليهود لا يتساوق مع عدم استعدادهم للمشاركة في العمليات العسكرية، عندما تكون هناك ضرورة لحمايتهم من العرب. لقد دافع بفين عن السياسة البريطانية، بل واتخذ خطوات لتوطيد العلاقات مع الدول العربية.

وقد جاء رد الاستيطان اليهودي على هذه الخطوات قاطعا: تعزيز نشاطات التمرد العبري وهكذا، تم استئناف الهجمات العسكرية على أهداف ونقاط محددة، في أعقاب التوقف عن ممارسة هذه الهجمات، إبان تواجد اللجنة في البلاد.

وفي السابع عشر من حزيران ١٩٤٦ قامت وحدات الهجناه بتفجير عشرة جسور من الجسور الأحد عشر، التي تربط البلاد مع الدول المجاورة. لقد هدفت الهجناه من هذه العملية، التي أطلقت عليها (ليلة الجسور) أن تثبت للبريطانيين، أنه ودون التنسيق مع الاستيطان اليهودي وموافقته، لن تقوم قائمة لأي قاعدة بريطانية في البلاد، وأن أية محاولة هجوم للجيوش العربية ستواجه بمقاومة عسكرية جدية.

لقد لعبت "هشاي" دورا كبيرا في خطة (ليلة الجسور) ، حيث حصل عملاؤها على المخططات الهندسية للجسور والمخططات المطلوبة للعملية من مصلحة الأشغال العامة.

كما قامت"هشاي" بالمساعدة في تنفيذ عملية تحرير المهاجرين الذين سجنتهم سلطات الانتداب في عتليت، حيث قام عملاؤها أثناء الليل، بقطع الأسيجة ونقل المهاجرين إلى شتى أنحاء البلاد، حيث حصلت على المعلومات المطلوبة للتنفيذ، كما قام بعض عملاء"هشاي" بدعوة بعض جنود السجن لشرب الخمر في بار(بت جليم)، كما قام عملاء آخرون بإزالة (الطارق) من بنادق الحراس العرب في السجن.

وفي اليوم التالي، شكلت "هشاي" وحدة تنصت على القوات البريطانية التي أخذت تطارد المهاجرين الفارين، ووفقا للمعلومات التي تم التقاطها من التنصت، جرى توجيه الفارين إلى مستوطنات لا يجري التفتيش فيها، أو إلى المستوطنات التي انتهى التفتيش فيها فعلا.

لقد استخدم البريطانيون، هذه العمليات، ذريعة لتنفيذ عملية (بروسايد) الرامية إلى تدمير الهجناه وقوتها الضاربة(البلماح)، على اعتقاد أنهم، بذلك، يكونون قد كسروا صمود الاستيطان اليهودي.

لقد راجت شائعات حول تحضير البريطانيين، للقيام بعملية كبيرة، منذ الأيام التي انشغلت تيها اللجنة الإنجليزية الأميركية بكتابة التقرير، في سويسرا. ورغم ذلك، كان من الصعب العثور على أدلة حقيقية لذلك.

كانت تلك الأيام أفضل أيام هشاي، حيث حظي عملها باهتمام كبير جدا، وأهمية بالغة، وتحولت القدس إلى بؤرة تجسس مركزية، وقام جورنيل بنشر شبكة تجسس واسعة، وصلت خيوطها إلى جميع المكاتب الحكومية في المدينة تقريبا، وعلى وجه الخصوص، في المكاتب التي كان اليهود يعملون فيها. وقد تم توجيه هؤلاء العاملين إلى كيفية العمل، والحصول على المعلومات الخاصة بالنشاطات التي تعتزم السلطات القيام بها ضد المهاجرين، والمخططات التي سيقوم الجيش بتنفيذها.

وكانت المعلومات التي تتدفق على "هشاي" من الشعبة السياسية في السكرتارية الأولى للسير(جون شاو) شديدة الأهمية، فقد كانت السكرتارية الأولى بمثابة مركز الأعصاب للحكومة، لذا حظيت نسخ الوثائق والبرقيات التي وصلت منها إلى أفضلية أولى.

وكذلك، المعلومات التي كانت تصل من شعبة الهجرة، والهيئة العامة للشرطة والشعبة المالية، والزراعة والمياه، والتجارة والصناعة، والاستشارات القضائية، والتعليم، والصحة، والأراضي، والعمل، بل ومن مكتب الإعلام الحكومي.

كان(جوردين) رئيس مكتب الزراعة وادارة المياه موظفا كولونياليا متشددا جدا، يحمل مفاهيم قديمة. وكان يجيد اللغة العربية، ويقيم اتصالات مع المفتي الحسيني، الذي عاد إلى القاهرة، كما أيد، تعاملا معاديا تجاه الاستيطان اليهودي. مما حدا بالاستيطان لوصفه بعدو علني لليهود.

وفي أعقاب نشر تقرير اللجنة الأميركية البريطانية، كان "جوردين" أحد أشد المعارضين لتطبيق التقديرات الإقتصادية في تحديد معايير الهجرة، وقد قال لأحد أعضاء الإدارة الزراعية، الذي أثبت له أن بالإمكان فلاحة أراض في جنوبي غور الأردن، إذا كنت على استعداد لإضاعة مالك، وقتل رجالك، والوصول إلى حالة الجنون، فإن بمقدورك أن تزرع توتا حتى في القطب الشمالي.

وقد اعتبر مسئولو الاستيطان "جوردين" الرجل الذي يقف خلف مخططات الحكومة البريطانية، ضد الاستيطان والشخص الذي يخطط لتقسيم البلاد بصورة تجعل مصادر المياه، بغالبيتها، تبقى بحوزة الجانب العربي كما اعتبر "جوردين" ومساعدوه كأشد المعارضين للاستيطان اليهودي في النقب.

وفي أعقاب يوم "السبت الأسود" في التاسع والعشرين من حزيران ١٩٤٦ قررت مؤسسات الاستيطان اليهودي تصفية "جوردين"، وكانت الشعبة العربية في (هشاي) قد جندت خادم جوردين العربي. وقد تمكن زئيف جسكو، تحت غطاء أعمال ترميم في شقة جوردين الرسمية، من إعداد رسم مفصل لمنزله في القطمون. ونظرا لأن مكتب "جوردين" كان في فندق بالاس، أي في نفس المكان الذي أقامت اللجنة البريطانية الأميركية مقرها فيه، فقد كان بمقدور "هشاي" التنصت على محادثاته، وخلال شهرين متواصلين، تم إعداد صورة كاملة لتحركاته وعاداته، وكلفت خلية من "البلماح" بتنفيذ العملية. بقيادة ايجال الون، وفي أعقاب استكمال هذه الخلية لاستعداداتها، تم اتخاذ قرار بتصفية جوردين في كانون الأول ١٩٤٦.

وفي عيد الأنوار، وقبل يوم واحد من تنفيذ العملية، عقد اجتماع لـ"هشاي" في بيت الثقافة في تل أبيب، وخلال النقاش قدم أحد رجال "البلماح"، ودعا باروخ جورئيل، وقال له أنه تم إلغاء العملية.

وقد اتضح، فيما بعد، أن "جوردين" مدين بحياته للفيتو الذي فرضته جولدا مائير، رئيس الشعبة السياسية في الوكالة اليهودية، على العملية. وقد منحت الفرصة لجوردين، للبقاء في منصبه حتى إخلاء البريطانيين لقواتهم. وفي أعقاب الإخلاء البريطاني، في أيار ١٩٤٨، نقل جوردين إلى المكان الذي طلب الانتقال اليه، إلى العراق.

تواصلت النشاطات الاستخبارية للتأكيد على الشائعات الخاصة بالعملية الكبيرة التي يجري التخطيط لها. وفي الثالث من نيسان ١٩٤٦، أفاد عميل

لـ"هشاي"، في وزارة الزراعة، أن "جوردين" قال لأحد موظفيه العرب، أنه وبناء على ما يعرف، فإن" اليهود سيضطرون قريبا لطلب مساعدة الحكومة ضد الهجمات التي سيشنها العرب عليهم".

وأشارت تقارير أخرى لـ"هشاي" أن الجيش بدأ بإعداد الأرضية للقيام بالعملية، حيث وزعت جريدة معادية لليهود، في أوساط الجنود، كما بدأت الشرطة تتناقل فيما بينها أوراقا ومقالات، وأشعارا مضادة لليهود، وتقول أحد هذه القصائد:

ضع قنبلة في مبنى الوكالة...

أزل الكنيست اليهودي عن وجه الارض...

وافعل كل ما سيجعل كل يهودي صهيوني لعين....

يندم لأن أمه أنجبته إلى هذا العالم....

وزعت الشرطة الإسرائيلية داخليا كراسة إعلامية خاصة، تشتمل على تفاصيل تنفيذية مهمة.

وعندما ازدادت الأنباء حول هذه القضية، قررت "هشاي" الحصول على هذه الكراسة وعلى منشورات أخرى، بما فيها منشور المباحث الفدرالية (سي.آي.دي) والذي تم إرساله إلى جميع محطات الشرطة إلى الضباط المسئولين، وعلى الملخصات التي يرسلها قادة الألوية، في جهاز المباحث يوميا إلى القدس.

وقد أكدت هذه المراقبة، والمواد الأخرى المتوفرة، أن هناك تعزيزا حقيقيا للقوات العسكرية في المعسكرات المجاورة للمستوطنات اليهودية. فقد أشارت مجلة (ويكلي انتليجنس ريفيو)، في استعراضها للفترة الواقعة بين ٢١-٢٨ من كانون الثاني ١٩٤٦، إلى انتشار فرقة سلاح المشاة الأولى في شمالي البلاد.

وقد تمكنت "هشاي" من إقامة اتصال مع ضابط ايرلندي رفيع، كان يعمل في القيادة القطرية فقام بتسليم"هشاي" معلومات سرية للغاية، كانت مخصصة لاطلاع الضباط من رتبة مقدم فما فوق فقط عليها، ومن الجدير بالذكر، أن هذا الضابط-الذي

كان يهرب تلك المواد مع مخاطرة شخصية عالية- قتل فـــي عمليــة تفجـير فنــدق الملــك داود، فيما بعــد.

لم يتحدد حتى ذلك الحين، حجـــم العمليــة وأهدافــها الدقيقــة وموعدهــا. وكـــانت "هشاي" تدرك أن هذه المعلومات، لا يمكـــن الحصــول عليــها مــن ســلال القمامــة فــي المكاتب، أو من الخزائن التـــي يمكــن الحصــول علــى مفاتيحــها، لــذا أمــرت رجالــها وعملاءها بتعميق احترامهم للمســـئولين البريطـــانيين.

وإثر هذا الطلب، أقـــام أهـــارون ســيلع، علاقــة مـــع رئيــس جــهاز المبــاحث الفدرالية في حيفا، الضابط كونكفســـت، والـــذي كـــان شــرطيا حقيقيــا، يعــذب المعتقليــن بصورة شخصية، وقد رفض كونكفست تسليم أي معلومـــات مكتوبــة، لكــن، وفــي أعقــاب تقديم وعد له بعدم المساس به، أو بأبناء عائلته- وهو الوعد الـــذي لــم ينفــذ حيــث قــامت منظمة "ليحي" باغتياله، فيما بعد- وافق على تسليم معلومـــات بصــورة شــفهية.

وفي أيار ١٩٤٦، أعلم كونكفست "هشاي" بأن هنـــاك عمليــة كبــيرة علــى وشــك الوقوع، بيد أنه لم يكن حتـــى ذلــك الحيــن يعلــم بــالموعد الدقيــق للعمليــة، أو طبيعــة الأشخاص الذين سيتم اعتقالـــهم.

كما أقامت "هشاي" اتصالات وثيقة مـــع الميجــور يعقــوب أفنــون، الــذي انضــم إلى "هشاي" في أعقاب تسريحه من الجيش البريطاني. وكـــان يتمتــع بحريــة الدخــول إلــى مكاتب القيادة البريطانية، وأقام علاقات مع ضباط فـــي الجيــش، وعلــى وجــه الخصــوص مع ضابط في المباحث، والذي كان يقدم معلومـــات بمبادرتــه الشــخصية.

وأقام مناحم بربش -من"هشاي" في تل أبيـــب- علاقــة وطيــدة مــع ضــابط مــن معسكر تل هشومير، والذي كان مسيحيا شديد التديـــن، ويعتقــد أن عمليــة تجميــع اليــهود في (أرض إسرائيل) هي عملية مسيحية مؤكدة. وكـــان يضــع الأوراق التــي يتــم إيصالــها في شق إحدى الأشجار ويقوم حارس غابـــة يــهودي، بمراقبــة الشــجرة يوميــا، فــإذا مــا عثر على الورقة يتصل بــبربش لأخذهـــا.

ورغم ذلك، فإن المعلومات المؤكدة حول العملية لم تـأت مـن كـل هـؤلاء، بـل أتت من ضابطين آخرين يعملان فـي القـدس، وقـد طـرح الأول أهـداف الخطـة أمـام البروفيسور ريفنبيرج من الجامعة العبرية، في حيـن تمكـن ضـابط مظـلات تـم تجنيـده في تل أبيب من الحصول على باقي الخطة وتسـليمها لـ"هشـاي".

وكان هذا الضابط قد وقع فـي غـرام مـهاجرة يهوديـة مـن اليمـن، فأرسـلت إليه"هشاي" (تسفي زهابي) والذي اجتمع به في مقهى، حيـث أعلمـه الضـابط، أنـه يعمـل في بعض الاحيان ضابطا مناوبا في إحدى قيـادات المعسـكر، وأن مفـاتيح جميـع الغـرف موجودة في غرفة الضابط المناوب، بما فيها مفاتيح خزانـة قـائد المعسـكر.

وفي المقابلة الثانية، اقترح عليـه زهـابي أن يفتـح الخزانـة ويـرى محتوياتـها، ثم أقنعه بأن يصور هذه المحتويات. وقد تـم العثـور بيـن هـذه الأوراق المصـورة علـى أسماء العديد من قادة الهجناه وعناوينهم، مثل: موشـيه سـنيه، إسـرائيل جـاليلي، واسـحق سديه.

أدت الصور التي تم التقاطها لبعـض محتويـات الخزنـة، إلـى تشـجيع "هشـاي" على التقاط صور لجميع الوثائق الموجودة بها وكان معسـكر صرفنـد، الـذي يعمـل فيـه الضابط المذكور، يغلق ليليا،نهائيا، في وجه أي قادم خمـس سـاعات، مـن السـاعة الثانيـة عشرة وحتى الساعة الخامسة صباحا. وقد قررت "هشـاي" انتـهاز هـذه الفـترة الزمنيـة، والدخول إلى المعسكر، وتفتيـش الخزانـة.

وقد تم الاتفاق مع الضابط المذكور علـى أن يـأتي زهـابي إلـى المعسـكر فـي سيارة إسعاف والادعاء أنه مريـض ويجـب معالجتـه فـي المعسـكر: وقـد تـم تدبـير تصريح مزيف لزهابي لدخـول المعسـكر.

وفي مطلع حزيران ١٩٤٦، كان كل شـيء معـدا لتنفيـذ العمليـة. وقبـل عـدة ساعات من التنفيذ ثارت شكوك لدى زملاء زهابي بأن هناك مصيـدة مدبـرة لـه، بيـد أن زهابي أعرب عن ثقته بالضابط. وفـي السـاعة الموعـودة توجـه نحـو المعسـكر، هـو

وباقي المشاركين في العملية، في سيارة تاكسي. وعندما قدم زهابي أوراقه المزيفة إلى حارس بوابة المعسكر سمح له بالدخول دون أي مشاكل. وفي الداخل سلمه الضابط ثلاثة ملفات تحتوي على خمسمائة صفحة تم إخراجها من الخزنة، فسارع بها زهابي إلى مكان التصوير السري لـ"هشاي" لتصويرها وإعادتها إليه.

وعندما جرى فحص أوراق الملفات، اتضح أنها تحتوي على خطة (برودسايد) والتي لم توزع حتى ذلك الحين سوى للمندوب السامي، والسكرتير الأول، وقائد الجيش، ولأربعة أو خمسة ضباط رفيعي المستوى آخرين. وقد ألحق بالخطة عدة ملاحق، تتضمن مئات الأسماء والعناوين بما فيها أسماء وعناوين أعضاء في منظمة الهجناه. كما تمت الإشارة إلى الأماكن التي يحتمل العثور فيها على مخازن للأسلحة، ومن ضمنها كيبوتسا(يجور وجبعات حاييم). ولم تتطرق الأوراق إلى تاريخ تنفيذ العملية.

تدارس موشيه سنيه وإسرائيل جاليلي وجولدا مائير الخطة، وفكرا في إطلاع الأميركيين على محتوياتها، ومطالبتهم بالضغط على البريطانيين كي لا ينفذوها، بيد أنهم خشوا من أن يعتقد الأميركيون أن الاستيطان اليهودي خائف من البريطانيين.

وفي نهاية المطاف، تم اتخاذ قرار يتعارض مع رأي (هشاي)، ينص على الإعلان عن الخطة في صوت الحركة السرية الهجناه في السادس عشر من حزيران، رغم تحذير"هشاي" من إمكانية، حرق مصادرها للمعلومات.

أذهل إعلان صوت الهجناه عن العملية البريطانية، وقد عقب أحد كبار القادة في الجيش بالقول: لقد حصلوا على تفاصيل العملية قبل أن أحصل عليها أنا. ورغم ذلك، لم يمنع الإعلان عن العملية البريطانيين من تنفيذها.

قام جميع قادة الهجناه والاتسل وليحي بالانتقال من أماكن سكناهم، والسكن في أماكن جديدة كما تم نقل قسم من المكاتب إلى أماكن أخرى. كما تم إخفاء المستندات في أماكن سرية.

أدرك البريطانيون، أن الحركة السرية اليهودية نجحت في اختراق قياداتهم، لذا، تقرر عدم تسليم أي معلومات إلى كبار الضباط المسئولين عن تنفيذ العملية، إلا قبل أربع وعشرين ساعة من التنفيذ. وفي الثامن والعشرين من حزيران ١٩٤٦، تلقت قيادة الهجناه تحذيرين أحدهما من كونكفست، والثاني من ضابط المظلات المذكور، بأنه سيتم فرض حظر التجول على جميع أنحاء فلسطين. وستبدأ عمليات التفتيش، بل وذكر ضابط المظلات أسماء الأشخاص الذين كلف باعتقالهم. وهكذا، تم تحذير الاستيطان العبري، وجميع الجهات التي ستتعرض للخطر كي تتخذ الاحتياطات اللازمة لمواجهة العاصفة.

وهكذا، لم تسفر العملية عن اعتقال أي شخصية من رؤساء التمرد العبري، أو أي قائد رفيع من الهجناه أو البلماح-باستثناء اسحق رابين الذي كان طريح الفراش جراء كسر ساقه- وقد اعتقل البريطانيون ألفين وسبعمائة شخص، منهم عدد كبير من الإداريين والنشطاء المدنيين، مثل موشيه شريت والحاخام يهودا ليب فيشمان، واسحق جرينبويم، ودوف يوسف. وتم تفتيش سبعة وعشرين كيبوتسا واستيطانا عبريا، دون أن يسفر ذلك عن اكتشاف أي مخزن سلاح، باستثناء مخزن سلاح كيبوتس(يجور) الذي اكتشف على أرضية الوشاية بمكانه.

وقد ألقت الهجناه القبض على يهوديين للاشتباه بأنهما هما اللذان وشيا بمكان المخزن، وقد تمكن أحدهما من الفرار، واللجوء إلى الشرطة البريطانية التي هربته إلى قبرص، مما جعل الهجناه تعتبر هذه المسلكية بمثابة إدانة له.

وبعد حوالي ست وثلاثين ساعة من تنفيذ العملية-التي أطلق عليها الاستيطان العبري اسم عملية "السبت الأسود"- اجتمع عدد من قادة القيادة العليا

اليهودية لتقدير حجم الأضرار وقد أدرك جميع الحاضرين، أن قوة الـهجناه لم تتضرر. وبناء عليه، أتخذ قرار بتصعيد الحرب ضد الانتداب البريطاني، كي يدرك أن عمليته الكبيرة لن تحول دون قيام الـهجناه بنشاطاتها. وتم التخطيط لقيام "البلماح" بمهاجمة مخازن السلاح البريطانية في (بت جليم)، نظرا لأن المعلومات أفادت بأن الأسلحة التي عثر عليها البريطانيون أثناء العملية، نقلت وخزنت هناك. كما أتخذ قرار بأن ينفذ الاتسل وليحي عمليتين تخريبيتين في القدس، بحيث يقوم الاتسل بتوجيه ضربة إلى مكان السكرتارية الأولى لحكومة الإنتداب في فندق الملك داود، وتوجه (ليحي) ضربة إلى مكاتب الحكومة في مبنى "الإخوان ديفيد" القريب من الفندق.

بيد أن الدكتور حاييم وايزمن، رئيس إدارة الحركة الصهيونية، رأى أنه ليس هناك ما يبرر العملية وطلب إلغاءها.

وعلى أرضية هذه الخلافات، وقعت عملية فندق داود، حيث قامت منظمة "الإتسل" في الثاني والعشرين من تموز بتفجير فندق الملك داود في وضح النهار- والفندق يغص بالناس- أدى إلى مقتل واحد وتسعين شخصا، وإصابة حوالي أربعين بجراح، ومن بين القتلى كان بريطانيون وعرب ويهود. وشاعت سخرية القدر، أن يكون من بين القتلى البريطانيين اثنان من المصادر التي كانت "هشاي" تستعين بها للحصول على المعلومات.

وفي أعقاب العملية، أعلن البريطانيون عن الوكالة اليهودية كجهة لا يمكن التفاوض معها، وأشاروا، في بيان لهم، أنه تم العثور على وثائق في مكاتبها خلال التفتيش، تشير إلى مسئوليتها عن تفعيل التمرد العبري.

وإزاء العملية الكبيرة التي نفذتها الحركة السرية اليهودية، بدأ البريطانيون يتخذون استعدادات لحماية أنفسهم، فجمعوا المؤسسات الحكومية في مناطق محصنة، وأصدر الجنرال السير أفلين- قائد القوات البريطانية، في الخامس والعشرين من تموز -أي بعد ثلاثة أيام من العملية، أمرا بلغة "لا سامية" واضحة، حظر فيها إجراء

أي اتصالات بين الجنود البريطانيين والجماهير اليهودية، قام البريطانيون بإلغاء هذا الأمر بعد أسبوعين، كما حظرت أماكن اللهو اليهودية على الجنود. ومن الجدير بالذكر، أن الأمر، آنف الذكر، كان سريا بيد أن (هشاي) حصلت على الأمر، وبثته في صوت إسرائيل، مما أثار حرجا شديدا في أوساط البريطانيين.

وأصدرت الحكومة أمرا يقضي بإلقاء القبض على منفذي العملية، وسمحت للجيش بإجراء تفتيش جذري في تل أبيب، وأطلقت على هذه العملية اسم عملية (القرش)، في حين أسماها الاستيطان العبري "حظر التجول الكبير"، وقد استمر نظام حظر التجول من الثلاثين من تموز حتى الثاني من آب، وشارك فيه فرقتان معززتان. وأسفر عن نتائج لا قيمة كبيرة لها، حيث تم اكتشاف أربعة مخازن صغيرة للأسلحة، واحد لحركة "ليحي" في قبو الكنيست اليهودي الكبير في شارع "اللنبي" والثلاثة الأخرى لمنظمة الهجناه. وقد تم اعتقال ٧٦٧ شخصا خلال هذه الحملة، وإرسالهم إلى معسكر مغلق في رفح.

كما نجح البريطانيون خلال التفتيش في القدس، بضبط أوراق سرية في مبنى الوكالة اليهودية تمكنوا خلالها من إثبات صحة ادعاءاتهم القائلة أن هناك علاقة وطيدة بين الوكالة اليهودية، وحركة التمرد العبري، وقد نشر البريطانيون البرقيات الشيفرية بعد حلها في "كتاب أبيض" خاص.

لقد جاءت عملية التفتيش التي وقعت في أعقاب العملية مفاجئة، حيث لم تصل أي تحذيرات مسبقة إلى (هشاي)، بل لقد حلت المفاجأة أيضا على "هشاي" هذا رغم أن ضابط لواء(رحوبوت) في هشاي قال في أحد تقاريره، أن الجيش البريطاني يعد كميات أغذية كبيرة، كما يبدو، نظرا لاعتزامه القيام بعملية طويلة.

وفي نهاية تموز ١٩٤٦، أعلنت حكومة بريطانيا خطة جديدة لحل مشكلة "أرض إسرائيل"، وأطلق عليها خطة (موريسون-جريدي)، وتمكن البريطانيون من الحصول على موافقة وزارة الخارجية الأميركية عليها.

وترمي هذه الخطة إلى إلغاء توصيات اللجنة البريطانية الأميركية. وتنص الخطة، على اشتراط منح مائة ألف تصريح هجرة لليهود إلى فلسطين، بموافقة العرب.

وتنص الخطة ايضا، على تقسيم البلاد إلى دولة فدرالية، يتم تقسيمها إلى أربع مناطق: جنوب الضفة، ويضم غالبية الأراضي التي تم توطينها على أيدي اليهود، ومنطقة لواء القدس والتي تضم المدينة، وبيت لحم وضواحيها، ولواء النقب، ومنطقة عربية تضم باقي المناطق. وعلى أن توضع هذه المناطق تحت الحكم البريطاني، الذي سيشرف على الأمن والعلاقات الخارجية، والجمارك.

لقد قامت خطة موريسون -جريدي- وعلى وجه الخصوص، البند آنف الذكر- على قرار بريطاني سري ينص على أن تبقى (البلاد) في المستقبل قاعدة رئيسية للجيش البريطاني في الشرق الأوسط، هذا رغم ما نشر عن اعتزام بريطانيا نقل قواعدها من مصر إلى شرق إفريقيا. وقد أمل البريطانيون في أن يؤيد الأميركيون هذا القرار.

لم تعلم قيادة الاستيطان العبري بأمر القرار السري البريطاني، إلا في مرحلة متأخرة، أو في السابع عشر من كانون الأول ١٩٤٦، أي بعد خمسة أشهر من نشر خطة(موريسون-جريدي)، حينما أرسلت (هشاي) القدس، إلى "مكتب هشاي" نسخة تقرير عن مشاورات ضباط المخابرات البريطانية التي تم إجراؤها في القاهرة، بين ١٣-١٥كانون الأول.

وقد أكد التقرير، أن السلطات العسكرية في الشرق الأوسط لم تتخل عن مخططاتها الخاصة بقمع الاستيطان تحت مبرر محاربة الإرهاب، وأن "أرض إسرائيل"، هي أكثر الأماكن المرشحة لاستخدامها كقاعدة عسكرية بريطانية دائمة في الشرق الأوسط.

وتجدر الإشارة إلى أن الحصول على هـذه المعلومات بعد يومين فقط من انتهاء الاجتماع المغلق في القاهرة، كان إنجازا مهنيا في حد ذاته، يشير إلى عمق الاختراق اليهودي للقيادة البريطانية المركزية.

تواصل النزاع وتصاعد. وفي الثالث عشر من آب أعطي أمر للجيش والأسطول لنقل المهاجرين غير الشرعيين من حيفا، والمعسكرات في البلاد إلى قبرص.

وفي محاولة لإحباط تنفيذ هذا القرار، قام عملاء الحركة اليهودية بأعمال تخريبية في السفينة المعدة لنقل المهاجرين إلى قبرص في نهاية آب. وإزاء هذه العملية قام آلاف الجنود البريطانيين، مصحوبين بالكلاب وكاشفات الألغام بتفتيش كيبوتس(سدوت يم) بحثا عن منفذي العملية، بيد أن التفتيش لم يسفر عن أي شيء يذكر. وفي الثامن والعشرين من آب، تم تنفيذ تفتيش مماثل في كيبوتسات النقب الشمالي(دوروت وروحمة).

لقد هدفت السلطات البريطانية من هذا التفتيش الذي استغرق ستة أيام، إلى اجتثاث الكيبوتسات من مكانها، عن طريق تخريب ممتلكاتها والاستيلاء على أسلحتها، بيد أن "هشاي" كانت تعلم مسبقا بنية البريطانيين، وقامت بإعلام الهجناه، والكيبوتسات بذلك، وتحت جنح الظلام، تم نقل الأسلحة من المخازن في تلك الكيبوتسات، ودفنها في كيبوتسات أخرى.

وحينما لم يعثر الجنود الغاضبون لمقتل زملائهم في فندق الملك داود، وفي تل أبيب على أيدي ليحي على أي شيء، قاموا بنهب كل ما عثروا عليه من الأشياء الثمينة. ورغم أن العملية لم تسفر عن الكثير من الأضرار، الا أنها كانت مؤشرا واضحا للهجناه على ما سيصيب الكيبوتس والاستيطان اليهودي، إذا ما واصل المقاومة والتحدي. ولهذا السبب صدرت أوامر بالتوقف عن النضال بالسلاح.

وهكذا، وفي مطلع أيلول، تم حل حركة التمـرد العبريـة، وبـدأ النضـال الصلـب والحاسم من أجل إقامة الدولة. وقد كانت عمليات الـهجرة بمثابـة رأس الحربـة، فـي هـذا النضال، والتي تم تنظيمها بوساطة مؤسسة الهجرة الثانيـة مسـتعينة بالبلمـاح. مـع إنفـاق مبالغ هائلة على توسيع الاستيطان فـي البـلاد.

لقـد أثـارت عمليـات التفتيـش البريطانيـة للكيبوتـس والاسـتيطان اليـهودي، وتصدي الزوارق البريطانية لسفن المهاجرين، ثائرة الكثير مـن الجـهات فـي العـالم ضـد السياسة البريطانية، مما جعل البريطانيين يدركون بـأن الـرأي العـام البريطـاني، وأيضـا العالمي، وعلى وجه الخصوص الاميركي، لن يسـلم بـهذه السياسـة زمنـا طويـلا. وفـي الرابع من تشرين الأول ١٩٤٦ أعلـن الرئيـس الأمـيركي (ترومـان) لاول مـرة-مخالفـا بذلك آراء خبراء وزارة الخارجية- أنه إذا مـا سـنحت فرصـة، فـإن الولايـات المتحـدة ستؤيد إقامة دولة يهودية مسـتقلة.

الفصل الثامن

النضال السياسي

تشرين الأول ١٩٤٦ وحتى تشرين الثاني ١٩٤٧

تعتبر الفترة الزمنية التي سيتم مناقشتها في هذا الفصل، بمثابة أصعب الفترات في تاريخ الهجناه.

وقد دار خلالها نزاع بين الاستيطان اليهودي والسلطات البريطانية، على جميع الجبهات، وقد كرس البريطانيون جهودهم على منع الهجرة اليهودية من أوروبا، في حين بذل الاستيطان اليهودي قصارى جهده، لتعزيز هذه الهجرة، وعندما كان الاستيطان يصطدم بالمعارضة البريطانية، كان يواجهها بالمظاهرات الاحتجاجية.

ورغم الإحباطات والشعور بالمرارة الذي كان يسيطر على منظمة الهجناه، إلا أنها لم تنجر وراء منظمتي "الاتسل" و "ليحي" في النضال بالسلاح ضد البريطانيين، بيد أنها عملت على التنفيس عن هذا الإحباط والمرارة، عبر تعزيز وتصعيد عمليات الهجرة والاستيطان، وبذلت جهودا هائلة توطئة لخوض الصدام المرتقب والحاسم مع العرب.

لقد أصبحت قضية الاستيطان نوعا من أنواع إعلان النوايا، وقد كانت الهجناه نشيطة على صعيد الاستيطان، فأقامت أكثر من ثلاثين نقطة استيطانية في الجليل وجوش عتصيون والنقب، وكانت تضع نصب عينيها: توسيع الاستيطان اليهودي أيضا، في المناطق التي حظر فيها الاستيطان على اليهود وفقا ل "الكتاب الأبيض".

دار في تلك الآونة، صراع شديد جدا، ودرامي حــول الــهجرة غــير المشــروعة فقد أرسلت الهجناه، اثنتين وستين سفينة محملة بسبعين ألف مــهاجر يــهودي مــن أوروبــا إلى (أرض إســرائيل).

ولم تتمكن ســوى إحــدى عشــرة ســفينة منــها مــن التملــص مــن الحصــار البريطاني والوصول إلى المرفأ وإفراغ حمولتها مــن البشــر، أمــا البقيــة فقــد تــم إلقــاء القبض عليهم، وإجلاؤهم إلى قبرص، وقد شارك فــي عمليــة إرســال الســفن، واســتيعاب ركابها، بصورة فعالة، جدا، وحدات مدربة جيدا مــن البلمــاح، والوحــدات البحريــة، هــذا إضافة إلى "هشاي" التــي عملــت بصــورة خاصــة، للحصــول علــى معلومــات حــول مخططات البريطانيين ضد الهجناه ومؤسســات الاســتيطان العــبري.

وفي أعقاب (حظر التجول الكبير – عمليــة القــرش) تــم إجــراء عمليــة تغيــير في قيادة "هشاي" على أرضية اضطرار افراين ديل رئيس "هشــاي" فــي تــل أبيــب للفــرار من البلاد، وقررت القيادة الجديدة تعميق التغلغــل ونشــر شــبكات الاســتخبارات، وزيــادة عدد المصادر التي تستقي منــها معلومــات.

وتفيد إحدى التقارير أن "هشــاي" تمكــن مــن الوصــول إلــى ابنــة أحــد كبــار الموظفين البريطانيين المتزوجة في تل أبيــب، وأقنعــها بالســماح لعملائــها بتصفــح أوراق والدها الذي كان يشغل منصب رئيــس مكتــب تــل أبيــب، لوكالــة المخــابرات الحكومــة البريطانيــة.

ويقول مناحم ابيرم – أحد مسؤولي "هشــاي" فــي تــل أبيــب: أنــه تــم إجــراء اتصالات أيضا مع زوجة قائد شرطة لواء يافا وتل ابيــب، ولــم يشــر فــي مذكراتــه إلــى الأسباب التي قامت عليها هــذه الاتصــالات، وفيمــا إذا كــانت أســبابا رومانســية أم أنــها كانت يهودية؟ بيد أنه يشير إلى أن الاتصال بــها كــان يجــري فــي الجمعيــة الاســتهلاكية الخاصة بالشــرطة.

ويقول "تسفي زهابي" أن هناك شبكة من رجال الشرطة في مراكز الشرطة اللوائية، وكان هؤلاء الرجال يحضرون إليه الأوامر اليومية التي تصدر إليهم، إضافة إلى تقرير حول الأحداث الأخرى التي تقع في مراكز الشرطة.

كما ضم إلى الشبكة صاحب مقهى يهودي أسترالي الأصل، وكان الضباط قد اعتادوا قضاء الوقت لديه في المقهى.

ويعتبر الاختراق الذي تمكنت "هشاي" من إحداثه لقيادة سلاح الجو البريطاني في الرملة، بمثابة ذروة العمل الاستخباري لـ "هشاي" وقد عثر أحد عملاء "هشاي" في قبو القيادة على الأوامر اليومية الصادرة إلى الأسطول البريطاني، والتي كانت ترسل يوميا إلى سلاح الجو للعلم، وقد أمره "زهابي" بنسخ محتواها، وقد فعل ذلك فعلا، ومن البديهي القول: أن منظمة الهجناه، جنت منها فوائد كبيرة جدا، في عمليات تهريب المهاجرين.

وإضافة إلى النشاطات نصف العسكرية تواصلت النشاطات السياسية المتعلقة بـ"أرض إسرائيل". وفي شباط ١٩٤٧، فشل المؤتمر الذي عقدته بريطانيا في لندن، والذي كان يفترض أن يقنع اليهود والعرب بضرورة قبول خطة"بيفن". وفي أعقاب هذا الفشل قررت الحكومة البريطانية نقل معالجة هذه القضايا إلى الأمم المتحدة.

وفي الرابع من نيسان، طلب وزير الخارجية بيفن من سكرتير الأمم المتحدة عقد اجتماع خاص للجمعية العمومية، وطالب بأن تقوم الجمعية بتشكيل لجنة لدراسة الحلول المحتملة توطئة لحسم الأمر خلال الجلسة العادية التي ستعقد في الخريف.

بدأت سلطات الجهات المدنية البريطانية في فلسطين، تضعف رويدا رويدا، وانعزلت تلك الجهات في أماكن محصنة، وفي كانون الثاني ١٩٤٧، قاموا بإخلاء عائلاتهم إلى بريطانيا، وأخذت السلطة تنتقل رويدا رويدا إلى الجيش. وفي ربيع ١٩٤٧، عززت بريطانيا قواتها في البلاد بفرقة أخرى الفرقة الثالثة، والتي قدمت من

مصر، وهكذا، وقف في مواجهة الاستيطان اليـــهودي الــذي بلــغ عـــدده آنــذاك، حوالـــي نصف مليون نسمة، سبعة وســبعون ألــف جنــدي بريطــاني مــن ذوي الخــبرة القتاليـــة، إضافة إلى عشرة آلاف مقاتل عربــــي.

ومن الجدير بالذكر، أن القوات البريطانيـــة كــانت تتعــامل بــترو وضبــط نفــس كبيرين، مع الاســـتيطان اليـــهودي، رغــم أن العديــد مــن ممارســات الاســتيطان كــان بالإمكان تفسيرها على أنها تحدٍ وذلك على عكـــس القــوات الفرنســية فــي المســتعمرات، وعكس الجيش الألماني في أوروبا. فالقوات البريطانيـــة لــم تكــن تســيء إلــى الجمـــاهير اليهودية في المستوطنات كرد انتقامي على الأعمال المعادية التـــي يقــوم بـــها اليـــهود ضـــد البريطانيين. ورغم ذلك، لم يتورع البريطانيون عـــن اســتخدام الضغــوط ضــد شــخصيات مركزيـــة فـــي الاســتيطان اليـــهودي، ولــم يحرصــوا علـــى أن تكــون تلــك الضغـــوط دائما(جنتلمانية). فقد هدد البريطانيون، الوكالة اليهوديـــة، بأنـــه إذا لــم تتعــاون معـــهم فـــي مجال محاربة الإرهاب في البلاد، فسوف يتم الإعـــلان عـــن فـــرض الأنظمـــة العســكرية، ونقل جميع الصلاحيات في التعامل مع الاســتيطان إلــى الجيــش.

وفي آذار ١٩٤٧، نفذ البريطـــانيون تـــهديدهم، وفرضــوا علـــى أجــزاء مختلفـــة من البلاد نظام حظر التجول لمدة خمسة عشر يوما، ونفــذوا عمليــات تفتيــش دقيقـــة.

عمدت الهجناه، في تلك الآونة إلى إيجاد قيادة بديلـــة ســرية مؤقتـــة فـــي كيبوتـــس مرحابيا خارج المنطقة التي تم فرض حظر التجول عليـــها، وضـــم إليـــها شــموئيل ديبـــون، وإيسار هرئيل وحاييم يعري من مكتـــب (هشـــاي).

<u>الساحة السياســـية:</u>

واصلت منظمتا (الاتسل وليحي) عملياتـــها ضـــد البريطـــانيين، وقـــد اتســم قســم من العمليات بالجرأة البالغة والاســـتعراضية، ممـــا جعـــل منفذيـــها يحظــون بـــالكثير مـــن التعاطف في أوساط معارضي ضبط النفـــس. ورغـــم التعـــاطف، فـــإن غالبيـــة الاســتيطان العبري عارض ما كان يعتقد أنه انتهاك للانضباط الوطنــــي. بيـــد أن المنظمـــات المنشـــقة،

لم تقبل هذا التحفظ، ولجأت إلى استخدام الإرهاب ضد اليهود لأسباب عملية، تتعلق بالمال وأماكن الاختباء. فقد قامت تلك المنظمات، ومن أجل تمويل نشاطاتها بعمليات سطو مسلح، وابتزوا أموالا بالتهديد. وممارسة حملات دعائية في أوساط شبان الاستيطان العبري. لقد بلغت الأمور حد ضرورة اتخاذ قرار وطني من قبل المؤسسات اليهودية المعروفة لبلورة موقف موحد.

وفي العشرين من كانون الثاني ١٩٤٧، عقدت اللجنة الوطنية نقاشات حول المشاكل الارهابية، وقد قالت جولدا مائير، رئيسة الشعبة السياسية للوكالة اليهودية، التي مثلت رأي الاستيطان المنظم:" لا نستطيع إدارة أي معركة في الوقت الذي تقوم فيه مجموعة من المنظمات باتخاذ قرار حول صالح الشعب اليهودي، ولا تنصاع أبدا لقرارات الاستيطان اليهودي، ونتائج ممارساتها تقع على رأس الاستيطان كله. ولا يجوز، بأي حال من الأحوال، أن تفرض جماعات المنشقين إرهابها على الاستيطان، فالاستيطان الذي سيخضع للتهديدات الداخلية، لن يكون مؤهلا لمواجهة التهديدات الخارجية. إننا نسعى كي تدرك هذه المنظمات، بأننا وصلنا إلى مرحلة خطيرة، وتوقف نشاطاتها، ومثلما لا نرغب في استخدام القوة ضد اليهود في البلاد، فإننا نرفض الخضوع لقوة مجموعات ومنظمات، تحاول اتخاذ قرارات حاسمة حول مصير الاستيطان والشعب".

وفي نهاية اجتماع اللجنة الوطنية، تم اتخاذ قرار ينص على :" أن يقوم الاستيطان بحماية نفسه بالقوة ضد أعمال السيطرة والفرض والتخويف والتهديد والابتزاز المالي".

وعندما طلبت القوات البريطانية من الاستيطان التعاون معها في مجال قمع المنشقين، ردت جولدا مائير بالقول:" لا نوافق على أن نقول للاستيطان العبري ان يصبح جواسيس".

لقد بدا أن العمل ضد ما بدا في صـــورة غضـــب غـــير مســـيطر عليـــه، وأعمـــال لا ضرورة لها من قبل المنظمات المنشقة، ضروريا في تلك الآونـــــة. وقـــد لعبـــت الـــهجناه دورا بارزا في"الموسم الصغير". هسيزون هكتـــــان، وهـــو الاســـم الشـــيفري الـــذي أطلـــق على العمليات التي نفذتها الهجناه عـــام ١٩٤٧، لمنـــع المنظمـــات المنشـــقة مـــن الســـيطرة، بالقوة، والقيام بأعمال الابتزاز للاســـتيطان اليـــهودي. لقـــد احتلـــت هـــذه العمليـــات قســـما كبيرا من وقت"هشاي"، واقتطعت قسما لا يستهان به مـــن ميزانيتـــها، بيـــد أنـــها لـــم تدفـــع بها إلى وقف نشاطاتها في مواجهـــة البريطـــانيين.

بدأ بن جوريون- الـــذي عيـــن خـــلال اجتماعـــات الكونغـــرس الصـــهيوني، فـــي بازل: في كانون الأول ١٩٤٦، رئيسا لشعبة الأمن، إضافـــة إلـــى وظائفـــه الأخـــرى- فـــي التعمق في القضايا الأمنيـــة، ودراســـة احتياجـــات الدفـــاع. وفـــي إطـــار هـــذه الدراســـة، استدعت إليه قائد الهجناه ونشطاء أمن آخريـــن وطلـــب منـــهم أن يقدمـــوا إليـــه اســـتعراضا مفصلا للوضـــع.

ويتضح من الاســـتعراض أن"هشـــاي" اهتمـــت منـــذ نيســـان ١٩٤٧، بالقنصليـــات الأجنبية والصحف والشركات الدوليـــة.

لأول مرة، تتطرق كتابات رسمية، إلـــى بـــدو النقـــب، وتشـــير التقـــارير إلـــى أن شركة (مكوروت) اليهودية مدت خط أنابيب مياه إبـــان بـــروز الإحـــدى عشـــرة مســـتوطنة الجديدة في شمالي النقب منـــذ تشـــرين الأول ١٩٤٦، وحتـــى عـــام ١٩٤٧. وكـــي تحـــول دون معارضة بدو النقب لذلك، أو قيامهم بعمليـــات تخريـــب ضـــد الأنبـــوب، تـــم تركيـــب بعض الصنابير في أماكن معينة من الخط كي يضخوا المياه لـــهم ولقطعانـــهم. ومنـــذ ذلـــك الحين، فشل المحرضون من أعضاء اللجنة العربية العليـــا، فـــي دفـــع البـــدو للعمـــل ضـــد اليـــهود.

لقد تحول هذا الخط أيضا إلى مصدر لجمع المعلومات، حيـــث تـــم تكليـــف ديفيـــد كرون-ضابط"هشاي" في منطقة النقب، بحراسة الخط، وفي إطـــار ذلـــك قـــام بـــالعديد مـــن

الأعمال، من أجل توطيد العلاقات مع البدو، بـل وتمكـن مـن تشـغيل بعضـهم كحـراس لخط المياه، إضافة إلى تكليفهم بجمع المعلومات. كمـا تمكـن مـن اسـتغلال البـدو الذيـن يعملون قطاع طرق وعصابات لصوص، والذين كـانوا كثـيرا مـا يسـرقون أسـلحة مـن معسكرات البريطانيين، وكان يقوم بشـرائها منـهم.

وقد قدم شلتئيل إلى بن جوريون مشـروعا لميزانيـة هشـاي للعـام ١٩٤٧ بقيمـة سبعة وستين ألف جنيه-(ما يعادل ٢,٣ مليـون شـيكل جديـد خـلال عـام ١٩٨٧)- وتـم الاتفاق على أن تدفع الشعبة السياسية مبلغ اثنين وأربعين ألـف جنيـه، وخمسـة وعشـرين ألف جنيه تدفعها الهجناه. وجرى توزيـع الاتفـاق علـى النحـو التـالي: ١٥ ألـف جنيـه للمكتب المركزي- الذي يضم عشـرين شـخصا-وخمسـة وثلاثيـن ألفـا للنشـاطات فـي الجليل- ثمانون شخصا- ويجب أن نتذكر أن قسما مـن ضبـاط "هشـاي" كـانوا يحصلـون على أجور مـن حكومـة الانتـداب كنواطـير، والبقيـة -١٧ ألـف جنيـه- مـن أجـل عملاء"هشاي" في الخارج. كما تم الاتفاق على إضافة خمسـة عشـر ألـف جنيـه شـهريا- ابتداءً من شهر تموز، وحتى أيلول، للعمـل ضـد المنشـقين. لقـد قـدرت ميزانيـة عـام ١٩٤٨ بمبلغ تسعين ألف جنيه في البـلاد، إضافـة إلـى خمـسة وعشـرين ألـف جنيه في الخـارج.

وفي السادس من تشـرين الأول، مـن نفـس العـام، سـجل بـن جوريـون فـي يومياته أن الميزانية قسمت وفقا لأقسام وشعب المعالجة علـى النحـو التـالي:

القســـم	المبـــلغ
الإدارة العامة	٣٧٧٦٧
الشعبة الداخلية(المنشقون والشيوعيون).	٣١٨٩٤
السلطات البريطانية	١١٤٠٠
الشعبة العربية	٣٧٧٩٥

الشعبة السياسية	١٣٠٦٤
العلوم والتوجيه وكلية العلوم التطبيقية.	٧٣٢٣
القيمة الإجمالية	١٣٦٢٤٣

وقد دفعت الشعبة السياسية ثلثي هذا المبلغ، في حين دفعت الـهجناه الثلث الباقي.

شعبة القدس:

طرأت تغييرات مهمة على شعبة القدس، فقد ضعفت إدارة الشعبة، حال توجه حاييم بن مناحم إلى أوروبا، كما تم تعيين ديفيد ميرون مكانه لفترة قصيرة.

ويقول بن مناحم وجوريئيل، أن تقصيرا حقيقيا في عمل"هشاي" برز إبان فترة تولي ميرون. وعندما تم تعيين إسرائيل عمير قائدا لمنطقة القدس، قام بإعداد الأرشيف الرئيسي لـ"هشاي" في جبل المراقبين.

وكانت الوثائق والمعلومات التي تتراكم في الفروع تنقل إلى فرع القدس مخبأ في إحدى السيارات التي تسير في إطار قافلة تسير في الأحياء العربية مصحوبة بحراسة بريطانية.

وكان الحراس يجرون تفتيشا في السيارات التي تسير بصحبتهم لضمان عدم تهريب الأسلحة فيها. وفي صيف عام ١٩٤٧، اكتشف الحراس في إحدى السيارات وثائق تابعة لـ"هشاي" لم يتم إخفاؤها بصورة جيدة، ورغم أن الوكالة اليهودية تمكنت من تمييع القضية، الا أن الوثائق بقيت لدى البريطانيين. ولربما أن ضبط هذه الوثائق كان عاملا مؤثرا على صعيد قرار استبدال ميرون بإسحق ليفي، الذي عين رئيسا للشعبة في أيلول ١٩٤٧.

لم تتوقف الأحـــداث السياســية للحظـــة، فالنضــال الــذي خاضتـــه الســفن التـــي تهرب المهاجرين، جعل مسألة (أرض إســرائيل) لا تغيــب للحظـــة عــن صـــدر صفحـــات الصحف الدولية، وعلى وجـــه الخصـــوص الصحــف الأميركيـــة. وإزاء التعـــاطف الــذي أبدته العديد من الجـــهات العالميـــة إزاء عمليـــات تـــهريب اليـــهود إلـــى فلســطين، عـــزز مسؤولو الهجرة الثانية من نشاطاتهم، وتحولت موانئ إيطاليـــا كلـــها إلـــى بوابـــات للـــهجرة إلى فلسطين، وانتشرت شبكة التهجير في جميـــع أنحـــاء أوروبـــا.

وفي مطلع نيسان ١٩٤٧ وفي أعقـــاب اتخـــاذ الحكومـــة البريطانيـــة قـــرارا بنقـــل الانتداب إلى الأمم المتحدة، وقبل توجه بيفــــن إلـــى ســكرتير الأمـــم المتحـــدة طالبـــا عقـــد جلسة خاصة، -قال كريب لجوريئيـــل أن رجـــال حـــاييم يعـــري- الذيـــن اعتـــادوا العمـــل سرا لالتقاط صور للخرائط في بيت المساحة الحكومـــي-عـــثروا علـــى رســـالة ذات أهميـــة كبيرة ملصقة بإحدى الخرائط. وقـــد تـــم إرســـال الرســـالة مـــن وزارة المســـتعمرات إلـــى الســـكرتارية العامـــة للســـلطات الانتدابيـــــة، ويتحـــدث عـــــن إمكانيـــــة أن يخلـــي البريطانيون"أرض إسرائيل" وعلى ضـــــرورة التخطيـــط لإنشـــاء حكومـــة مؤقتـــة لمرحلـــة انتقالية. وقد أرفقت بالرسالة خارطة تتحدث عن الاحتمـــالات المختلفـــة لتقســيم البـــلاد بيـــن العرب واليهود فـــي أعقـــاب الإخـــلاء. وقـــد اتصـــل جورنيـــل فـــورا بـــالقدس، وحـــاول الحصول على معلومات تؤكد ما ورد في الرسالة آنفة الذكـــر، وتـــم تفعيـــل جمـــع الأجـــهزة في فرع (هشاي) في القدس، وبعد عدة أيام، علـــم أنـــه تـــم فتـــح ملـــف فـــي الســـكرتارية العامة باسم" حكومة انتقاليـــة لأرض إســـرائيل".

وقد تم اتخاذ قرار بإبلاغ هذه المعلومات إلى بـــن جوريـــون، بعـــد أن أرفـــق بـــها وجهة النظر التي أدلى بها البروفيســـور كوفـــنر-مـــؤرخ وبـــاحث فـــي تـــاريخ بريطانيـــا- والقائلة أن بريطانيا ستغادر فلســـطين حتمـــا.

بيد أن بن جوريون، والزعماء الإسرائيليين الآخريـــن الذيـــن تـــم اطلاعـــهم علـــى الأمر، لم يصدقوا أن ما يقال حقيقة، بل لقـــد أشـــار بعضـــهم إلـــى أن الجيـــش البريطـــاني

أخذ في تعزيز مواقعه واقامة مواقع ومعسكرات جديدة. بغيـــة تحويـل البـلاد إلـى قـاعدة رئيسية لجيش المملكة المتحدة في الشـــرق الأوســط.

أما(هشاي) فقد كانت على قناعة تامة بــأن هنــاك مــا يؤكـد هـذه المعلومــات، وواصل البحث عن معلومات أخرى تؤكد اتجاه الانسحاب بمــا لا يـدع مجــالا للشــك.

وفي تلك الفترة، عقد الســكرتير العــام للأمــم المتحــدة جلســة خاصـــة للجمعيـــة العمومية. بناء على طلــب بريطانيــا. وقــد اتخــذت الجمعيــة، فــي جلســة لــها، مطلــع الصيف، قرارا بتشكيل لجنة تحقيـــق، علــى أن تطــرح هــذه اللجنـــة الاســتنتاجات التــي ستخلص إليها أمام الجمعية العمومية العاديـــة، فــي خريــف ١٩٤٧.

وفي نهاية أيار، عقدت اللجنة جلســـتها الأولــى فــي نيويــورك، وفــي الســادس عشر من حزيران، عقدت جلسة في القدس. وكانت حكومــــة الانتــداب هــذه المــرة، هــي إحدى الجهات التي جرى التحقيق معها، إضافة إلــى الطرفيــن اليــهودي والفلســطيني.

وفي نفس اليوم الذي بدأت فيه اللجنـــة أعمالــها فــي البــلاد، حكــم البريطــانيون بالإعدام على ثلاثة من نشطاء"الاتسل" والذين ضبطــوا إبــان عمليــة الفــرار مــن ســجن عكا. وقد رفض البريطانيون طلب اللجنة القائلة بعدم إعدام الثلاثـــة فــي الآونـــة الحاليــة.

وفي الثامن عشـــر مــن تمــوز شــهد الرئيــس الســويدي للجنــة، واثنــان مــن أعضائها سيطرة البريطانيين على سفينة "اكسودوس" التــي كــانت تقــل المــهاجرين اليــهود المهربين إلى إسرائيل. وفي السابع والعشرين من تموز تــم إعــدام الاتســل الثلاثــة، ممــا جعل الاتسل يغتال الرقيبين البريطانيين اللذين كان يحتفـــظ بــهما رهينتيــن.

وفي أعقـــاب ســماع الشــهادات فــي القــدس وبــيروت، توجــهت اللجنـــة إلـــى سويسرا، وفي الحادي والثلاثين من آب، تم نشــــر التقريــر. والـــذي أوصـــى فيــه غالبيـــة أعضاء اللجنة بوقف النظـــام الانتدابــي، وتقســيم البــلاد إلــى دولتيــن إحداهمـــا عربيـــة وأخرى يهودية تشمل القطاع الساحلي والنقـــب والجليــل الشــرقي.

وتوطئة لقدوم اللجنة إلى القدس، طلب من"هشاي" تزويد المؤسسات الوطنية اليهودية بمعلومات حول المواقف الشخصية لأعضاء اللجنة، وللحيلولة دون التنسيق في النشاطات الاستخبارية، ولضمان الاستنفاذ الكامل للمعلومات، عين ديفيد شلتيل، حاييم هرتسوغ، منسقا عاما لهذه النشطات الاستخبارية.

وقبل وصول اللجنة إلى القدس، أجريت اتصالات مع عدد من العمال اليهود في مركزية الهواتف البلدية، من أعضاء الهجناه، وقد قام هؤلاء العمال بالتنصت على هواتف أعضاء اللجنة في أماكن سكناهم، وأقيم مركز تنصت في إحدى الشقق في حي القطمون، وعمل فيه أشخاص متخصصون على مدى الأربع والعشرين ساعة.

وفي نفس الوقت تم ترتيب تنصت دائم على خطوط هواتف عدد من الموظفين رفيعي المستوى في حكومة الانتداب، ومن ضمنهم رئيس المباحث البريطانية(سي.آي.دي)، وكان أول نبأ يتم التقاطه هو أمر بإجراء تفتيش دقيق لموشيه سنيه، الذي كان سيسافر إلى الخارج، صبيحة اليوم التالي. ووضعوا رقابة أيضا على هاتف الجنرال باركر ووريثه في المنصب، واللذين كانا شديدي الحذر في مكالماتهما الهاتفية. في حين أن السكرتير الأول (مشاو) وبعده(جورني)، وسكرتير المندوب السامي لم يكونوا حذرين في محادثاتهم.

كما وضعت "هشاي" رقابة على هاتف ضابط اتصالات السكرتير الأول للجنة.

كما وضعت "هشاي" أجهزة تنصت على هواتف الزعماء العرب في القدس، والذين كانوا يتحدثون هاتفيا مع البريطانيين، دون أي حذر كما وضعت أجهزة تنصت على قيادة الجيش البريطاني في القدس.

كان زئيف جسكو، هو المسئول عن جميع عمليات التنصت الهاتفي، في جميع أنحاء البلاد. وقد قام بتنظيم مراكز تنصت في حيفا والعفولة، وصفد وطبريا. وكانت هذه المركزيات، تتلقى معلومات وافرة جدا عن جيش القاوقجي، والعديد من

المجموعات العربية العاملة ضـــد اليــهود، وبفضــل هــذه المعلومــات حيــل دون وقــوع العديد من العمليات. ولم ينجح جسكو في تنظيم عمليات تتصــت فــي جنــوب البــلاد نظــرا لانه لم يعمل يهود في المركزية هنــــاك.

الفصل التاسع

شبكة هشاي في القدس وحيفا
عشية حرب ١٩٤٨

يمكننا وصف الفترة الواقعة بين الحرب العالمية الثانية وإقامة دولة إسرائيل، على النحو التالي:

عام ١٩٤٥ كان عام الآلام وخيبة الأمل، وعام ١٩٤٦ كان عام الانفجار والتمرد، وعام ١٩٤٧ كان عام ضبط النفس والتوتر والاستعداد، وعام ١٩٤٨ كان عام الحرب على جميع الجبهات.

والفصل الذي نحن بصدده يتطرق إلى الأحداث على الصعيد الاستخباري عام ١٩٤٧، وعلى وجه الخصوص في "هشاي" القدس، والذي تحول في غضون هذا العام، إلى مركز لجمع المعلومات، والتقديرات القطرية. كما يتطرق هذا الفصل إلى "هشاي" حيفا الذي احتل مكانة بارزة خلال هذه الفترة.

وقد شغلت الساحة السياسية، آنذاك، الزيارة التي قامت بها لجنة الأمم المتحدة للبلاد، والتي أرسلت لفحص الإمكانيات المختلفة للحلول المستقبلة وقد استخدمت توصيات للجنة-التي أوردناها سابقا- كبرنامج للنقاش في الجمعية العمومية للأمم المتحدة. التي عقدت اجتماعاتها في خريف ١٩٤٧، في الولايات المتحدة، وخلال النقاشات العلنية والاتصالات السرية، تمت بلورة القرار النهائي الذي تم اتخاذه في التاسع والعشرين من تشرين الثاني، فيما يتعلق بتقسيم "أرض إسرائيل".

كانت الأجواء في البلاد شديدة التوتر، والقدس تغص بالحركة. كما أن الشعور بأن هناك شيئا كبيرا على وشك الحدوث، دفع بـ"هشاي" إلى العمل على توسيع اختراقه لجميع اذرعة السلطة، بغية الإطلاع على نوايا السلطات البريطانية بشأن إخلاء فلسطين. وقد شارك في هذه النشاطات عدة أشخاص بارزين من (هشاي)

القدس، والذين كانوا يجمعون حولهم عـــدة شــبكات لجمــع المعلومـــات. وقــد تــم تجنيــد العديد من الجــــهات لـــهذا الغــرض، مثــل جماعـــات الأكـــاديميين والطلبـــة، وجماعـــات المومسات اليهوديات، واللاتي كن قادرات على الحصـــــول علـــى الكثـــير مـــن المعلومـــات وقد أبدين رغبة كبيرة في ذلــــك.

لقد تم تعيين اسحق ليفي، في أيلول ١٩٤٧، رئيســا لفــرع"هشــاي" القــدس، رغــم أن عمل المخابرات كان غريبا بالنسبة له، لقد كـــان رجـــلا عســكريا ذا خـــبرة فـــي مجـــال العمل الأمني في الشرطة والجيش البريطـــاني. وقــد أدت طبيعتــه وتجربتــه، إلــى جعلــه يدرك احتياجات الاستخبارات العسكرية، بصورة افضــــل، ولـــهذا الســبب، كــرس جــهودا أكبر لهذا المجال، أضف إلى ذلك، أن حصار القـــدس والاحتياجـــات اليوميـــة لـــها، تطلبـــت ذلك. وهكذا، تم إهمال المخابرات المدنية، التي كـــانت أساســـا، حتـــى هـــذه اللحظـــة، فـــي فرع القدس، بيد أن هذا الفراغ سرعان ما تم ملؤه بالنشــــاطات التـــي قـــام بـــها عـــدد مـــن منظمـــات جمـــع المعلومـــات الصغـــيرة، والتـــي عملـــت بصـــورة فرديـــة، ومـــن أبـــرز شخصيات هذه المنظمـــات كـــان (شـــلهبت فريـــار، وموشـــيه ساســـون، واليكـــس كينـــان، وموشيه بيامنطه، ونتنائيل لورخ، ويوسي كرمـــل، ونـــاحوم ادمونـــي).

وفي نفــس الوقــت، انتظمــت فـــي القــدس مجموعـــة شـــبان، أنـــهت دراســـتها الثانوية، وحددت لها هدفا، هو مراقبة تحركـــــات الجيــش البريطـــاني فـــي القـــدس. ومـــن بينهم موشيه ساســـون، واليكـــس كينـــان، وموشـــيه شـــيله، وقـــد تمـــت تســـميتهم بســـبب اعمارهم، وعلاقاتهم العائلية باســـم "الآبـــاء" وكـــانت المعلومـــات التـــي يحصلـــون عليـــها، توزع في تقارير"هشاي" تحت اسم (مكتب الرقابة الشـــــبابية). لقــد كـــانت غالبيـــة أعضـــاء هذه الشبكة أبنـــاء موظفيـــن يـــهود رفيعـــي المســـتوى، والذيـــن اســـتغلوا علاقاتـــهم فـــي الحصول على معلومات عن البريطانيين. لقد كان ساسون هـــو المبـــادر إلـــى تشـــكل هـــذه المجموعة، من بين الطلبـــة، وقــد توجــه إلـــى زملائـــه الطلبـــة ســـرا، واقـــترح عليـــهم الانضمام إلى إطار الهجناه ســـرا.

لقد اشتملت تقارير جماعة (الآباء) على معلومات متنوعة، تتناول شتى مناحي الحياة بالنسبة للبريطانيين. ويتضح من مراجعة ملف المعلومات الذي قام أعضاء هذه المجموعة بنقلها خلال الفترة الواقعة بين آذار-حزيران ١٩٤٧، أنهم نقلوا معلومات في المجالات التالية: مخازن الذخائر، كميات الأطعمة في مخازن الجيش البريطاني، وانتشار الجيش البريطاني في المناطق المختلفة.

كانت مهمة (رام حبيب) الالتقاء مرة أو مرتين، أسبوعيا، مع الأشخاص الذين جندهم وهم في غالبيتهم سكرتيرات أو موظفات يعملن في مكاتب حكومة الانتداب، والحصول منهن على المعلومات مكتوبة. وفي إحدى المرات، قدمت إليه سكرتيرة النائب العام مسودة لقانون الحياة البريطاني، الذي تم سنه بروحية الكتاب الابيض، وترمي للمساس بالزراعة اليهودية وقالت له: أنها تشعر أن النائب العام يعلم بأنها تقدم معلومات لليهود-على ما يبدو- وأنه لا يعارض في ذلك.

وفي صيف ١٩٤٧ بدأت شبكات المعلومات التي أقامها يوسي كرمل، في أوساط عمال حكومة الانتداب، تؤتي أكلها إضافة إلى الشبكة التي زرعها ايتان ازراحاي في أوساط خدم الفنادق والمقاهي، وعمال الفنادق، والمؤسسات، والشبكة التي زرعها نتنيئيل لورخ، في أوساط الممثليات الأجنبية في القدس. وتم تشكيل طاقم طباعة يقوم بطباعة التقارير وإرسالها فورا إلى مركز "هشاي".

وكانت مجموعة المتطوعين والمتعاونين في أوساط رجال الشرطة اليهود العاملين في شعبة الرقابة على وسائل الإعلام، وشيفرة المباحث البريطانية في القدس، هي أكثر المجموعات إنتاجا، وتقديما للمعلومات السرية.وكان غالبية العاملين في هذه الشعبة من اليهود الأوروبيين الذين كانوا يجيدون اللغات الأوروبية، إضافة إلى إجادة اللغة العربية. وقد ترأس هذه المجموعة "إسرائيل فينر" وعندما استقال من الشرطة حل بدلا منه (يوآل آربسمان) .

كانت شعبة الرقابة والشيفرات آنفــة الذكــر، تعمــل فــي مجــال التنصــت علــى الهواتف، ورغم أن البريطانيين كانوا يقومون بجميــع الأعمــال المتعلقــة بالشــيفرات، فقــد تمكن رجال الشرطة اليهود، من الوصول إلى هذه الشــيفرات والأســرار التــي تتضمنــها.

وفي نهاية صيف ١٩٤٧، وقع خطأ خطير في شــبكة رجــال الشــرطة: لقــد تــم بناء المخبأ الأساسي الخاص بـــ"هشــاي" القــدس، فــي جبــل المراقبيــن، وكــانت"هشــاي" تنقل إليه المواد التي تــتراكم لديــها، مــرة أو مرتيــن أســبوعيا. وقــد تــم نقــل المــادة المذكورة، من مبنى مجلس العمال في شارع الهســتدروت، فــي حقيبــة يتــم إخفاؤهــا فــي سيارة تاكسي. أو في سيارة خاصة كانت تنضم إلى القوافــل المتوجهــة مــن المدينــة إلــى جبل المراقبين. وفي نهاية آب، تم إيقاف السيارة التي تحمــل المــادة، علــى أحــد حواجــز الشرطة وخلال الحديث الأول، الذي دار مع سائق السيارة، بــدا وقحــا فــي حديثــه، ممــا حدا بالشرطة لانزاله من السيارة وتفتيشها بصــورة دقيقــة جــدا، والعثــور علــى الحقيبــة ومصادرتها. وقد أدى العثور على المعلومات إلى اعتقــال رئيــس شــبكة رجــال الشــرطة اليهود، ومحاكمته وطرده من الخدمة. وقد بــاءت جميــع الجــهود التــي بذلــت لاســتعادة الحقيبة بالفشــل.

ورغم ضبط الحقيبة الا أن رجال الشــرطة اليــهود واصلــوا العمــل كالمــألوف، وكأن شيئا لم يحدث، نظرا لأنه لم يكن لدى البريطــانيين بدائــل لــهم.

وفي تموز ١٩٤٦، عاد نتنئيل لورخ إلى البــلاد بعــد أن أدى الخدمــة العســكرية ضمن الفرقة اليهودية في الجيش البريطــاني. ثــم توجــه إليــه بــاروخ جورئيــل وجنــده لـــ"هشاي" وحينما قامت لجنة الأمم المتحــدة بزيــارة القــدس، عمــل(لــورخ) مــع بــاقي المجندين، تحت رئاسة حاييم هرتسوغ. ويقول: أنه عمل ليــالي طويلــة فــي إلصــاق قطــع الأوراق الصغيرة التي عثر عليها في صناديق القمامة فــي مكــاتب اجتماعــات اللجنــة.

وفي أعقاب إتمام العملية، كلفه جورئيل بأن يعمــل علــى تشــكيل شــبكة لمعالجــة الأجانب من غير البريطــانيين فــي القــدس. وكــان يقصــد بذلــك القنصليــات الأجنبيــة،

والكنائس المسيحية. لقد كان عدد من الموظفين اليهود، يعملون في القنصليات الأجنبية ويجب استغلالهم بصورة جيدة.

وتمكنت الشبكة، حقا، من الحصول على معلومات مهمة حول القضايا التي كانت تجري مناقشتها بين القنصليات والسلطات، وبين القنصليات ودولها. كما أن التنصت على خطوط هواتف بعض هذه القنصليات، كان يسهم في تأكيد المعلومات المتوفرة أو نفيها. كما أن بعض هذه القنصليات كان مواليا للعرب.

لقد تم الحفاظ على هذا النشاط السري في أضيق حيز ممكن، ولم يعلم به، حتى الكثير من مسئولي (هشاي) أنفسهم. لقد أسفر العمل آنف الذكر، عن الحصول على معلومات عن القنصليات الأجنبية، عن نتائج شديدة الأهمية، بصورة خاصة، عشية إقامة إسرائيل. نظرا لأن القنصليات العامة الأميركية والفرنسية والبلجيكية أعلنت نفسها في الرابع من أيار، (كلجنة هدنة) ترمي للعمل على إبقاء الهدنة في القدس، حتى في أعقاب مغادرة المندوب السامي البريطاني. وقد صادقت الأمم المتحدة على مكانة هذه اللجنة، الأمر الذي جعل لنقاشاتها أهمية كبيرة جدا بالنسبة للمؤسسات اليهودية.

وفي خريف ١٩٤٧، بدأت شبكة جديدة تعمل في القدس، تحت اسم" شبكة يائير" وهو الاسم الشيفري ليوسيف كرمل، أحد موظفي الوكالة اليهودية، والذي تطوع لـ"هشاي" في مطلع نفس العام. ورويدا رويدا، بدأ كرمل يدير ويشرف على شبكات أخرى، ومن ضمنها شبكة عاملات النظافة، في الفنادق، واللاتي كن يقمن بجمع قصاصات الورق من سلال القمامة في الغرف التي تسكنها شخصيات رفيعة، وخصوصا في فندق الملك داود.

كما تم تشكيل شبكتي مومسات وعمال نظافة وخدمات في الفنادق. ومثلما أوردنا أعلاه، تمكنت هاتان الشبكتان من الحصول على الأسئلة التي كانت لجنة الأمم المتحدة تعتزم توجيهها إلى الشهود اليهود، خلال استجوابها لهم.

وأقام كرمل أيضا، علاقات واتصالات مع عمال في البريد الإقليمي المركزي، والذين كانوا يسلمونه عدة رسائل، لعدة ساعات للاطلاع عليها، واستنساخها وإعادتها. وضمت شبكة كرمل، خمسة وعشرين رجلا وامرأة.

ونورد فيمايلي عددا من الأنباء التي كان عمال الفنادق يقدمونها إلى "هشاي" من ٥-٦نيسان ١٩٤٨.

- هناك زائر يأتي بصورة دورية إلى مقهى فينا، نشتبه بتعامله مع البريطانيين.
- يفيد موظفون في وزارة المدفوعات البريطانية أن العمل في الوزارة سيتوقف في السادس والعشرين من نيسان.
- البريطانيون على وشك مغادرة مبنى شعبة العمل العامة في المنطقة(ب).
- يفيد أعضاء في منظمة (اتسل) أنهم تلقوا أوامر بإطلاق النار على ناقلات البنزين إذا لم تقم الهجناه بتزويدهم بالبنزين من محطة البنزين في حي (مائة شعاريم).
- ميجور- وهو شخص بريطاني يعمل في المحكمة العسكرية -أطلع مخبرنا على ساعة ذهب، وقال أنه حصل عليها من الهجناه. كما أن له علاقات وطيدة مع عائلة (شلوس) التي تسكن في شارع بن يهودا.

وحاول كرمل إقامة علاقات أخرى في مناطق ومواقع رئيسية. ومن الجدير بالذكر، أن "هشاي" لم تتجرأ على التوجه إلى (سارة أور) السكرتيرة الأولى لوزارة الزراعة، نظرا لانها كانت مشخصة مع الموظفات البريطانيات. وفي أحد الأيام وصل إلى ديفيد شلتئيل نداء عاجل من إسرائيل جاليلي طلب فيه أن يحاول شلتئيل ترتيب مسألة إفراغ حملة تراكتورات موجودة في إحدى السفن في ميناء حيفا، في أسرع وقت ممكن. والحقيقة أن الحمولة لم تكن تراكتورات بل كانت سيارات

اشترتها الهجناه من الخارج وكانت تعتزم إدخالها إلى القوافل في منطقة النقب والقدس.

توجه شلتئيل إلى "هشاي" في القدس، وفي أعقاب الفحص وجد كرمل أن القضية عالقة في وزارة الزراعة. واتضح أن مدير الوزارة رفض استيراد التراكتورات إلى البلاد، لأنه أدرك من التفاصيل، أن الأمر لا يتعلق بتراكتورات زراعية. وقد اقترحت إحدى المتعاونات مع "هشاي" على كرمل، أن يتوجه إلى سارة أور لأنها تعرف بصورة جيدة، مدير الشعبة الزراعية.

وقد اجتمع ايجال قمحي، نائب رئيس"هشاي" في القدس، مع (سارة اور) فوعدته بأن تبذل جهدها. واشترطت أن يتم تجنيدها في الهجناه قبل تنفيذها العملية، وفعلا تم تجنيدها بصورة رسمية. وقد أجرت سارة اور اتصالاتها مع مدير الشعبة الزراعية، في الحادي عشر من آذار ١٩٤٨، وهو نفس اليوم الذي وقع فيه الانفجار في باحة الوكالة. وعندما اجتمعت، بعد وقت قصير، مع قمحي، في مقهى طعمون، قالت له: أن مدير الزراعة استجاب لطلبها، وقال: ما دام العرب عملوا على تدمير الوكالة اليهودية، يحق لكم أن تحضروا دبابات ووقع على تصريح الاستيراد.

ومن أجل الحيلولة دون اكتشاف أي عميل من عملاء الوكالة، حرصت جميع الشبكات على السرية التامة من أجل ضمان عدم معرفة أي عميل للآخر ولهذا السبب، قام كل عميل منهم بالاتصال فقط بضابط اتصاله، كما أعطي كل عميل اسما شيفريا مختلفا عن الآخر، ولقب به في جميع الاتصالات مع "هشاي".

ومع معرض إجمال الفترة القصيرة-ثمانية أشهر- الفاصلة بين تسلم اسحق ليفي، رئيسا لفرع"هشاي" في القدس في أيلول ١٩٤٧، واقامة دولة اسرائيل، يمكننا القول، أن هذه الفترة تميزت بتحقيق إنجازات كبيرة جدا، على صعيد جمع المعلومات من ناحية ، وبانعدام الانسجام بين رؤساء الشبكات ورئيس الفرع من الجانب الاخر. ففي الوقت الذي كان فيه رؤساء الشبكات يميلون إلى القيام بأعمال

المخابرات العامة، والاستقلال، والاتصال المباشر مع العمـــلاء، فقـد أولـــى اسـحق ليفـي أهمية عليا لتوفير معلومات عسكرية تنفيذية لقـــادة الـــهجناة.

وقد أدى هذا الوضع إلى حدوث ضبابية فيما يتعلـــق بالصلاحيـات، وهـو الأمـر الذي لم يكن قائما في أي فرع من فروع "هشاي"، إضافة إلـــى توخـــي كـل طـرف، مـن ناحيته، السرية فيما يتعلق بشخصه، مما جعـــل العـاملين فـي فـرع القـدس، لا يعـرف أحدهم الآخر، في الوقت الذي كان فيه أعضاء الفـــروع الأخـرى يعرفـون بعضـــهم، بـل ويقيمون حفلات مشتركة، وربما أسهم الضغط الـذي يواجهـه فـرع القـدس هـو أيضـا، في تعميق الهوة القائمـــة.

عززت "هشاي" نشاطاتها للجمع الاســتخباري للمعلومــات ضــد البريطــانيين فــي العديد من المدن، ولم تقصره على القدس. وأبـــرز المـــدن التـــي تركـــزت فيــها عمليــات جمع المعلومات، مدينة حيفـــا، وقــد تــرأس الشــعبة هنــاك اســحق وردي(روز)، وهــو ضابط سابق في الجيش البريطـــاني. وحـــال عودتــه مــن الحــرب، فــي تمــوز ١٩٤٦، جنده شلتئيل، وسلمه الشعبة في حيفا. ونظرا لأنه لـم تكـن لديـه فكـرة اسـتخبارية، فقـد تم تشغيله في العديد من القضايـــا الإداريـــة.

وفي مطلع عام ١٩٤٧، كلف بأول المهام، والمتمثلة فـــي العمـــل علـــى اخـــتراق المؤسسات الحكومية والعسكرية، وعلى غرار ما حــــدث فـــي القـــدس، جـــرى التنصـــت على خطوط هواتف شخصيات بريطانيـــة وعربيـــة وتـــم تكليـــف الســـكرتيرات العـــاملات في مكتب هاري بيلين– ممثل الوكالة اليهودية في حيفـــا– بالقيـــام بمهمـــة التنصـــت. أمـــا عملية الإصغاء للاتصالات اللاسلكية العلنية، فـــي وســـائط النقـــل العســـكرية البريطانيـــة، التي كانت تتجول في المدينة، ولدوريات حرس الحـــدود التـــي كـــانت تفتـــش عـــن ســـفن المهاجرين غير المشـــروعين، فقـــد جـــرت علـــى أيـــدي مجموعـــة مـــن معلمـــي اللغـــة الإنجليزية في مدرسة هرئيـــل.

كانت قيادة الفرقة السادسة المحمولة جـــوا، تقيـم قيادتـــها علـــى جبـــل الكرمـــل، وكانت هذه القيادة مسئولة منذ شباط ١٩٤٧، عـــن حمايـــة القـــانون والأمـــن فـــي شـــمالي البلاد. وقد شملت الفرقة كتيبة المدرعات الخفيفة لفرســـــان الملـــك. ووضـــع تحـــت إمـــرة هذه الفرقة، الجيـــش العربـــي، وســـلاح الحـــدود العربـــي الأردنـــي. وقـــد عملـــت هـــذه الوحدات على محاربة الهجرة اليهودية غير المشـــــروعة والمنظمـــات اليهوديـــة.

الفصل العاشر

الإخلاء البريطاني
نهاية عام ١٩٤٧ وحتى أيار ١٩٤٨

أعلن وزير المستعمرات البريطاني أمام البرلمـــان، فــي الســادس والعشــرين مــن أيلول ١٩٤٧، أن الحكومة قررت إنهاء انتدابها على فلســطين فــي أســرع وقــت ممكــن، وأنها ستؤيد أي خطة مقبولة لدى العرب واليهود معا، وإذا لم تتوفـــر مثــل هــذه الخطــة، سيتوجب على الأمـــم المتحـــدة أن تقــرر ماهيـــة الأســلوب الــذي يجــب اتخــاذه لنقــل الصلاحيات في البلاد. بيد أن العرب واليهود علـــى حــد ســواء، لــم يصدقــوا تصريــح وزير المستعمرات، واعتبروه بمثابة مناورة بريطانية لإبـــداء حســن نوايــا باتجــاه الأمــم المتحدة، في حين أن البريطانيين يعتزمون خلق تواجد دائم لــــهم فــي البــلاد.

وكان زعمـــاء الاســتيطان-وحتـــى بــدء الانســحاب البريطــاني- يعتقــدون أن البريطانيين سيعملون على تثبيت وجودهم في البــلاد، عــبر مركــزة قواتــهم فــي أمــاكن محددة بصورة مباشرة، أو بالتآمر مع العـــرب فــي إطــار خطــة(موريســون جريــدي)، وأنهم سيستغلون جميع المكائد الممكنة لاخفـــاء نوايــاهم.

كان مـــن الصعـــب عليـــهم أن يدركـــوا، أن الإمبراطوريـــة البريطانيـــة مرهقـــة، جراء خوضها حربين عالميتين كبيرتين، وأنـــها ملــت الســيطرة علـــى أراضـــي الغـــير، وتعتزم الانسحاب من مواقعها فـــي اســيا وإفريقيــا. ومـــن الجديـــر بـــالذكر أن تقديــرات "هشاي" كانت تختلــف عـــن تقديـــرات زعمـــاء الاســتيطان اليـــهودي. فقــد أكــدت لـــها المعلومات التي وصلت إليها، أن البريطانيين يرغبـــون فـــي إخــلاء البــلاد نــهائيا. وأول التقارير الموجودة بين أيدينا وصلت إلى "هشـــاي" فـــي التاســـع مـــن تمــوز ١٩٤٧. وقــد قدمه يهودي موثوق، والذي سبق أن عمل قبــل فــترة وجــيزة فــي الســكرتارية الأولـــى

وكلف بإعداد اقتراح"لتشكيل حكومة انتقالية" في حالة اتخاذ الأمم المتحدة قرارا بإحداث تغيير في الوضع الراهن في البلاد.

وهناك تقرير آخر، في عدد(يديعوت طنا) بتاريخ ٢٤ آب ١٩٤٧، وقد تم فيه اقتباس أقوال لمدير شعبة حكومية حيث قال: أنه لا يشك للحظة، في إخلاء بريطانيا لقواتها من البلاد في أعقاب استكمال النقاش في الأمم المتحدة. وأفادت الجريدة، أنه يجب التعامل مع هذا النبأ بجدية تامة، نظرا للاطلاع الواسع، لدى هذا الشخص بحكم وظيفته.

لقد قام اعتقاد رؤساء الاستيطان اليهودي بأن القوات البريطانية لا تعتزم الانسحاب من البلاد على التقارير المتناقضة التي كانت "هشاي" تقدمها لهم ففي الوقت الذي نصت فيه بعض هذه التقارير على أن البريطانيين يعتزمون الانسحاب حقا من البلاد، إلا أن هناك تقارير أفادت العكس تماما. مثل التقرير الذي أعدته "هشاي" القدس، حول الجلسة التي تم عقدها لدى قائد هيئة أركان القوات البريطانية في البلاد، في السادس والعشرين من تشرين الثاني ١٩٤٧، وجاء فيها: لن يتم إخلاء رفح، بل ستبقى قاعدة بريطانية دائمة– كانت المعسكرات البريطانية مقامة على أراض مصرية–.

وبعد فترة وجيزة، أفادت تقارير "هشاي" أن الجيش البريطاني يقوم بتوسيع وتحسين معسكراته حول رفح. وفي السادس من تشرين الثاني ١٩٤٧ أفاد مصدر استخباري آخر، تابع لـ"هشاي" أن البريطانيين لا يعتزمون مغادرة البلاد، رغم أنهم يسعون لاعطاء انطباع باعتزامهم تنفيذ الانسحاب.

وبعد شهرين بعث مخبر آخر بمعلومة، أفاد فيها أنه التقى شخصية عسكرية رفيعة المستوى في لندن، وقد أفادت هذه الشخصية، أن وزارة الدفاع والأسطول البريطاني معنيان بإبقاء حيفا تحت الإشراف البريطاني، إضافة إلى الاحتفاظ بقواعد في النقب. وفي السادس والعشرين من كانون الثاني ١٩٤٧، أفاد تقرير لـ"هشاي":

أن الجيش البريطاني طلب طعاما وتجهيزات تكفي لمدة ثمانية اشهر للعشرين ألف جندي. وأفاد تقرير آخر بأن الجيش البريطاني قام، في أعقاب إخلاء أجزاء من البلاد، بإحضار قوات عسكرية أخرى من مالطا وقبرص.

ونحن الآن، نملك تفسيرا للعديد من الظواهر التي تم تفسيرها آنذاك، بصورة مغايرة: فخطة البناء في رفح حددت قبل وقت طويل من تنفيذها. اما التجهيزات التي طلبت فقد خصصت للقوات البريطانية التي كان يجب ان تسيطر على منطقة حيفا حتى آب ١٩٤٨. أما القوات التي تم إحضارها إلى يافا، في نيسان، فكانت مخصصة للحيلولة دون سقوط المدينة بأيدي اليهود، نظرا لان خطة التقسيم كانت قد أعطتها للعرب.

أما العامل الثاني الذي حدا بقيادة الاستيطان العبري للاعتقاد بأن البريطانيين لن يخرجوا من البلاد فهي تطلعات ورغبات بعض القادة العسكريين البريطانيين، الذين كانوا-وعلى عكس قيادتهم السياسية يمنون النفس بالبقاء بصورة أو بأخرى في البلاد.

أما العامل الثالث، والأهم، فتمثل في انعدام الثقة بشكل تام، من قبل زعامة الاستيطان بالبريطانيين، منذ نشرهم للكتاب الأبيض.

اصبح "روبن شيلوح" منذ مطلع عام ١٩٤٨ مستشارا للشئون الاستخبارية لـ"بن جوريون"، وقد أسهم إلى حد ما في ثني بن جوريون عن فكرة عدم انسحاب البريطانيين.

وفي التقرير الذي بعث به الكسندر جوزي، مدير البرامج في محطة البث الحكومية إلى "هشاي" قال أن البريطانيين يعدون العدة لاخلاء قواتهم من البلاد في غضون خمسة أشهر وأن من المحتمل أن تقرر الأمم المتحدة إحضار أميركيين وسوفييت بدلا منهم.

وفي الثاني عشر من كانون الثاني ١٩٤٨، أفـــاد جــوزي بوجــود خطـــة مفصلـــة للبلاد، قامت الجامعة العربية ببلورتها، وتنص هذه الخطـــــة، علـــى أن يقــوم الملـــك عبــد الله باحتلال القسم العربي من فلسطين باســـم الجامعـــة العربيـــة، وعلـــى أن يقــوم المفتـــي بالاحتفاظ بالادارة على جميع فلســـــطين.

وأفاد جوزي: أن هناك خلافات قد نشبت بين الســـــير هــنري جــوزي-الســكرتير العام لحكومة"أرض إسرائيل"، ومساعديه في القدس، الذيــن أيــدوا الملــك عبــد الله، وبيــن البريغادير كليتون ضابط الاتصال فـــي الجامعـــة العربيـــة فـــي الســفارة البريطانيـــة فـــي القاهرة، الذي كان يؤيد المفتـــي.

كان تقرير جوزي دقيقــا ومســـهبا، وصـــف فيــه التصــور الــذي كــان شــائعا آنذاك، بين العرب، ومقبولا لدى الجماهير اليهودية فــــي البــلاد، والــذي ينــص علـــى أن البريطانيين سيحاولون الاستعانة بالعرب، لضمــــان تــأثيرهم فـــي المنطقـــة. ورغــم أنـــه كانت هناك خلافات عميقـــــة بيـــن مجموعـــات ضغــط بريطانيـــة مختلفـــة فـــي القـــاهرة والقدس وعمان، وقد طرحت جهات منها بين الفينـــــة والأخـــرى اقتراحـــات لدعــم الملـــك عبد الله أو المفتي. بيد أن هذا الوضع لم يكن يمثـــل سياســـة بريطانيـــة.

وقد أكدت التقارير الواردة من مصادر أخرى، صحــــة التقـــارير التـــي بعـــث بـــها جوزي وفي أعقاب المعلومات التي وصلت إلى "هشـــاي" مـــن بريطانيـــا، جعلـــت"هشـــاي" تطرح إمكانية أن يكون جوزي ذا علاقـــــة بالمخـــابرات البريطانيـــة، ورغـــم ذلـــك، فـــإن المعلومات التي كان يقدمها كانت صحيحة، وتـــدل علـــى اطـــلاع واســـع ومعرفـــة.لســير الأحـــداث.

وإذا صحت التكهنات القائلة بـــأن جـــوزي كـــان ضـــابط اســتخبارات بريطانيـــا، فإن بالإمكان تفسير انفتاحه تجاهنا، بأن المخابرات البريطانيـــة كـــانت تبـــدي تعاطفـــا مـــع اليهود، أكثر مما تبديه الجهات البريطانية الرسمية الأخـــــرى. وعلـــى مـــا يبـــدو، أن هـــذا

التعاطف قائم على العلاقات التي نمت إبان الحرب العالمية الثانية، بين عملاء المخابرات البريطانية، واليهود في فلسطين.

وفي مطلع تشرين الأول ١٩٤٧ استدعى (جورني) رؤساء الشعب المختلفة وأعلمهم بنية الإخلاء وكلفهم بأن يقدموا إليه في غضون شهر، اقتراحات حول حل شعبهم. أو نقل صلاحياتها إلى جهات أخرى. وقد شارك في هذه الجلسة يهودي واحد، والذي كان يحمل المواطنة البريطانية. وعندما توجه إليه ايجال قمحي، وطلب منه أن يعرف فحوى ما دار في الاجتماع، طرده من منزله. لقد تصرف تماما على غرار بعض الموظفين اليهود الآخرين في القدس، والذين كانوا إلى ما قبل إدراكهم اعتزام بريطانيا إخلاء قواتها، يتعاملون مع الاستيطان بنوع من الاحتقار، وفي أعقاب إدراكهم لنوايا البريطانيين، غيروا طبيعة تعاملهم، وأخذوا يأتون وحدهم إلى ضباط"هشاي" ويعلمونهم بما يعرفونه. بيد أن المشكلة أنهم لم يكونوا يقدمون المعلومات إلى الجهة التي يجب أن تتلقاها، وبالتالي لم يتم استقاء الجدوى اللازمة منها.

كانت هناك مشكلة تؤرق البريطانيين، وهي من هي الجهة التي يجب نقل الصلاحيات إليها حينما يحين أوان الإخلاء؟؟ وقد بعث نائب أمن المملكة البريطانية تقريرا حول الإخلاء في الخامس من تشرين الثاني ١٩٤٧، جاء فيه:" أن انسحاب الحكومة من المنطقة دون نقل الصلاحيات إلى حكومة/حكومات لاستمرارية السيطرة، سيعتبر انحرافا عن جميع المفاهيم المعروفة لنا، حتى الآن، في عالمنا المتحضر.

بيد أن معارضة العرب ورفضهم لقرار الأمم المتحدة في التاسع والعشرين من تشرين الثاني ١٩٤٧، وتهديدهم بمقاومة خطة التقسيم بالقوة، جعل هناك خيارا واحدا فقط للحكومة، التي يمكن تسليمها الصلاحيات، وهي الحكومة اليهودية.

وكان من الصعب توقع تعاون الحكومة البريطانية مع حكومة يهودية فقط- رغم أن قرار الأمم المتحدة أتاح هذه الفرصة بصورة رسمية- خصوصا وأن البريطانيين عادوا ليعلنوا أنهم سيعملون على تقديم المساعدة، فقط، لحل مقبول لدى اليهود والعرب معا.

ومن الجدير بالذكر، أن أخذ حكومة أرض إسرائيل للعرب بعين الاعتبار، جعلها ترفض التعاون حتى مع أعضاء لجنة الأمم المتحدة الخمسة، والذين تم تعيينهم بناء على قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة، بغية إعداد سلطة انتقالية.

وإزاء غياب وجود قوة عسكرية تابعة للأمم المتحدة قادرة على فرض القرارات على الطرفين، وإزاء عدم تأييد الولايات المتحدة للخطة، بل وتراجعها عنها في التاسع عشر من آذار ١٩٤٨، فقد بقي قرار التقسيم يتيما.

وإزاء هذا الوضع، قرر البريطانيون اتخاذ جانب الحياد، والحفاظ على الهدوء والنظام ومحاور انسحابهم في المطارات والموانيء، حتى انسحابهم الفعلي. بيد أن غالبية محاور الطرق كانت تمر في المناطق المخصصة لليهود، مما أدى إلى عرقلة عمل الهجناه، وأحيانا أدى إلى تخريب هذه الأعمال.

أما على صعيد نقل السلطة، فلم تقم السلطات البريطانية بأي خطوات، باستثناء المسارعة في تصفية الممتلكات البريطانية، ونقلها إلى الجهة الأقوى على الصعيد العسكري، أو لمن يدفع ثمنا أعلى.

وفي شباط ١٩٤٧، اقترحت حكومة الانتداب على وزارة المستعمرات البريطانية، تسليم المجلس البلدي في القدس الصلاحيات الأساسية في المدينة، مثل إدارة الشرطة المحلية، والمستشفيات والمدارس، والمياه، وجباية ضرائب الممتلكات والأراضي.

ومن الجدير بالذكر، أن هذا المطلب كـــان يرمـــي لمســـاعدة العـــرب، نظـــرا لأن الاستيطان اليهودي كان يقوم بكل ذلك، منذ زمن طويل، في حيـــن لـــم يكـــن فـــي منـــاطق السكن العربية، من هو قادر على تحمل مســـئولية ذلـــك.

كـــان البريطـــانيون شـــديدي القلـــق فيمـــا يتعلـــق بالجهـــة التـــي يجـــب تســـليم الصلاحيات إليها. وفـــي تشـــرين الأول ١٩٤٧، عقـــد اجتمـــاع لكبـــار موظفـــي حكومـــة الانتداب، لمناقشة كيفية التصرف، إذا لـــم يتـــم العثـــور علـــى بديـــل مشـــروع فـــي نظـــر البريطانيين لتسلم السلطة في الخامس عشر مـــن أيـــار، وهـــو التـــاريخ المحـــدد لانســـحاب البريطانيين وقد جرت نقاشات لاحقـــة لنفـــس القضيـــة، حيـــث طرحـــت ودرســـت بدائـــل مختلفة من أجل إقامة سلطة وريثـــة للبريطـــانيين مثـــل: إدارة مؤقتـــة، تســـليم الإدارة إلـــى لجنة أمناء هيئة الأمم المتحدة، دعـــوة الوكالـــة اليهوديـــة، واللجنـــة العربيـــة العليـــا لتســـلم الصلاحيات، بل وطرحت فكـــرة إجـــراء حـــوار مـــع أحـــد الطرفيـــن، واقناعـــه بمطالبـــة بريطانيا بضم فلسطين إلـــى مســـتعمراتها.

والحقيقة، هي أن هذه النقاشات لم تتعد كونها نقاشـــات نظريـــة، ولـــم تتعـــد هـــذا الوضع إلى الجانب العملي كالقرار الذي اتخذه البريطـــانيون مثـــلا بإعـــادة الأراضـــي التـــي صادروها لاقامة معسكرات عليها إلـــى أصحابـــها.

لقد عرفت "هشاي" كل هذه الأشياء بفضل ســـيل المعلومـــات الـــذي تدفـــق عليـــها آنذاك. بيد أن هذه المعلومات، لم تكـــن قاطعـــة دائمـــا، ففـــي الوقـــت الـــذي أفـــادت فيـــه المعلومات مثـــلا، أن البريطـــانيين يعـــتزمون إعـــادة الأراضـــي التـــي صادروهـــا، إلـــى أصحابها، أفادت معلومات أخرى، بأنهم بدأوا بتسجيلها باســـم حكومـــة بريطانيـــا.

وإزاء هذا الوضع الضبابي، لم يكن مـــن الغريـــب أن يفســـر زعمـــاء الاســـتيطان اليهودي القرارات والإجراءات البريطانية علـــى أنـــها محاولـــة لخلـــق حالـــة فوضـــى فـــي البلاد.

وقد تم التأكيد على ذلك، في التقرير الذي أرسلته "هشاي" في الشمال في الحادي عشر من آذار ١٩٤٨، والذي يفيد فيه مدير شعبة الضرائب البريطاني في حيفا، بأنه تم إصدار أمر إليه، باستخدام سياسة فوضوية.

وهذا ما حدث حقا، فقد حدثت حالة فوضى تامة إبان عملية إخلاء القوات البريطانية، بيد أننا عرفنا، فيما بعد، أن هذه الفوضى نجمت عن تفكيك السلطة البريطانية على أرضية الإخلاء، وليس كسياسة موجهة، ترمي إلى منع الإخلاء أو إرجائه.

وفي السابع من تشرين الأول ١٩٤٧ نشرت "هشاي" في جريدتها "يديعوت طنا" وثيقة رسمية بريطانية تمت صياغتها على أيدي موظف بريطاني رفيع، وجاء فيها:

- بعد أن يتضح لجميع الجهات أننا حقا سنغادر هذه البلاد، وأن الإجراءات النهائية قد تم إعدادها. فإن السؤال الذي سيطرح نفسه هو هل سننجح في ترك هذا المكان، في حالة نظام أم في حالة فوضى؟
- نحن نعتقد أن بمقدور اليهود صد أي هجوم عربي، وأن بمقدور الهجناه فرض النظام في الاستيطان اليهودي.
- من الصعب معرفة النوايا العربية، وفيما إذا كانوا سيقبلون التقسيم أم أنهم سيعلنون الحرب. ولربما كان العرب أنفسهم لا يعرفون إلى أين يسيرون؟؟
- إذا ما شن العرب الحرب، ليس من الواضح فيما إذا كانت ستقع حوادث شغب؟ أم حرب متواصلة، والأمر رهن بالعلاقات القائمة بين الدول العربية. وإذا ما تم التوصل إلى حل، سيحاول العرب تقديم تنازلات لليهود، لإبقاء البلاد في وضع سلام، بيد أن نجاحهم في ذلك موضع شك.

جاء في التقرير الذي وصل إلى "هشاي" حول إجراء أحد عملائها حوارا في الرابع من تشرين الثاني ١٩٤٧ مع رئيس الرقابة البريطانية في القدس: أن قادة

الجيش توصلوا إلى استنتاج، في أعقاب النقاشات التي أجروها في القيادة العسكرية مفاده: أن "أرض" إسرائيل الغربية والشرقية ليست مهمة على الصعيد الاستراتيجي. وفي حالة نشوب حرب، سيكون البحر الأبيض بحرا مغلقا وسيكتفي الجيش بقواعد في كينيا ومالطا وقبرص.

لقد أسهم يعقوب هرتسوغ إسهاما كبيرا في توفير المعلومات الخاصة بنوايا البريطانيين، حيث تم إرساله إلى القاهرة، في محاولة للحصول على معلومات عن نوايا البريطانيين والجامعة العربية. وقد نجح هرتسوغ في إقامة علاقات ذات قيمة كبيرة، وعندما عاد عام ١٩٤٧ إلى القدس، أقام أيضا علاقة مع موظف بريطاني، في الشعبة السياسية التابعة للسكرتارية الرئيسية للحكومة يدعى (ج.ج شرينجهام) والذي كان متزوجا من عربية مسيحية، ومقربا إلى الشخصيات التي تقر سياسات السلطة. وكان شرينجهام يفتش عن أستاذ يدرسه كتاب (الجمرا) فقام هرتسوغ بهذه المهمة، طيلة الفترة الواقعة بين تشرين الأول ١٩٤٧ وحتى نيسان ١٩٤٨، وقد حاول طيلة هذه الفترة استخلاص معلومات منه، حول التفكير السياسي للسكرتارية الرئيسية للحكومة، والتي كان يترأسها (جورني) المعادي لليهود، وصديق العرب، لقد كان البريطانيون المعادون لليهود، والموالون للعرب مهتمين بأن يأخذ الملك عبد الله زمام الأمور بيده، ويسيطر على القسم العربي من (أرض إسرائيل) مما يسمح له بمواصلة التأثير في المنطقة.

وفيما يتعلق بمصير "أرض إسرائيل" بصورة عامة، والقدس بصورة خاصة، في أعقاب الإخلاء البريطاني، قال شرينجهام: أنه ودون تقديم البريطانيين المساعدة، ودون الاتفاق مع شرق الأردن، فإن مصير الاستيطان اليهودي إلى الزوال. وأن القدس ستنجو من حوادث الشغب، فقط، إذا وضعت تحت سيطرة الملك عبد الله، لذا يجب على اليهود الذين يعيشون في القدس، أن يضعوا كامل ثقتهم بالملك عبد الله

واللجنة العربية العليا. وقد وصف شرينجهام قول هرتسوغ، بأن الهجناه ستتمكن من هزيمة العرب بسهولة، وقال: لو أنه كان يهوديا، لسافر إلى الخارج.

وفي الثاني والعشرين من نيسان، وفي أعقاب نجاح الهجناه في سلسلة العمليات التي قامت بها، وتمكنت على إثرها من فتح طريق القدس، وصد الهجمات العربية في العديد من الأماكن الأخرى، غير شرينجهام رأيه، وقال: أن من المحتمل أن تتمكن الهجناه من احتلال القدس كلها باستثناء البلدة القديمة.

وعندما بات من الواضح أن الإخلاء البريطاني أصبح على الأبواب، سعت"هشاي" للحصول على ردود عن التساؤلات التالية: وفقا لأي نظام سيخلي البريطانيون قواتهم؟ وما موعد إخلائهم للمواقع الرئيسية؟ وخصوصا مراكز الشرطة ومعسكرات الجيش والمناطق الأمنية؟ وما الذي سيفعلونه بالمستندات والأوراق الحكومية؟ وهل سيتواصل الحظر البحري على سفن المهاجرين؟ وهل سيتم السماح بإحضار تجهيزات وذخائر للقوات اليهودية؟ هل ستتواصل المساعدات المقدمة للعرب، ونزع أسلحة المدافعين اليهود؟

وفي خريف ١٩٤٧ أصبحت عملية جمع المعلومات ممتازة للدرجة التي تمكن خلالها عملاء"هشاي" من توفير غالبية الردود على التساؤلات آنفة الذكر.

لقد برزت المشاكل للاستيطان اليهودي من مكان لم يكن متوقعا، فقد قام بعض الجنود والضباط البريطانيين بعمليات انتقامية ضد الاستيطان، عقابا له على الأعمال والعمليات التي قامت بها المنظمات اليهودية المنشقة ضد البريطانيين، وقاد هؤلاء الجنود والضباط الميجور (روي فارن).

ويتضح من تقارير "هشاي" أن عدد القوات البريطانية كان على النحو التالي: ٢٥ ألف جندي في الشمال، ١٢ ألف جندي في الجنوب، وفي المنطقة الوسطى ١٢ ألف جندي، وفي صرفند وضواحيها خمسة آلاف، وفي القدس وضواحيها ستة آلاف، أي حوالي ستين ألف جندي.

ومن الجدير بالذكر، أن هذه التقديرات دقيقة جدا، لأن عدد القوات البريطانية- باستثناء الشرطة، والقوات المساعدة كالجيش العربي بلغ ثلاثة وستين ألف جندي- وفقا لبروتوكولات جلسة رئيس هيئة الأركان البريطاني، في الثاني والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٤٧. وقد تمكنت"هشاي" القدس، من الحصول على نسخة من هذا البروتوكول.

وفي الثالث عشر من نيسان ١٩٤٨، قتل أربعة شبان يهود في القدس، بعد أن صادر البريطانيون أسلحتهم، وتركوهم في منطقة عربية. وفي أعقاب هذا الحادث، أمر ديفيد شلتئيل قائد المنطقة التابع للهجناه بمقاومة أي محاولة لنزع سلاح أعضاء الهجناه، ولو أدى الأمر إلى فتح النار.

وفي تلك الآونة قام حاييم يعري-رئيس الشعبة الفنية في "هشاي" تحت غطاء بطاقة صحفي مزورة بالطيران بطائرة خفيفة من مطار(دوف) في شمال تل أبيب، إلى مطار اللد، واستعان بعمال يهود جميعهم من أعضاء الهجناه، والذين تم تسليحهم بمسدسات، لفتح البريد الدبلوماسي الذي وصل في تلك الليلة من لندن إلى حكومة الانتداب، وتصويره. لقد أملت الهجناه في أن تتمكن عبر هذه العملية، من معرفة التفاصيل الدقيقة والنهائية للإخلاء الآخذ في الاقتراب.

كان أحد الضباط البريطانيين رفيعي المستوى، والذي يسكن في بنسيون تملكه امرأة يهودية في القدس، أحد المصادر المهمة لمعلومات "هشاي" فقد توجهت "هشاي" إلى صاحبة البنسيون وطلبت منها غض الطرف عن قيام أعضائها بتفتيش أوراق الضابط إبان عدم تواجده وقراءتها، بيد أن الضابط لاحظ ذلك، وقال لصاحبة البنسيون أنه لا يمانع في إجراء اتصال مباشر مع الهجناه. وقد قامت صاحبة البنسيون بإعلام الهجناه، فأمر شلتئيل بإجراء أول لقاء معه. وقد وافق الضابط على التعاون مع الهجناه، طالما أن ذلك لا يمس بمصلحة بريطانيا.

وهكذا، تحول هذا الضابط إلى مصدر معلومات ممتاز جدا، وقدم معلومات كثيرة بما فيها إعلام الهجناه بنية الجيش تفتيش قافلة الطعام التي ستعود من كفر عتصيون إلى القدس، بحثا عن السلاح، وقد تم نقل هذه المعلومات إلى قائد جوش عتصيون الذي حرص على عدم وجود أي أسلحة في القافلة، باستثناء مسدس كان يحمله شاب يهودي قد انضم إلى القافلة في آخر لحظة.

وبدءا من خريف١٩٤٧، طلبت قيادة "هشاي" من جميع الأفرع تقديم تقارير دورية أسبوعية حول ما إذا كان البريطانيون يعتزمون حقا إخلاء البلاد أم لا؟ وهكذا بدأت فروع هشاي تقدم تقريرا يوميا مكتوبا على أوراق خضراء، ويسمى التقرير الأخضر.

وفي آذار ١٩٤٨، توفرت معلومات معتمدة حول مرحلتي الانسحاب من البلاد، وتجسدت هذه المعلومات في مسودتي الأوامر اللتين أصدرهما الجنرال مكميلان، وأضيفت إليهما خرائط تحمل توقيعه.

وقد شملت الخارطة الأولى، والتي كان يفترض أن تدخل حيز التنفيذ الفعلي في الخامس عشر من أيار ١٩٤٨، المنطقة العسكرية في الحزام الساحلي، الممتد من رفح وحتى عكا، باستثناء منطقتي تل أبيب ويافا. أما الخارطة الثانية والتي كان يفترض أن تدخل حيز التنفيذ الفعلي في السابع عشر من أيار ١٩٤٨، فقد حددت المنطقة العسكرية حول حيفا، وتمثلت حدودها في عتليت في الجنوب، إضافة إلى كفر باروخ، ومستوطنة نهلال، وكفر حسيديم، وفي الشمال تمثلت في الخط الذي يمر على بعد عشرة كيلومترات جنوبي عكا.

وكان من المفروض أن يتم إخلاء غالبية القوات في الشمال عبر ميناء حيفا، وبناء على الخطة، كان البريطانيون يعتزمون الاحتفاظ بهذه المنطقة العسكرية الفاصلة حول حيفا، لفترة زمنية بعد الإخلاء.

وأفاد تقرير من "هشاي" حيفا، في التاسع والعشرين من نيسان، أن جلسة عقدت بمشاركة مساعدي نائب المستشار البريطاني لقائد المنطقة المذكورة، وقد تم تحديد ميزانية للاحتفاظ بالمنطقة، حتى الأول من آب، وقد احتار رئيس الجلسة في كيفية وصف المنطقة، نظرا لان القوات اليهودية سيطرت عليها وفر سكانها العرب.

وفي نهاية المطاف، حشد البريطانيون قواتهم في الكرمل، وسيطروا عليها، وعلى محاور الطرق القائمة على الطرق المؤدية إلى الميناء.

وقد أسهمت هذه الاستعدادات البريطانية في تعزيز مخاوف أولئك الذين كانوا يعتقدون بأن القوات التي سيتم تركيزها في رفح، في الجنوب، وفي منطقة حيفا في الشمال، إضافة إلى الجيش العربي في الشرق، ستستخدم كقبضات للسيطرة البريطانية المستقبلية على الدولة اليهودية.

هذا، رغم أنه لم تكن هناك أي دلائل تشير إلى صحة هذا الافتراض، بل إن جميع التقارير الاستخبارية، كانت تفيد العكس تماما، وتؤكد أن الخطوات البريطانية، هي خطوات نهائية لا رجعة فيها.

وفي الرابع عشر من كانون الثاني، حصلت"هشاي" على تقرير كتبه ضابط بريطاني رفيع في المخابرات، وجاء فيه:" يستحيل تقسيم هذه البلاد، ولن نسمح بتقسيمها، ولا شك أن الولايات المتحدة ستعلن، في نهاية المطاف، بغباء، تأييدها للقضية اليهودية، وحينها سيسود السلام في البلاد". ولاشك أن الضابط المذكور، يشير بأقواله إلى خطة التقسيم.

وفي الثالث من آذار ١٩٤٨، بعثت"هشاي" إلى جريدتها "طنه" وثيقة عاجلة جاء فيها:

"ترفق طيه، مذكرة أعدها أحد عملائنا فيما يتعلق بالمناطق المذكورة أعلاه وإمكانية إخلائها بصورة فجائية. ونظرا لأن مخبرنا، هو أحد كبار الموظفين في الجيش، فإن من المتوقع أن يكون من بين الشخصيات الأولى في القدس التي ستحاط

علما بالإخلاء. ورغم ذلك، فإنه عمل على إعـــداد هـــذه المذكـــرة المرفقـــة للتـــأكيد علـــى أنه ليس واثقا تماما من معرفته المســـبقة بصـــورة تتيـــح هامشـــا زمنيـــا كافيـــا للطـــرف اليهودي، للسيطرة عسكريا على المناطق التـــي ســـيتم إخلاؤهـــا.

وبناء عليه، فإننا نخلـــص إلـــى اســـتنتاج مفـــاده، أن مـــن الضـــروري إعـــداد قـــوة يهودية، ووضعها دائما في حالة تأهب قرب المكان الـــذي يحتمـــل إخـــلاؤه. كـــي تســـيطر عليه حال حدوث ذلـــك".

ورغم هذه المعلومة، إلا أن معلومات غير حقيقيـــــة أخـــرى وصلـــت إلـــى "هشـــاي" ونورد هنا إحداهـــا، نظـــرا لأن مثـــل هـــذه المعلومـــات أدت إلـــى وقـــوع العديـــد مـــن الضحايـــا:-

"إلى ديفيد، الدار، موريـــــه، يركونـــي ١-٤-١٩٤٨:

الموضوع :الإخـــلاء:

وصلت رسالة رســـمية إلـــى زينجـــر، وهـــو أكـــبر موظـــف يـــهودي فـــي شـــركة الكهرباء-من مدير الشرطة وموظفيـــــن آخريـــن-تفيـــد بـــأن الإدارة والجيـــش البريطـــاني والشرطة، سيغادرون المنطقة، ويتوجهون إلى منطقـــــة حيفـــا. وســـيقوم العراقيـــون، بعـــد يومين أو ثلاثة، بالسيطرة علـــــى المنطقـــة الأمنيـــة (أ) فـــي القـــدس، وقـــوات العراقييـــن تعسكر في الآونة الحالية، قرب المكان فـــــي الغـــور، وحـــال خـــروج الجيـــش البريطـــاني مـــن معســـكري اللنبـــي والعلمـــي، ســـيقوم العراقيـــون باحتلالـــهما، بـــل إن العراقييـــــن موجودون الآن على أراضي المعسكرين. وإضافة إلـــــى المواطنيـــن البريطـــانيين، ســـيبقى في القدس المندوب السامي ومعه مائتا جندي في منطقة قصـــر الحكومـــة، وقـــد تـــم تعيـــن زينجر مديرا لشركة الكهرباء في المنطقـــــة اليهوديـــة.

لقد ألحقت مثل هذه المعلومات، أضرارا جســـيمة بـــالقوات اليهوديـــة، حيـــث دفعـــت بالهجناه للقيام بعملية (يبوسي) الفاشلة. وكما يبدو فـــإن بعـــض هـــذه المعلومـــات، وصـــل من موظفين يهود ممن يعملون في حكومة الانتـــــداب، والذيـــن رفضـــوا قبـــل شـــهرين أو

ثلاثة التعاون مع الهجناه، بيد أنهم الآن يبذلون قصارى جهودهم من أجل إثبات إخلاصهم اليهودي.

ويقول بنحاس بيك، في المقالة التي نشرها أنه تمكن من الحصول على خطة الإخلاء في الثالث عشر من أيار ١٩٤٨، وأرسلها إلى شبكة (أوري) في (هشاي) القدس، وقد حصل عليها من مسيحي روماني، ذي علاقات وطيدة مع البريطانيين وقد طلب مقابلها ٢٥٠ جنيها استرلينيا، بيد أنه اضطر في نهاية المطاف للاكتفاء بخمسة وعشرين جنيها فقط، وبناء على الخطة، كان البريطانيون على وشك إخلاء المنطقة الأمنية(ج) صبيحة اليوم التالي-أي في الرابع عشر من أيار، في تمام الساعة السادسة صباحا، ويتجهون شرقا، حيث سيعبرون بالقرب من البوابة الجديدة، وباب الحديد، ثم سيتجهون شمالا باتجاه قلندية.

ويقول شموئيل توليدانو-والذي كان يعمل في شعبة "هشاي" العربية في القدس، ثم في تل أبيب:" قمنا بإعداد مجموعة من العملاء العرب. وكانت أهم المعلومات التي نرغب في الحصول عليها هي: متى سيخلي البريطانيون يافا، لأننا كنا ندرك أن الجهة التي ستبادر إلى احتلال مبنى الشرطة، ستسيطر على الوضع. وكنا نحصل على المعلومات بطرق مختلفة، بما فيها شبكة مومسات، وكنت أتلقى منها معلومات بصورة خاصة حول الوحدة العراقية المعسكرة في يافا منذ نهاية عام ١٩٤٧، وحتى بداية ١٩٤٨.

كانت أجواء الحرب واضحة جدا، لذا حصلنا على معلومات عن الجيش العربي أيضا، من أحد المخبرين، والذي تزوج فيما بعد، من فتاة يهودية وأرسلناه إلى عمان. أضف إلى ذلك أننا جندنا بريطانيين في إطار هذه المحاولات، وكان مرتبطا بي رقيب بريطاني يعمل في شرطة يافا، مقابل أجر، وهو الذي أعلمنا بتاريخ الإخلاء".

لقد أحرزت "هشـــاي" إنجــازات كبـــيرة فيمـــا يتعلــق بعمليـــة الإخـــلاء، ولـــم يقــم البريطانيون باي خطوة، طيلـــة الأشـــهر الســـبعة التـــي ســـبقت الإخـــلاء، دون أن نكـــون مطلعين عليها، وبعثت بها إلى الجهات المسئولة، بيد أن هـــــذه الجـــهات، كمـــا يبـــدو، لـــم تستغل هذه المعلومات بـــالصورة اللازمـــة.

الفصل الحادي عشر

هشاي في حرب ١٩٤٨

نهاية ١٩٤٧ وحتى بداية ١٩٤٨

عمد كل من اليهود والعرب، في آن واحد إلى استعراض القوى في غضون الأشهر الأخيرة من عام ١٩٤٧، توطئة للاجتماع الذي كانت الأمم المتحدة ستعقده، في التاسع والعشرين من تشرين الثاني، لمناقشة مشكلة فلسطين.

وقد جاء استعراض القوى، آنف الذكر، لتعزيز معنويات شعوبهم، وعلى أمل أن يؤثر هذا الاستعراض على قرارات الجمعية العمومية للأمم المتحدة .

وفي منتصف أيلول ١٩٤٧، قررت اللجنة السياسية المنبثقة عن الجمعية العمومية للأمم المتحدة، والتي عقدت اجتماعاتها في "صوفر" اللبنانية، استخدام جميع الوسائل السياسية والعسكرية المتوفرة لديها، للحيلولة دون تطبيق القرارات التي لا يقبلها العرب. وقد أعلن عزام باشا، سكرتير الجامعة العربية، في لندن، وهو في طريقه لحضور اجتماعات الجمعية العمومية: أنه لا يجب أن تراود أي جهة شك، في أن العرب سيحاربون من أجل فلسطين، إذا اضطروا لذلك.

وفي مطلع تشرين الأول، أكد مجلس الجامعة العربية، خلال الجلسة التي عقدها في (عاليه) اللبنانية: إن الوضع يتطلب من الدول العربية اتخاذ خطوات عسكرية على طول الحدود مع فلسطين.

وأعلنت محطات الإذاعة العربية، عن تشكيل الجيش العربي. وفي العشرين من تشرين الأول اجتازت قوات برية سورية الحدود، وتمركزت في مواقع في (تل القاضي) في مواجهة كيبوتسي "دفنة ودان". ويبدو أن هذه القوة، كانت ترمي من اجتيازها للحدود، جس نبض السلطات البريطانية، وكيفية ردها على هذه الخطوة. وقد قامت قوة أردنية من سلاح الحدود بقيادة بريطانية، بطرد السوريين دون قتال.

وإزاء هذه التهديدات الحدودية، كان السؤال الذي يقلق زعامة الاستيطان اليهودي هو: ما الذي سيكون عليه رد فعل الملك عبد الله. فرغم أن الملك عبد الله، أقل الزعماء العرب اهتماما بخوض الحرب، إلا أنه أخطرهم.

لقد أجرى ممثلو الاستيطان اليهودي-برئاسة الياهو ساسون في الغالب-عدة لقاءات مع الملك عبد الله، في عمان، خلال الفترة الواقعة بين ٤٥-١٩٤٧. وقد حاول الملك خلالها، إقناع اليهود بالموافقة على تطلعاته السياسية في البلاد والتعاون معه.

وقد تلاشت الآمال اليهودية، في أن يؤدي نشوب الحرب إلى توحيد الجماهير اليهودية، وحل منظمات المنشقين. فقد خاض الاستيطان اليهودي الحرب وهو منشق على نفسه. فقد واصلت منظمة "الاتسل" و "ليحي" الانشقاق عن الهجناة، والعمل ضد البريطانيين هذا في الوقت الذي اعتبر الاستيطان اليهودي الذي كانت مسألة الإخلاء البريطاني، أهم القضايا بالنسبة له-مسلكية المنظمات المنشقة غير مسؤولة وغير منطقية، وتعرض مستقبل الدولة اليهودية للخطر. وذلك بدعوى أن أي عمليات تجري ضد البريطانيين، قد تدفعهم إلى تأخير إخلائهم، أو القيام بعمليات انتقامية ضد الاستيطان اليهودي، في الوقت الذي كان المنشقون يقولون أنه ونظرا لعدم اتضاح النوايا الحقيقية للبريطانيين فإن القيام بعمليات ضدهم، ستقنعهم بأن الإخلاء أفضل من البقاء، وإذا ما حاول البريطانيون القيام بعمليات انتقامية، فإن بالإمكان أن نكيل لهم الصاع صاعين.

وفي حزيران ١٩٤٧، أفاد أحد عملاء "هشاي" في تل أبيب، بأن الاتسل يحفر نفقا تحت طريق بيتح تكفا، من أجل تفجير منزل (بيت هدار) الذي يعتبر مقرا للقيادة العسكرية البريطانية في منطقة تل أبيب-يافا، فأمرت قيادة الهجناه وحدة صغيرة من كتائب الشبيبة بالاتجاه إلى المكان وفحصه، وحال وصولها، لم تجد في النفق أحدا، فتركت رسالة قالت فيها: أن وحدة الهجناه كانت هنا.

وفي اليوم التالي، بعثت الهجناه أحد رجالها المدعو (زئيف فربر)، لفحص ما إذا كان الاتسل قد واصل الحفر أم لا، وحال اقترابه من مدخل النفق انفجرت فيه عبوة ناسفة كان الاتسل قد زرعها، مما أدى إلى مقتله، وقام أعضاء الاتسل أيضا بمراقبة يوسيف كريب-رئيس "هشاي" في تل أبيب، واقتحام بيته، وضربه ضربا مبرحا وإحراق سيارته انتقاما لدوره في إحباط عملية النفق.

لم يكن اهتمام الاستيطان اليهودي في تلك الآونة منصبا على الخطر الناجم عن وجود الفلسطينيين، بل على الخطر الناجم عن الجيوش العربية القادمة من الخارج. وكان العامل المركزي في هذا الخطر، هو الملك عبد الله، لذا قرر زعماء الاستيطان بذل قصارى جهودهم لتحييده. وبناء على ذلك، تم عقد مقابلات معه في تشرين الثاني ١٩٤٧، وجاءت نتائج اللقاء الأول متفائلة، ورغم ذلك، وصلت إلى الزعامة اليهودية معلومات عن قيام البريطانيين والعرب باجراء اتصالات معه.

وفي كانون الثاني ١٩٤٨، طلب بن جوريون من عيزرا دنين- والذي كان مستشارا له للشؤون العربية- أن يعد تقدير وضع سياسي، حول الأردن. وقد قام دنين بإعداد تقرير موسع، بناء على المعلومات التي جمعتها هشاي القدس، والرسائل والبرقيات التي تم تبادلها بين البريغادير كليتون، المسؤول عن العلاقات مع الجامعة العربية في السفارة البريطانية في القاهرة وبين الإدارة الأميركية في فلسطين، وبناء على مصادر بريطانية أخرى، وعلى المعلومات المتوفرة من عمليات التنصت.

وفي تقريره قال دنين أن البريطانيين يعملون على تصفية قواعدهم العسكرية في الأردن، ولن يبقوا سوى القواعد الجوية، وسيتوقفون عن تمويل الجيش العربي الأردني في نهاية السنة المالية الحالية بيد أن الجامعة العربية، ستمنح هذا الجيش مبلغا ماليا أكبر من المبلغ الذي كانت بريطانيا تمنحه إياه، لذا سيبقى الملك قائدا لهذا الجيش، وسيصبح في هذه الحالة تابعا للجامعة العربية. وسيحاول هذا الجيش-كما

يبدو – احتلال كل (أرض إسرائيل)، مع محاولة تجنب خـوض حـرب مـع اليـهود، بيـد أنه لن يتوانى عن خوض هذه الحرب معهم، إذا لـم يستسـلموا لـه.

وأضاف في تقريره: وبعد الاحتلال، سيشـرع الملـك عبـد الله بمفاوضـات مـع ممثلي الاستيطان اليهودي، وسيمنح هـذا الاسـتيطان حقوقـا مثلمـا هـو وارد فـي خطـة موديسون جريـدي.

لقد تم استخدام وثيقة دنين كمنطلق للفكرة التي شاعت ، فيمـا بعـد، فـي أوسـاط الزعماء اليهود، والقائلة بضرورة القيام بمحاولات للحيلولـة دون خـوض الملـك عبـد الله الحرب. وقد اقترح شريت منح الملك عبد الله مبلغـا ماليـا كبـيرا، قـدره أربعـة ملاييـن جنيه فلسطيني لمدة خمس سنوات، وذلـك علـى حسـاب الاتحـاد الاقتصـادي المسـتقبلي الذي سيقوم بين الدولتيـن الجديدتيـن، إذا مـا "أصبـح الأردن دولـة شـقيقة"، وإذا امتنـع الملك عبد الله عن السير في طريق المؤامـرات البريطانيـة.

لقد كان بقاء حكومة الانتداب بمثابة بقاء مصـدر مـهم للمعلومـات بالنسـبة لـ "هشاي" حول الفلسطينيين، وحول العرب فـي الـدول الأخـرى. وكـانت هـذه المعلومـات تصل إلى "هشاي" عبر مخبريها الذين أقاموا علاقـات وطيـدة مـع البريطـانيين أو بطـرق أخرى، وليس عبر شبكات "هشـاي" التابعـة للوكالـة اليهوديـة. ونظـرا لأن البريطـانيين كانوا خبيرين في معرفة الأوضاع السائدة في الـدول العربيـة تجـاه المشـكلة الفلسـطينية، فقد كانت المعلومات التي يتم الحصول عليها منهم، أفضـل بكثـير مـن المعلومـات التـي يتم الحصول عليها عبر شبكات الوكالـة اليهوديـة.

وحال بدء الإخلاء، كان على "هشاي" أن تحصـل علـى هـذه المعلومـات بقوتـها الذاتية، بيد أنها لم تكن بتركيبتها آنذاك، مهيأة لتنفيـذ هـذه المهمـة.

فالشعبة العربية فيها لم تكن موحدة عشـية قيـام الدولـة بـل كـانت مشـكلة مـن ثلاثـة تراكيب يسود بينها قدر لا يسـتهان بـه مـن الارتبـاك والضبابيـة. أمـا الـتركيب الأول فتمثل في شبكة عيزرا دنين القروية، والتي تم تشـكيلها فـي نهايـة الثلاثينـات، وتوسـيعها

في نهاية الحرب العالمية الثانية، بيد أن وضع هذه الشبكة، تدهور في الأربعينات، عندما ترك دنين الشبكة، وتفرغ للشؤون السياسية العربية وعلى وجه الخصوص، الجهود التي كان عليه أن يبذلها من أجل التوصل إلى تعاون مع المجموعات المناوئة للمفتي الحسيني في فلسطين.

أما التركيب الثاني في الشعبة العربية لـ "هشاي"، فتمثل في الشعبة السياسية في الوكالة اليهودية. وقد كانت هذه الشعبة قصرا على (الياهو ساسون)، والذي حرص على السيطرة على جميع الاتصالات الخاصة بجمع معلومات عن العرب خارج (أرض إسرائيل).

أما التركيب الثالث، فكان (هشاي العامة)، وكان قائده ديفيد شلتتيل، وخليفته "أيسر باري" خاضعين لقائد القيادة القطرية موشيه سنيه ثم لإسرائيل جاليلي، بيد أنهما كانا يعتقدان أنهما مرتبطان بإلياهو ساسون، في كل ما يتعلق بالوضع العربي.

ورغم الاتصالات الوطيدة بين الأجهزة الثلاثة، فقد عملت هذه الأجهزة ميدانيا، كل على حدة، ولم تجر أي اتصالات فيما بينها.

ويمكننا القول أيضا، أن الزعامة العربية والفلسطينية كانت تعيش حالة ضبابية شديدة فيما يتعلق بالخطوات التي يجب اتخاذها، الأمر الذي يجعل من الصعب الإشارة إلى وجود سياسة عربية. هذا إضافة إلى الخلافات في وجهات النظر، والمماحكات داخل الجامعة العربية وخارجها، وعلى وجه الخصوص بين جماعة الحاج أمين الحسيني، والملك عبد الله، هذا إضافة إلى التردد الذي أبدته الدول العربية في إرسال قواتها العسكرية إلى فلسطين، والمعلومات المتضاربة حول مدى استعداد وتجهيز هذه القوات.

إنجازات "هشاي" تل أبيب:

قامت هشاي تل أبيب، بأحد أفضل عملياتها الاستخبارية على صعيد التنصت، فقد بادر إيسر هرئيل- الذي حل بدل يوسف كريب، كرئيس لـ "هشاي" تل

أبيب، نهاية ١٩٤٧، بطرح فكرة التنصت على (كابل) الـــهواتف المـــار بـــالقدس عـــبر يافـــا في طريقه إلى مصر. لقد كان (الكابل) الفـــوق أرضـــي موضوعـــا تحـــت رقابـــة العـــرب والبريطانيين، بيد أن الكابل التحت أرضي المقابل له، لـــم يكـــن موضوعـــا تحـــت الرقابـــة. وكانت المشكلة تتمثل في العثور عليه. وقد اســـتعان هرئيـــل، لـــهذا الغـــرض، بعـــدد مـــن الفنيين اليهود العاملين في الهجناه، والذين أحضـــروا إليـــه خارطـــة الكـــابل، حيـــث اتضـــح أنه مدفون على عمق بسيط إلى جانب طريق القـــدس. واتضـــح مـــن خـــلال الدراســـة، أن أفضل مكان لربط الخط بجهاز التنصت هو مقطع الطريـــق الواقـــع إلـــى جـــوار المدرســـة الزراعية (مكفيه إسرائيل) . وقد قيل لمدير المدرســـة، أن الســـماح ببنـــاء (كـــوخ) صغـــير بالقرب من باب المدرسة، سيسمح للهجناه بمراقبة الحركـــة علـــى الطريـــق، فوافـــق علـــى ذلك. وقد تم بناء (الكوخ) على بعد خمسين مـــترا مـــن الطريـــق، وتـــم إخفـــاؤه بالأشـــجار النامية على طول سور المدرسة. ومن داخل الكوخ، تم حفـــر نفـــق، مـــر فـــي قســـم منـــه، تحت القناة المائية الموجودة على جانب الطريـــق. وبعـــد ثلاثـــة أســـابيع تمكـــن القـــائمون على العمل من الوصول تحت الكـــابل.

وفي مطلع شباط ١٩٤٨، تم وصل أجهزة التنصت بـــه، وســـحبوا الأســـلاك إلـــى الكوخ الذي تحول إلى غرفـــة تنصـــت، وكـــان عمـــلاء "هشـــاي" الذيـــن يجيـــدون اللغـــة العربية، يتنصتون على الكابل طيلـــة الأربـــع والعشـــرين ســـاعة، ويســـجلون المحادثـــات. وقد جاءت النتائج مذهلة حيـــث تـــم التقـــاط محادثـــات بيـــن رؤســـاء جماعـــات مســـلحة فلسطينية،وبينهم وبين الزعمـــاء السياســـيين ومحادثـــات بيـــن الزعمـــاء والسياســـيين فـــي العواصم العربية ومحادثات بين عرب وبريطانيين. فقد ســـقط معســـكر (تـــل ليتيفنســـكي)- تل هشومير حاليا- بأيدي الهجناه دون قتال بسبب إحـــدى المحادثـــات التـــي تـــم التقاطـــها، والتي قام خلالها ضابط بريطاني بـــإعلام عربـــي بموعـــد الإخـــلاء، وطبيعتـــه، فحرصـــت الهجناه على استباق العرب، والاستيلاء على المعسكر حـــال خـــروج البريطـــانيين منـــه.

وقد بقي مركز التنصت هذا عاملا، حتى احتلال يافا في أيار ١٩٤٨، ففي أعقاب فرار سكان يافا العرب، واحتلالها قلت أهميته. وتجدر الإشارة، إلى أن عمليات تنصت جرت أيضا في القدس وحيفا وطبريا وأماكن أخرى. وقد أسهمت المعلومات التي تم الحصول عليها، في الحيلولة دون وقوع عمليات معادية.

أما في حيفا، فقد أسفرت عمليات التنصت، في آذار عام ١٩٤٨، عن الحصول على معلومة تفيد بأن ممثل القيادة العربية في حيفا، توجه إلى بيروت لشراء أسلحة. وقد أمر طوفيا أرزي الذي كان يعمل مستشارا للشؤون العربية في قيادة لواء الكرمل، بإذاعة معلومات وأوصاف الأشخاص الذين توجهوا إلى بيروت في إذاعة الهجناه وقد أدت إذاعة النبأ إلى تعطيل عملية شراء الأسلحة ورغم ذلك، قرر القائد العسكري العربي لحيفا وهو من ضمن الأشخاص الذين سافروا إلى بيروت-التسلل إلى المدينة، ومعه شاحنتان محملتان بالأسلحة وحال وصوله إلى رأس الناقورة، اتصل هاتفيا بحيفا، وأعلم المسؤولين هناك بقدومه. وقد تم تسجيل مكالمته،وقام لواء الكرملي بتجهيز قوة، ونصب كمينا للشاحنتين بالقرب من كريات موتسكين في السابع عشر من آذار. ويعتبر تدمير الشاحنتين بمثابة بداية احتلال حيفا على أيدي الهجناه.

تغييرات في قيادة "هشاي":

في شباط ١٩٤٨، حل ديفيد شلتئيل محل إسرائيل عمير قائدا للواء القدس، وقد تم تعيين أيسر باري بدلا منه رئيسا لـ "هشاي".

وفي المرحلة الأولى من حرب ١٩٤٨، اعتبرت "هشاي" الفلسطيني عدوها الأول، بيد أن قوات القاوقجي والمتطوعين المصريين على الجبهة الجنوبية، انضموا إلى هذا العداء. وحينما انتهى الانتداب، في الخامس عشر من آيار، بدأت المرحلة الثالثة من اجتياح الجيوش العربية النظامية لفلسطين. وحينما بدأت جيوش الإنقاذ تتوارد على فلسطين، كان على الهجناه أن تعيد ترتيب وضعها في صورة جيش نظامي وفي أسرع وقت ممكن.

وصلت إلى "هشاي" تحذيرات حول تنظيم جيش الإنقاذ والذي بدا في البداية كعصابات، وقامت "هشاي" بنقل المعلومات إلى الوكالة اليهودية، وفي الحادي عشر من كانون الأول ناقش هذه القضية بن جوريون ودنين فيلمون. وفي الثالث من كانون الثاني ١٩٤٨ كتب بن جوريون في مذكراته: أن هشاي أعلمته بالاستعدادات الجارية في سورية، وأن هناك احتمالا لإرسال خمسة آلاف شخص من جيش الإنقاذ، بيد أنه اتضح أن هذا الرقم كان مبالغا فيه، كما أن التاريخ المحدد لم يكن دقيقا. وقد وصلت هذه المعلومة من أحد القناصل الأجانب في القدس.

تواصلت المعلومات حول قوات القاوقجي، بيد أن الزعامة الإسرائيلية، تعاملت مع هذه القوات على غرار ما كانت تتعامل معها عام ١٩٣٦، عندما شارك القاوقجي على رأس عصابات في أحداث تلك الفترة. بيد أن ما كان يقلق الزعامة اليهودية، هو حجم القوات المشاركة.

وقد أفاد (هيوجب) أن هناك ضباطا نظاميين سوريين يشاركون في القوة، وأنهم حصلوا على إجازة من الجيش لهذا الغرض، وأن الجنود هم من المتطوعين: من الشبان السوريين واللبنانيين.

وفي الرابع عشر من شباط صححت "هشاي" تعداد القوة إلى ثلاثة آلاف شخص، منهم ٣٠٠-٤٠٠شخص من فلسطين، والذين تلقوا تدريبات عاجلة في معسكر سوري. ومن الجدير بالذكر، أن هذا الرقم أيضا كان مبالغا فيه، فقد اتضح أن الرقم الحقيقي لا يزيد عن ألف وخمسمائة شخص.

ويقول عيزرا دنين: في الخامس عشر من أيار ١٩٤٨ اجتاحت الجيوش العربية فلسطين وفي نفس الوقت، حانت نهاية "هشاي" العربية بوتيرتها التقليدية القديمة. فقد كان الجيش الإسرائيلي وسلاح المخابرات التابع له في حاجة إلى معلومات عسكرية. وقد تم تجنيد قسم من أعضاء "هشاي" للجيش، وعينوا في وظائف مختلفة في سلاح الاستخبارات، وبدا وكأن هشاي تلاشت.

وقد أدى هذا الوضع إلى إثـــارة مـــرارة عميقـــة لـــدى الكثـــير مـــن الأشـــخاص. واعتقد البعض أنه كان على وزير الخارجية، موشـيه شـريت-والـذي تـرأس حتـى قيـام الدولة، الشعبة السياسية في الوكالة اليهودية- وعلـى وجـه الخصـوص الجنـاح العربـي- أن يجمع الأعضاء ويقول لهم كلمات تطيب خواطرهـم جـراء انتقـال العمـل إلـى إطـار العمل العسكري الرسمي. بيد أن هذا لم يحدث، وتفرقنـا دون أن يـودع أحدنـا الآخـر.

إن اجتياح القـاوقجي لإسـرائيل، أكـد أن "هشـاي" العربـي، لـم تعـد مناسـبة لمعالجة والتعـامل مـع الجيـوش العربيـة النظاميـة بـالصورة اللازمـة، وعلـى وجـه الخصوص، مع أولئك الذين اقتحموا البلاد بعد الرابع عشـر مـن أيـار.

ومن الجدير بالذكر، أن "هشاي" العربي التابعة للـهجناه تميـيزا لـها عـن هشـاي دنين-لم تحل، بل كان الأمر على العكس تماما. فسرعان مـا تمكنـت مـن ملاءمـة نفسـها مع المستجدات، والمساهمة مباشرة في الجـهد الحربـي.

وفي تلك الآونة، تم تشـكيل جـهاز اسـتخبارات عسـكري جديـد فـي وحـدات الهجناه. وتم تعيين غالبية ضباط "هشـاي" سـواء، الذيـن عملـوا فـي الجنـاح السياسـي، وجمع المعلومات، أو الجناح العربي-ضباطـا فـي وحـدات الاسـتخبارات التـي تحولـت فيما بعد، إلى الجيش الإسـرائيلي.

والسؤال الذي كان يراود الـهجناه، مطلـع عـام ١٩٤٨: هـل سيشـارك الجيـش العربي -الأردني الذي يعتبر أخطر الجيوش- في القتـال؟؟لقـد تواجـدت بعـض وحـدات هذا الجيش فعليا في البلاد، ورغم أنها كانت خاضعـة للقيـادة البريطانيـة، إلا أنـها كـانت تشكل تهديدا على الاستيطان اليـهودي.

ويتضح من خلال المعلومات التي توفرت لـــ "هشـاي" آنـذاك: أن الملـك عبـد الله يمارس من خلال كلوب باشـا-القـائد البريطـاني للجيـش العربـي- ضغوطـا علـى المندوب السامي وقيادة القوات البريطانية مطالبـا بمنـح الجيـش العربـي دورا أكـبر فـي الدفاع عن الجماهير الفلسطينية في البلاد. وكـان الملـك يرمـي مـن ذلـك إلـى تحقيـق

تطلعاته السياسية، وإحباط مؤامرت مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني. وقد رفض البريطانيون هذا المطلب، إلا في بعض الحالات التي تلاءمت فيها مصالحهم مع المطلب، بل وطلبوا إخلاء الجيش العربي من البلاد قبل إخلاء القوات البريطانية،مما جعل الملك عبد الله يشعر بمرارة شديدة جراء ذلك، ويعارض المطلوب.

وفي السابع من تشرين الأول ١٩٤٧- أي قبل اللقاء الأول الذي عقد بين جولدا مائير والملك عبد الله- أفادت مصادر "هشاي" أنها أصغت إلى محادثة خاصة، أجراها الملك عبد الله وأعلن خلالها: أن الجيش العربي لن يغادر البلاد مع مغادرة القوات البريطانية، وقال: أن مملكة شرق الأردن لها حقوق خاصة في الضفة الغربية للنهر، وأن من المستحيل إلغاء هذه الحقوق.

ورغم ذلك، لم يكن الملك عبد الله مصدر القوة الوحيد في المنطقة، فقد أعدت الدول العربية الأخرى- بواسطة الجامعة العربية- للملك عبد الله وجيشه دورا مختلفا عن الدور الذي تطلع إلى لعبه.

وفي الثامن والعشرين من كانون الأول أفادت تقارير "هشاي" استنادا إلى تقرير أسبوعي للجامعة العربية- وكما يبدو، أنها حصلت عليه من مصادر بريطانية- أن هناك خلافات آخذة في التزايد بين مملكة شرق الأردن، وباقي الدول العربية. وأفاد التقرير: أن الأمر رهن بالعمليات السريعة التي سيتخذها الملك عبد الله، حال انسحاب القوات البريطانية.

وأفاد التقرير أيضا، بأن المفتي لا يؤيد فكرة حدوث "حمام دموي"، لأنه يتوقع أن يعاني العرب بصورة خاصة، من هذا الحمام. بيد أنه يؤيد شكل الحياة الاقتصادية في الاستيطان اليهودي، عبر تشويش الحركة، والإبقاء على الوضع المتوتر.

وجاء في تقرير اخر، في الأول من كانون الثاني ١٩٤٨ قدمته "هشاي" القدس، إلى ساسون، أن الجامعة العربية اتخذت قرارا ينص على إبقاء الجيش العربي

في البلاد في أعقاب انسحاب القوات البريطانية، على أن يستخدم كوسيلة في أيدي الجامعة العربية، والتي ستتحمل نفقاته.

ووفقا لخطة الجامعة العربية، كان من المفروض أن يقوم الجيش العربي باحتلال فلسطين كلها، على ألا يدخل بالقوة إلى المناطق التي يسكنها اليهود، وأن يبذل جهده لدفعهم باتجاه طاولة المفاوضات مع الجامعة العربية، التي ستكون على استعداد لمنحهم حكما ذاتيا محليا. وقد اعتبرت ساسون النبأ بمثابة مؤامرة بريطانية، بيد أنه اتضح فيما بعد، أن النبأ كان صحيحا.

ويقول مناحم بربش-أحد أعضاء "هشاي" تل أبيب- أنه حصل من متعاون عربي على معلومات دقيقة حول قوة الجيش العربي، ومخططاته، وسارع بها إلى (ايسار باري) رئيس "هشاي"، والذي توجه بدوره إلى منزل بن جوريون.

وفي العاشر من أيار ١٩٤٨، اجتمعت جولدا مائير للمرة الثانية مع الملك عبد الله، وطلبت منه أن يتمسك بالوعد الذي قطعه لها على نفسه خلال لقائهما الأول-وكررت وعدها له، بأن تؤيد الدولة اليهودية التي ستقوم، ضم الدولة الفلسطينية التي ستقوم إلى مملكته. بيد أن الملك عبد الله قال لها: أنه لم يعد مستقلا بهذا الصدد، واقترح ضم الاستيطان اليهودي إلى مملكته بحيث تنبسط هذه المملكة على كامل فلسطين، لكن جولدا مائير رفضت هذه الفكرة، وبات واضحا منذ ذلك الحين، أن الجيش العربي سيستخدم خلال الحرب، ضد الاستيطان اليهودي. وقد أكدت هذه المحادثات، التقارير التي أوردتها "هشاي حول التغيير الذي طرأ على مواقف الملك عبد الله ومخططاته.

لقد تواصلت تقارير "هشاي" حول الجيش العربي حتى التاسع والعشرين من أيار بالاعتماد على المصادر البريطانية، ثم توقفت حال انسحابهم.

ترى هل نجحت "هشاي" في تقديم تقارير حول احتمال اقتحام الجيوش العربية لفلسطين؟ الحقيقة هي أن "هشاي" لم تنجح في هذه المهمة. نظرا لأنها لم تكن

تعمل خارج حدود فلسطين، وعندما اقترحت عليها اللجنة الخاصة عمل ذلك في كانون الثاني ١٩٤٨، لم تتمكن من إعداد الجهاز اللازم في الوقت المناسب.

أما الجهاز الذي تم بناؤه في الخارج لتقديم معلومات، فقد اهتم بالجانب السياسي من المعلومات، ولم يول المعلومة العسكرية الكثير من الاهتمام، خصوصا وأن الدول العربية لم تبلور خطتها العسكرية إلا في نيسان ١٩٤٨. وقد أدى تمكن الهجناه من احتلال المدن العربية، التي كانت الجيوش العربية تعتبرها في خطتها كنقطة انطلاق قبل الخامس عشر من أيار، إلى تغيير المخططات التي أعدتها هذه الجيوش تغييرا جذريا. وانتقلت نقطة التركيز العربية من الشمال إلى الجنوب، وكذلك حدث تغيير على قيادة الجيش العربي، فتم تغيير القائد الأعلى للجيوش ثلاث مرات، بل يمكننا القول: أن الجيوش العربية عملت دون قيادة موحدة.

أما على صعيد عدد القوات، والأسلحة، وأساليب وفنون القتال العربية فلم تتوفر للهجناه أي معلومات حولها، ويمكن القول، أن الجيش الإسرائيلي تعلم وأدرك هذه الفنون عبر الصدامات مع الجيوش العربية خلال الحرب نفسها.

الفصل الثاني عشر

بناء جهاز المخابرات الإسرائيلي وحل "هشاي"

شباط حتى آب ١٩٤٨

في الخامس عشر من شباط ١٩٤٨، تم تحويل جميع عمال "هشاي" إلى الجيش، وذلك رغم أنه لم تجر أي تغييرات حقيقية على صعيد التنظيم حتى حزيران ١٩٤٨، وخلال هذا الشهر انتقل مكتب "هشاي" من شارع بن يهودا إلى البيت الأخضر في يافا، التي استسلمت في تلك الآونة، وأعلنت منطقة عسكرية مغلقة.

والبيت الأخضر، هو مجموعة منازل عربية مهجورة قام الجيش باحتلالها، وهكذا تركزت جميع مكاتب "هشاي" في تل ابيب، وتحولت فيما بعد، إلى مركز دائم لأجهزة المخابرات الإسرائيلية.

وفي نفس تلك الفترة، بدأت الاستعدادات تجري لبناء جهاز مخابرات جديد، وتم عقد دورات لإعداد المتطوعين والعاملين في هذا المجال، وبدا واضحا، أن المخابرات التي يجري إعدادها ستكون مخابرات عسكرية، نظرا لأن الاستيطان اليهودي بكامله، كان غارقا أنذاك في الحرب، وقد أطلق على الجهاز الجديد الذي تم تشكيله اسم "خدمات المعلومات" ورمز له بالحرفين العبريين "ش.م"، وهما أول حرفين من الاسم أنف الذكر، وصنفت شعبها على النحو التالي: ش.م-١ وش.م-٢،ش.م-٣،... الخ، وقد أشرف على تشكيل الجهاز (ايسار باري) بتوجيه مباشر من قيادة الهجناه، وفي إطار تشكيل الجهاز الجديد، تم ضم أشخاص يعملون في شعب مهنية مختلفة إلى "هشاي"، بمن فيهم أشخاص من الخارج، وانضم إليه حاييم هرتسوغ الذي استقال من وظيفته في الوكالة اليهودية في القدس. وجرشون دورون، رئيس الشعبة الثانية في "هشاي" حيفا، ومساعده اليشيت بن جوريون، ويوسف بورات، وهو

خبير أمن ميداني، في الجيش البريطاني، وابراهام كدورن ضابط أمن حيفا السابق، وأمنون يونه، رئيسة وحدة العمليات الخاصة في أوروبا، وبنيامين جبلي ضابط أمن القدس، حتى نهاية أيار، وليفي ابراهامي ضابط في "هشاي" في الجليل وغيرهم.

وعندما تم الإعلان، في الحادي والثلاثين من أيار ١٩٤٨، عن تشكيل الجيش الإسرائيلي كانت "هشاي" قد أصبحت بمثابة خدمة عسكرية في كل شيء، وبمرور الزمن حصل هؤلاء الأشخاص على رتب عسكرية، وفقا لما هو معمول به في الوحدات الأخرى.

وفي مذكراته، كتب بن جوريون في السابع من حزيران ١٩٤٨، حول تشكيل جهاز الاستخبارات "يجب تشكيل استخبارات عسكرية من قبل هيئة الأركان العامة، تحت قيادة (ايسار باري) وحاييم هرتسوغ، وسيكون جهاز الاستخبارات الجديد، مسؤولا عن الأمن والرقابة العسكرية، والتجسس المضاد، وتشكيل جهاز مخابرات داخلي تحت قيادة "ايسر هرئيل" و "يوسف يرزاعيلي" عضو القيادة القطرية للهجناه، ويجب أن يترأس روبن شلوح، جهاز المخابرات السياسي الخارجي، وسيخضع حتى نهاية الحرب، لوزارة الدفاع، وقد يخضع بعد ذلك لوزارة الخارجية.

وقد جاءت اقتراحات ايسار باري لبنية جهاز الاستخبارات العسكري على النحو التالي:

- ش.م –١: العمليات او الاستخبارات الميدانية.
- ش.م –٢: التنصت.
- ش.م –٣: الأمن الميداني، والتجسس المضاد.
- ش.م –٤ : الرقابة العسكرية.
- ش.م –٥: جمع المعلومات من المصادر العلنية – الأبحاث.
- ش.م. –٦: طوبوغرافيا.
- ش.م –٧: الأرشيف المركزي، ومكتبة الاستخبارات.

- ش.م –٨: خدمات فنيـــة، مختـــبرات.
- ش.م –١٨: شعبة العمليات الخاصة، شـــعبة عمليـــات.

وإذا ما قارنا بين هذه البنية وبنيـــة "هشـــاي" الأصليـــة، نـــرى أن هنـــاك تشـــابها كبيرا جدا بينهما، مع تغييرات طفيفة، مثل إضافة شـــعبة للعمليـــات الخاصـــة إلـــى البنيـــة، وهذه الشعبة عملت تحـــت قيـــادة شـــاؤول ابيجـــور، لإلحـــاق الأضـــرار بالأســـلحة التـــي تشتريها الدول العربية في أوروبـــا.

ومن الجدير بالذكر، أن خطة بـــاري لـــم تنفـــذ، واقـــترح بـــن جوريـــون تشـــكيل ثلاثة أجهزة بدلا من ذلك، تتقاسم المـــهام المذكـــورة.

وفي صبيحة الثلاثين من حزيـــران ١٩٤٨ – أي بعـــد ســـتة أســـابيع مـــن إقامـــة الدولة – عقدت جلسة في هيئة أركان "هشـــاي" فـــي تـــل أبيـــب، برئاســـة ايســـار بـــاري، وحضور قائد "هشاي" القدس بنيـــامين جبلـــي، وقـــائد "هشـــاي" الشـــمال ابراهـــام كـــدرون" وقائد "هشاي" تل أبيب ايسار هلفريـــن، وقـــد كشـــف ايســـار بـــاري النقـــاب للحـــاضرين خلال الجلسة: أن بن جوريون طلب إعادة النظر في بنيـــة "هشـــاي"، وبنـــاء علـــى الخطـــة الموضوعة، سيتم منذ هذه اللحظة، تفعيل المخـــابرات الإســـرائيلية فـــي ثـــلاث أذرع:

- استخبارات عسكرية يقودها ايســـار بـــاري.
- شعبة سياسية في وزارة الخارجية، والتي ستكون شـــعبة ســـرية، وســـتعمل مـــن أجل الحصول على معلومات سياسية في الخارج وسيترأســـها بوريـــس جوريئيـــل.
- شعبة الأمن الداخلي، يقودها ايسار هلفرين، والذي غـــير اســـمه فيمـــا بعـــد إلـــى "ايسر هريئـــل".

وفي نفس اليوم، الثلاثين من حزيران، تم توزيع أمـــر مـــن قبـــل هيئـــة الأركـــان، ينص على حل "هشاي" وتشكيل الاســـتخبارات العســـكرية.

وفي نفس الوقت الذي كـــانت فيـــه قيـــادة "هشـــاي" تعكـــف علـــى إعـــداد البنيـــة الجديدة للجهاز الأمني، واصلت مكاتب "هشاي" عملـــها كالمعتـــاد، وخصوصـــا فـــي حيفـــا

والقدس، وبقي البريطانيون في حيفـــا حتـــى نهايـــة حزيـــران ١٩٤٨، وواصلـــت "هشـــاي" حيفا مراقبتهم عن كثـــب.

أما في القدس، فقد كان الوضع مختلفا إلى حد مـــا، فقـــد قـــررت الأمـــم المتحـــدة، في التاسع والعشرين من تشرين الثـــاني ١٩٤٨، وضـــع المدينـــة تحـــت إدارة دوليـــة، بيـــد أن البريطانيين عملوا على تخريب هذا القـــرار ولـــم يقدمـــوا أي مســـاعدات لطـــاقم اللجنـــة الذي وصل إلى البلاد، من أجل تمهيد الأرضيـــة لتســـلم مســـؤولية الســـلطة فـــي المدينـــة، وفي الوقت الذي لم يعترف العرب أبدا بـــهذا القـــرار، عمـــل اليـــهود بحـــذر بـــالغ، وفـــي أعقاب قيام الدولة في الرابـــع عشـــر مـــن أيـــار، حرصـــت الوكالـــة اليهوديـــة وحكومـــة اسرائيل، على عدم اتخاذ أي خطوة تبدي إســـرائيل وكأنـــها لـــم تخضـــع لقـــرارات الأمـــم المتحدة، خشية أن يؤدي ذلك إلى تقويض شـــرعية الدولـــة الوليـــدة.

بيد أن المشكلة كانت تكمن في منظمتـــي الإتسـل وليحـــي، واللتيـــن تعاملتـــا مـــع القدس كوحدة جغرافية منفردة، وواصلتا نقـــل الأســـلحة والقـــوات إليـــها، وواصلتـــا العمـــل فيها حتى في أعقاب اتفاق الأول من حزيـــران الخـــاص بـــنزع ســـلاح الإتســـل، وإخضـــاع مقاتليها للجيش الإسرائيلي في جميع أنحـــاء إســـرائيل، وقـــد حلـــت نقطـــة التحـــول علـــى صعيد المسؤولية العسكرية عن المدينـــة، عندمـــا تـــم اغتيـــال الكونـــت برنـــادوت وســـيط الأمم المتحدة، على أيدي منظمة ليحي في القدس، فـــي الســـابع عشـــر مـــن أيلـــول ١٩٤٨، فقد أرسل الجيش الإسرائيلي قـــوات تعزيـــز إلـــى القـــدس، ووجـــه إنـــذارا إلـــى منظمـــة المنشقين لنزع أسلحتهم، وقد سلمت منظمة الإتسل أسلحتها، وانضمـــت إلـــى الجيـــش، فـــي حين سلم قسم من ليحي فقط أسلحته واعتقل الجيـــش قســـما اخـــر.

ويقول (شلهبت فريار) أحد قـــادة "هشـــاي" الســـابقين، وقـــادة الشـــعب التـــي تـــم تشكيلها، تلقت "هشاي" طيلة فترة طويلة، نسخا مـــن التقـــارير التـــي كـــانت ترســـلها وزارة خارجية إحدى الدول الأوروبية إلى جميع ممثليـــها فـــي الشـــرق الأوســـط، ويرجـــع ذلـــك، إلى أن "هشاي" كانت قد اشتبهت بقيام اخر قنـــاصل هـــذه الدولـــة بعمليـــات تـــهريب إيـــان

عبوره من القدس اليهودية إلى العربية، وقام بتفتيشه، فعثر في سيارته على بضائع مهربة، كان قد استغل الحصانة الدبلوماسية التي يتمتع بها للقيام بتهريبها، وكي لا يتم كشفه أمام المسؤولين عنه، وافق القنصل على تسليم "هشاي" تقريرا أسبوعيا، حول البريد الدبلوماسي لدولته. حيث تقوم "هشاي" بتصوير هذا البريد واستخدامه.

وشهدت "هشاي" في تلك الآونة قضية مأساوية وهي قضية محاكمة (مائير طوبيانسكي) قائد سرية، وأحد قدامى الهجناه في القدس، وميجور في الجيش البريطاني إبان المخابرات العالمية الثانية، وقد اتهمه بنيامين جبلي رئيس "هشاي" القدس، بالتجسس لصالح البريطانيين، وقال: أن طوبيانسكي قام إبان عمله كمهندس في شركة الكهرباء في فترة الحرب داخل القدس المحاصرة – بتسليم البريطانيين مخططات وضع عليها علامات حول النقاط التي أقيمت فيها الصناعات العسكرية للهجناه في القدس، وقد شاهد عمال يهود المخططات على طاولة القائد البريطاني وأحضروه لجبلي، وفي السادس عشر من حزيران تم استدعاء طوبيانسكي إلى تل أبيب تحت ذريعة ما، وهناك شكل له جبلي محاكمة ميدانية، وأصدر عليه حكما بالإعدام، ونفذه بعد أن أعلم بن جوريون.

تم بحمد الله وعونه

الكتب الصادرة عن دار الجليل

الرقم المتسلسل	اسم الكتاب	المؤلف	المترجم
١-	عمود النار ، الأسطورة التي قامت عليهاالسرائيل		غازي السعدي
٢-	الأستيطان ، التطبيق العملي للصهيونية طبعة جديدة (مزيدة ومنقحة)	عبد الرحمن ابو عرقة	
٣-	حرب الجليل ، الحرب الفلسطينية ـ الأسرائيلية ، تموز ١٩٨١	بدر عبد الحق وغازي السعدي	
٤-	الكتاب السنوي ١٩٨١ ، توثيق لأبرز المعلومات والأحداث في فلسطين المحتلة .	هيئة الرصد والتحرير غازي السعدي ، نواف الزرو ، غسان كمال	
٥-	الكتاب السنوي ١٩٨٢ ، توثيق لأبرز المعلومات والأحداث في فلسطين المحتلة	هيئة الرصد والتحرير غازي السعدي ، نواف الزرو ، غسان كمال	
٦-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (١) شهادات ميدانية لضباط وجنود العدو	بدر عبد الحق وغازي السعدي	
٧-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٢)	مايكل جانسن	محمود برهوم
٨-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٣) وثيقة جرم وادانة	غازي السعدي	
٩-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٤) اهداف لم تتحقق	غازي السعدي	
١٠-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٥) معتقل انصار ـ وصراع الارادات	سليم الجنيدي	
١١-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٦) الحرب المضللة	زئيف شيف و ايهود يعاري	غازي السعدي
١٢-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٧) فظائع الحرب اللبنانية		زكي درويش
١٣-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٨) هزيمة المنتصرين وانتصار القضية	اللجنة ضد الحرب في لبنان	
١٤-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٩) الأسرى اليهود وصفقات المبادلة	غازي السعدي	
١٥-	رسائل من قلب الحصار من ابو عمار الى الجميع		
١٦-	يوميات من سجون الاحتلال ـ زنزانة رقم (٧)	فاضل يونس	

١٧-	المثلث الايراني : العلاقات السرية الاسرائيلية - الأمريكية الايرانية في عهد الشاه	الصحفي شموئيل سيجف	غازي السعدي
١٨-	هل يوجد حل للقضية الفلسطينية ؟ مواقف اسرائيلية	الوف هرابين	غازي السعدي
١٩-	عملية الدبويا كما يرويها منفذوها	المحامي درويش ناصر	
٢٠-	مراكز القوى في اسرائيل ١٩٦٣- ١٩٨٣ ونموذج صنع القرار السياسي في اسرائيل	دكتور نظام بركات	
٢١-	مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية ١٩٤٧- ١٩٨٥	منير الهور وطارق الموسى	
٢٢-	غوش ايمونيم - الوجه الحقيقي للصهيونية	داني روبنشتاين	غازي السعدي
٢٣-	عش العصفور - قصة للأطفال	منير الهور	
٢٤-	رؤى مستقبلية عربية في الثمانينات	د . احمد صدقي الدجاني	
٢٥-	أيام دامية في المسجد الأقصى المبارك	الدكتور احمد العلمي	
٢٦-	حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير	يوسف قراعين	
٢٧-	الأحد الأسود: تصور امريكي صهيوني للعمل الفدائي الفلسطيني	حسن اسماعيل مشعل	
٢٨-	خارطة فلسطين - وهي خارطة تمثل سهــول وهضاب وجبال ووديان ومدن وقرى فلسطيـن (ملونة)		
٢٩-	بروتوكولات حكماء صهيون - المجلد الاول	عجاج نويهض	
٣٠-	بروتوكولات حكماء صهيون - المجلد الثاني	عجاج نويهض	
٣١-	الاردن وفلسطين - وجهة نظر عربية	د . سعيد التل	
٣٢-	الاقتصاد الاسرائيلي بين دوافع الحرب والسلام	د . فؤاد حمدي بسيسو	
٣٣-	الاستعمار وفلسطين	رفيق شاكر النتشة	
٣٤-	الحرب من اجل السلام	عيزر وايزمن	غازي السعدي
٣٥-	الموساد ، جهاز المخابرات الاسرائيلي السري	دنيس اينبرغ ، ايلي لانداو اوري دان	
٣٦-	التوازن العسكري في الشرق الاوسط	مركز الدراسات الاستراتيجية بجامعة تل ابيب	نبيه الجزائري
٣٧-	بطاقات فنية (لوحات فنية تعبر عن الانتماء الفلسطيني)	د . كامل قعبر	
٣٨-	بطاقات فنية (مجموعة) بطاقات على شكل دفتر الشيكات	د . كامل قعبر	
٣٩-	الكتاب الأسود عن يوم الأرض ٣٠ آذار ١٩٧٦		
٤٠-	في سربية الصحراء	سميح القاسم	

٤١-	الخيار النووي الاسرائيلي	شاي فيلدمان	غازي السعدي
٤٢-	انتهاك حقوق الانسان في الأراضي المحتلة شهادات مشفوعة بالقسم		سليم ابو غوش
٤٣-	نقاط فوق الحروف مناقشة لردود الفعل تجاه مبادرتي الأمير فهد وبريجنيف	خالد الحسن	
٤٤-	قراءة سياسية في مبادرة ريغان	خالد الحسن	
٤٥-	فلسطينيات	خالد الحسن	
٤٦-	الاتفاق الأردني الفلسطيني للتحرك المشترك	خالد الحسن	
٤٧-	من ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين (١) جرائم الأرغون وليحي ١٩٣٧- ١٩٤٨	يعقوب الياب	غازي السعدي
٤٨-	من ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين (٢) مجازر وممارسات ١٩٣٦- ١٩٨٣		غازي السعدي
٤٩-	من ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين (٣) دور الهاغاناه في انشاء اسرائيل	د . حمدان بدر	
٥٠-	ملصق يوم الأرض	سليمان منصور	
٥١-	ملصق جمل المحامل	سليمان منصور	
٥٢-	ملصق قبة الصخرة ـ صورة تبرز معالمنا التاريخية والدينية في القدس		
٥٣-	فلسطين تاريخا ونضالا	نجيب الأحمد	
٥٤-	فلسطينيات في سجن النساء الاسرائيلي طيور نفي ترتسا	المحامي وليد الفاهوم	
٥٥-	المؤسسة العسكرية الصهيونية في دائرة الضوء اسرائيل عسكر وسلاح (١)	بشير البرغوثي	
٥٦-	اتفاقيات السلم المصرية ـ الاسرائيلية في نظر القانون الدولي	محمد الرفاعي	
٥٧-	الجذور ـ وثيقة الأوقاف الاسلامية	فتحي فوراني	
٥٨-	فلسطين .. الأرض والوطن (١) قرية الدوايمة	موسى عبدالسلام هديب	
٥٩-	خط الدفاع في الضفة الغربية وجهة نظر إسرائيلية	أريه شليف	غازي السعدي
٦٠-	تشريقة بني مازن	د . عبداللطيف عقل	
٦١-	القمع والتنكيل في سجن الفارعة	لجنة الحقوقيين الدوليين القانون من أجل الانسان	
٦٢-	صورة العربي في الأدب اليهودي (١)	الدكتورة ريزا دومب	عاطف عطاري
٦٣-	الشخصية العربية (٢) في الأدب العبري الحديث ١٩٤٨- ١٩٨٥	غانم مزعل	

٦٤-	فلسطين أرض وتاريخ	د . محمد النحال	
٦٥-	القدس ماضيها ، حاضرها ، مستقبلها	فايز فهد جابر	
٦٦-	القضية الفلسطينية في القانون الدولي .. والوضع الراهن	د . جابر الراوي	
٦٧-	شوكة في عيونكم	مئير كهانا	غازي السعدي
٦٨-	حرب الاستنزاف	د . محمد حمزة	
٦٩-	القرار ـ ألفان واثنا عشر يوما في سجون الاحتلال	رشاد أحمد الصغير	
٧٠-	المطامع الاسرائيلية في مياه فلسطين والدول العربية المجاورة	بشير شريف البرغوثي	
٧١-	أزمة الاستخبارات الاسرائيلية	تسفي لنير	قسم الدراسات
٧٢-	اسرائيل عام ٢٠٠٠ (تصورات اسرائيلية)		
٧٣-	دعوى نزع الملكية الاستيطان اليهودي . والعرب في الفترة ١٨٧٨- ١٩٤٨	أريه . ل . افنيري	بشير البرغوثي
٧٤-	ندوة مشاكل التعليم الجامعي في الوطن المحتل والروح الجماعية		
٧٥-	سميح القاسم ـ قصائد ـ شخص غير مرغوب فيه		
٧٦-	القضية الفلسطينية	أكرم زعيتر	
٧٧-	فلسطين الأم وابنها البار ـ عبدالقادر الحسيني	عيسى خليل محسن	
٧٨-	عرب التركمان ـ أبناء مرج ابن عامر	علياء الخطيب	
٧٩-	المرأة الفلسطينية والاحتلال الاسرائيلي	ميسون العطاونة الوحيدي	
٨٠-	نادية برادلي ـ الفدائية المغربية الشقراء		غسان كمال
٨١-	الاعلام الاسرائيلي	غازي السعدي ومتير الهور	
٨٢-	تقرير الأرض المحتلة المقدم الى الدورة (١٨) للمجلس الوطني الفلسطيني	قسم الدراسات والأبحاث	
٨٣-	الوجه الحقيقي للموساد	د . وجيه الحاج سالم وانور خلف	
٨٤-	العمق الاستراتيجي في الحروب الحديثة		بدر عقيلي
٨٥-	شخصيات صهيونية (١)	مذكرات الجنرال رفائيل ايتان	غازي السعدي
٨٦-	شخصيات صهيونية (٢) وتهجير يهود العراق	شلومو هيلل	غازي السعدي
٨٧-	شخصيات صهيونية (٣) ثيودور هيرتسل عراب الحركة الصهيونية	قسم الدراسات	
٨٨-	شخصيات صهيونية (٤) شـــارون بلدوزر الارهاب الصهيوني		غازي السعدي
٨٩-	شخصيات صهيونية (٥) آباء الحركة الصهيونية		عبدالكريم النقيب
٩٠-	شخصيات صهيونية (٦) موشيه ديان .. أنا وكامب ديفيد		غازي السعدي

٩١- شخصيات صهيونية (٧) بن غوريون والعرب		غازي السعدي
٩٢- شخصيات صهيونية (٨) رسائل بن غوريون		الأميرة دينا عبدالحميد
٩٣- شخصيات صهيونية (٩) حياتي .. غولدا مائير		دار الجليل
٩٤- شخصيات صهيونية (١٠) حركة التصحيح الصهيونية من عهد جابوتنسكي الى عهد شامير	ليني برينر	دار الجليل
٩٥- شخصيات صهيونية ١١/١ مذكرات اسحق رابين - القسم الأول		دار الجليل
٩٦- شخصيات صهيونية ١١/٢ مذكرات اسحق رابين - القسم الثاني		دار الجليل
٩٧- شخصيات صهيونية ١٢ مذكرات ناحوم غولدمان		دار الجليل
٩٨- ششخصيات صهيونية ١٣ مذكرات اسحق شامير		دار الجليل
٩٩- من رواد النضال الفلسطيني ١٩٢٩- ١٩٤٨ الكتاب الأول	زياد عودة	
١٠٠- من رواد النضال الفلسطيني ١٩٢٩- ١٩٤٨ الكتاب الثاني	زياد عودة	
١٠١- الحركة العمالية العربية في فلسطين	سليم الجنيدي	
١٠٢- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (١) سلاح الجو الاسرائيلي	زئيف شيف	دار الجليل
١٠٣- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٢) سلاح الاستخبارات الاسرائيلي	عوديد غرانوت	دار الجليل
١٠٤- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٣) سلاح الهندسة	عمي شامير	دار الجليل
١٠٥- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٤) سلاح المشاة	نتان روعي	دار الجليل
١٠٦- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٥) سلاح المظليين	ايلان كفير	دار الجليل
١٠٧- دراسات في تعليم الكبار	د . عدنان أبو عمشة	
١٠٨- وجه قبيح في المرآة	بروفيسور ادير كوهن	غازي السعدي
١٠٩- تاريخ ما أهمله التاريخ	عبدالهادي جرار	
١١٠- الاعلام الفلسطيني	د . حسين أبو شنب	

١١١- النزاع العربي - الاسرائيلي بين فكي كماشة الدول العظمى	موشه زاك	دار الجليل
١١٢- تحت السياط	فاضل يونس	
١١٣- الغضب	اكرم النجار	
١١٤- جلسات في رغدان	د . يوسف هيكل	
١١٥- منجل في النجمة السداسية (التجسس السوفياتي في اسرائيل)	ايسر هرئيل	بدر عقيلي
١١٦- اشكالية الديمقراطية والبديل الاسلامي في الوطن العربي	خالد الحسن	
١١٧- تعليم الفلسطينيين ماضيا وحاضرا ومستقبلا	د . عبدالقادر يوسف	
١١٨- صرخة في وجه العالم (اليوم الانتفاضة)	دار الجليل	
١١٩- الاستخبارات والأمن القومي	المقدم احتياط تسفي عوفر والرائد آفي كوبر	دار الجليل
١٢٠- الاحزاب والحكم في اسرائيل	غازي السعدي	
١٢١- ربيع الحياة	د . يوسف هيكل	
١٢٢- قبس من تراث المدينة والقرية الفلسطينية	صباح السيد عزازي	
١٢٣- اشتعالات حمدان - مجموعة قصصية	اكرم النجار	
١٢٤- الحافلة رقم ٣٠٠ و(فضيحة الشين بيت)		احمد بركات
١٢٥- آه يابلدي - رواية	اكرم النجار	
١٢٦- معجم المصطلحات الصهيونية	افرايم ومناحم تلمي	احمد بركات العجرمي
١٢٧- من القمع الى السلطة الثورية	قدري أبو بكر	
١٢٨- أيام الصبا صورة من الحياة وصفحات من التاريخ	د . يوسف هيكل	
١٢٩- معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية	فؤاد ابراهيم عباس وعمر شاهين	
١٣٠- صناعة قرارات الأمن الوطني في اسرائيل		بدر عقيلي
١٣١- قمع شعب شهادات ميدانية مشفوعة بالقسم		بشير شريف البرغوثي
١٣٢- جليلة .. وهج في جذور الانتفاضة - رواية	اكرم النجار	
١٣٣- اسلحة وإرهاب وجهات نظر اسرائيلية في ثلاثة ابحاث		دار الجليل
١٣٤- حدود (أرض اسرائيل)	موشيه رافر	بدر عقيلي
١٣٥- هذه قضيتك ياولدي	سليم عبدالعال القرق	
١٣٦- حرب سيناء ١٩٥٦ - تصورات اسرائيلية		بدر عقيلي
١٣٧- المثلث الايراني - الكتاب الثاني - دراما العلاقات الايرانية - الاسرائيلية - الامريكية	شموئيل سيجف	دار الجليل
١٣٨- الفاشية الاسرائيلية	المحامي درويش ناصر	

١٣٩- النظرية العسكرية الاسرائيلية - دفاع وهجوم	اريئيل لفيتا	دار الجليل
١٤٠- الأمن القومي العربي ونظرية تطبيقه في مواجهة الامن الاسرائيلي	العميد محمد يوسف العملة	
١٤١- سياسة اسرائيل الأمنية	المحرر زئيف كلاين	بدر عقيلي
١٤٢- دقيقتان فوق تل ابيب	محمد أزوقة	
١٤٣- الهجرة اليهودية حقائق وارقام	د . عمران ابو صبيح	
١٤٤- انتفاضة	زئيف شيف وايهود يعاري	دار الجليل
١٤٥- جواسيس المخابرات الاسرائيلية تاريخ .. وجغرافيا	يوسي ميلمان ودان رافيف	دار الجليل
١٤٦- دولة اسرائيل - زائلة	يعقوب شريت	دار الجليل
١٤٧- الجماعة الأوروبية والقضية الفلسطينية	محمد خالد الأزعر	
١٤٨- بقايا من خبز وكتاب	اكرم النجار	
١٤٩- اسرائيل في حرب الخليج	غازي السعدي	
١٥٠- المثلث المحتوم الولايات المتحدة - اسرائيل والفلسطينيون	احمد عزالدين بركات	
١٥١- الاستيطان الاسرائيلي جغرافيا وسياسيا	بروفيسور أليشع إيفرات	دار الجليل
١٥٢- حرب السكاكين في نظر الاسرائيليين	زياد ابو صالح ورشاد المدني	
١٥٣- انتفاضة العصافير	نجوى قعوار فرح	
١٥٤- موسوعة عشائر وعائلات فلسطين (١) القدس مدنها وقراها	فائز أبو فردة	
١٥٥- انهيار نظرية الأمن الاسرائيلية	عمنوئيل فالد	احمد بركات العجرمي
١٥٦- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٦) سلاح الدروع	حشافيا أربيه	دار الجليل
١٥٧- بولارد قصة جاسوس	برنارد ر . هندرسون	دار الجليل
١٥٨- أبو عجاج العينبوسي الدكتور الثائر	عيسى خليل محسن	
١٥٩- قناع القناع	محمد نورالدين شحادة	
١٦٠- الأسلحة الكيماوية والبيولوجية - وتأثيراتها البيئية -	د . عادل احمد جرار	
١٦١- دولة مجدو	عبدالله عواد	
١٦٢- الشَّبح	عبدالله عواد	
١٦٣- طرد الفلسطينيين وولادة مشكلة اللاجئين - وثيقة اسرائيلية -	بني موريس	دار الجليل
١٦٤- الاستشراق وابحاث الصراع لدى اسرائيل	ابراهيم عبدالكريم	
١٦٥- دليل المستوطنات الاسرائيلية في الاراضي العربية المحتلة (١٩٦٧- ١٩٩١)	د . عمران ابو صبيح	

١٦٦- حرب في الخليج (ابعاد على اسرائيل)	تقرير طاقم مركز الأبحاث الاستراتيجية الاسرائيلي : يافه	بدر عقيلي
١٦٧- فلسطين في سيرة البطل عبدالحليم الجيلاني	د. حسن صالح عثمان	
١٦٨- ثلاثون قضية استخبارية وأمنية في اسرائيل	يوسف أرجمان	دار الجليل
١٦٩- الادب العربي في جزر البليار	د . عبدالرزاق حسين	دار الجليل
١٧٠- الشرق الاوسط الجديد	شمعون بيرس	
١٧١- الاعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود	غازي السعدي	دار الجليل
١٧٢- اسلحة الدمار الشامل	وليام بوروس وروبرت ويندرم	
١٧٣- المفصل في تعلم اللغة العبرية بمعلم وبدون معلم	بدر عقيلي	
١٧٤- القاموس العلمي / عبري - عربي	امين ابو عيسى	دار الجليل
١٧٥- مكان تحت الشمس	بنيامين نتنياهو	محمد عودةالدويري
١٧٦- احاديث في العلم والقيم	يشعياهو ليفوفيتش	سلمان الناطور
١٧٧- فلسطين بلا هوية	صلاح خلف	دار الجليل
١٧٨- الحوار الفلسطيني - الامريكي	د. محمد ربيع	دار الجليل
١٧٩- دوائر القمر	عبد الرزاق حسين	دار الجليل
١٨٠- قرية جمزو	يوسف النجار	دار الجليل
١٨١- الانقلاب السياسي في اسرائيل الاسرار والخفايا	اورلي ازولاي	بدر عقيلي
١٨٢ - مشكلة الاراضي في النزاع القومي بين اليهود والعرب منذ وعد بلفور	جاك كنو	محمد عودة الدويري
١٨٣ - الموساد في العراق انهيار الامال الاسرائيلية والكردية	شلومو نكديمون	بدر عقيلي
١٨٤ - دولة فلسطين الوضع القانوني	سالم أحمد قواطين	
١٨٥ - اسحق رابين اغتيال سياسي	د. أمنون كابليون	بدر عقيلي
١٨٦ - نايف حواتمة يتحدث	عماد نداف	
١٨٧ - سومخي قصة للشبيبة عن الحب والمغامرات	عاموس عوز	دار الجليل

١٨٨ ـ البستان	بنيامين تموز	دار الجليل
١٨٩ ـ سورية واسرائيل من الحرب الى صناعة السلام	البروفيسور موشيه ماعوز	لينا وهيب
١٩٠ ـ اتفاقيات أوسلو الاتفاقيات الاسرائيلية الفلسطينية حول الضفة الغربية وقطاع غزة		دار الجليل
١٩١ ـ الحرب الاقتصادية (١٠٠) سنة من المواجهة الاقتصادية بين اليهود والعرب	يوفال اليتسور	محمد اللدويري بدر عقيلي
١٩٢ ـ انثولوجيا الوجه الآخر قصص عبرية مختارة		دار الجليل
١٩٣ ـ المسيرة ...... خفايا أوسلو.... من الألف الى الياء	أوري سبير	بدر عقيلي
١٩٤ ـ أوسلو ...... والسلام الآخر المتوازن	نايف حواتمة	
١٩٥ ـ ايهود براك... الجندي الأول رئيس الوزراء الاسرائيلي المحتمل	بن كسبيت وايلان كفير	بدر عقيلي ونور البواطلة
١٩٦ ـ هشاي مخابرات منظمة الهجناه	دار الجليل	دار الجليل

طبع في شركة الشرق الأوسط للطباعة ـ هاتف ٤٨٩٤٩٤١ ـ ص.ب ١٥٢٨٦

مخابرات منظمة الهجناه

يلقي الضوء على بدايات النظرية الاستخبارية، وتطورها بفعل الأحداث التي واكبت الاستيطان اليهودي، منذ عام ١٩١٨ وحتى تشكيل جهاز «هشاي» الذي تعامل مع معطيات جديدة رسمتها مستجدات العمل الصهيوني.

و«هشاي» هو جهاز المخابرات الذي تم تشكيله في إطار «الهجناه» نهاية ١٩٣٥، وتمثلت مهمته في الدفاع عن الاستيطان اليهودي، من خلال الحيلولة دون تسريب أسرار المنظمة من قبل الوشاة والجواسيس، بيد أن هذا الجهاز سرعان ما وسع أعماله ومهامه، لينطلق إلى جمع المعلومات المتعلقة بالقيادة.

الاستيطان اليهودي اتخذ موقفاً عدائياً من المخابرات اليهودية، لأن هذا العنوان يرتبط بالمعاناة التي لحقت باليهود في بلادهم الأصلية التي هاجروا منها، حيث كانت أجهزة المخابرات تلاحقهم جرّاء نشاطاتهم المشبوهة.

ارتبط اسم «هشاي» في ذهن الاستيطان اليهودي منذ البداية بالعمليات التجسسية وجمع المعلومات، وظل عاملاً في إطار الهجناه حتى عام ١٩٤٨، حيث أعاد مؤسس الدولة العبرية بن غوريون تنظيم أجهزة المخابرات المختلفة.

بقي أن نقول، أن كتاب «هشاي»، الذي يرصد نشأة وتطور المخابرات اليهودية، ضمن فترة محددة من الزمن، يصلح لأن يكون مادة وثائقية يمكن الاستفادة منها، على الرغم من الهالة التي يرسمها حول الجهاز، وهو النمط الذي ظل سائداً، حتى يومنا هذا، إذ تعمد وسائل الإعلام الإسرائيلية، إلى إظهار أجهزة مخابراتها، وكأنها تحول بين المرء وقلبه، وقد ثبت عدم صحة هذا الإدعاء، في مواقع كثيرة، كانت، قائلة في معظمها.

الغلاف: أزمنة



دار الجليل للنشر
والدراسات والأبحاث
الفلسطينية

عمان - ص.ب ٨٩٧٢ - تلفون ٥١٥٧٦٢٧
تلكس ٢٣٠٣١ - فاكسيملي ٥١٥٣٦٦٨